الحكمية المحلية

النقاش المحلي في القضايا المشتركة

**

صورة الغلاف: مشهد من بلدية زوق مكاييل (كسروان) نقلاً عن كتاب:
زوق مكاييل: ثلث قرن في الصحافة اللبنانية 1963-1997،
بيروت، مكتبة نوفل، 1998، 296 ص، ص 284.

الحكمية المحلية

النقاش المحلي في القضايا المشتركة

**

وقائع الندوات الست التي عقدها
المؤسسة اللبنانية للسلام الاهلي الدائم
في ترشيش والجومه والقببات وحبوش وطرابلس
في 5/11 و 9/21 و 10/12 و 2002/11/24 و 1/31 و 2003/2/8

بالتعاون مع

جمعية مار شليطا الخيرية الاجتماعية (ترشيش)
اتحاد بلديات الجومه
الجمعية التعاونية الزراعية وشبكة الحكمية المحلية في القببات
الجمعية التربوية الوطنية لرعاية المتفوقين في لبنان والمركز التربوي الفني في حبوش
الرابطة الثقافية طرابلس

اشراف

انطوان مسرّه

طوني عطالله، مايا سعد، رلى مخايل، محمد كاظم مكي، محمد المصري

منشورات المؤسسة اللبنانية للسلام الاهلي الدائم

18

2003

**صدر في منشورات المؤسسة اللبنانية للمسلم الأهلي الدائم
إشراف انطوان مسره**

1. الحق في الذاكرة، بالتعاون مع مركز المؤتمرات في ايانابا (قبرص)، 1988، 260 ص.
2. العبور الى الدولة (من المعاناة الى المواطنة)، بالتعاون مع مركز المؤتمرات في ايانابا (قبرص)، بيروت، 1992، 280 ص.
3. البناء الديمقراطي (الاشكالية والتخطيط للبنان ما بعد الحرب)، بالتعاون مع مؤسسة كونراد اديناور، 1994، 240 ص.
4. مواطن الغد (نماذج في الثقافة المدنية)، الجزء الاول، بالتعاون مع المؤسسة الوطنية للديمقراطية، 1995، 496 ص.
5. بناء السياسات الاجتماعية في لبنان (الاشكالية والتخطيط)، بالتعاون مع مركز البحوث للاثماء الدولي، اوتارا (كندا)، 1995، 312 ص.
6. الاحزاب والقوى السياسية في لبنان (التزام واستراتيجية سلام وديمقراطية للمستقبل)، الجزء الاول، بالتعاون مع مؤسسة كونراد اديناور، 1996، 592 ص.
7. مواطن الغد: الحريات وحقوق الانسان، الجزء الثاني، بالتعاون مع المؤسسة الوطنية للديمقراطية، 1998، 368 ص.
8. الاحزاب والقوى السياسية في لبنان: تجدد والتزام، الجزء الثاني، بالتعاون مع مؤسسة كونراد اديناور، 1997، 288 ص.
9. علاقة المواطن بالادارة (نماذج في المعاملات والاعلام الاداري)، الجزء الاول، بالتعاون مع المؤسسة الوطنية للديمقراطية، 1998، 388 ص.
10. اقتصاد في سبيل العدالة الاجتماعية، بالتعاون مع مؤسسة كونراد اديناور، 1998، 296 ص.
11. مواطن الغد: نعيش معا في مجتمع، الجزء الثالث، بالتعاون مع المؤسسة الوطنية للديمقراطية، 1997، 368 ص.
12. النقابات والهيئات المهنية في لبنان (استراتيجية مشاركة وديمقراطية اجتماعية)، بالتعاون مع مؤسسة كونراد اديناور، 1999، 256 ص.
13. علاقة المواطن بالادارة (نماذج في المعاملات والاعلام الاداري)، الجزء الثاني، بالتعاون مع المؤسسة الوطنية للديمقراطية، 1999، 384 ص.
14. تنمية المجتمع المدني في لبنان (منظومة قيم ومبادر وتواصل وتدريب)، بالتعاون مع Mercy Corps International، 2000، 752 ص.
15. النقابات والهيئات المهنية في لبنان، الجزء الثاني، بالتعاون مع مؤسسة كونراد اديناور، 2000، 256 ص.
16. الحكمة المحلية (مبادر ومشاركة ومواطنة في المجال المحلي في لبنان)، بالتعاون مع المؤسسة الوطنية للديمقراطية، الجزء الاول، 2002، 576 ص.
17. الجغرافية الانتخابية في لبنان: شروط التمثيل الديمقراطي، بالتعاون مع مؤسسة كونراد اديناور، الجزء الاول، 2002، 376 ص.
18. الحكمة المحلية: النقاش المحلي في القضايا المشتركة، بالتعاون مع المؤسسة الوطنية للديمقراطية، الجزء الثاني، 2003.
19. الجغرافية الانتخابية في لبنان: تاريخية القضاء وتقسيم الواتر، بالتعاون مع مؤسسة كونراد اديناور، الجزء الثاني، 2003.

صدر في سلسلة وثائق Documents

Irene Lorfing, Antoine Messarra, Abdo Kahi (dir.), *Linking Civil Society to Sustainable Development* (A training Manual for Institutional Strengthening), Mercy Corps International and Lebanese Foundation for Permanent Civil Peace, 1999, 120 p.

فاعلون في السياسات الاجتماعية في لبنان، 1999.

يصدر قريباً

20. مرصد السلم الاهلي الدائم في لبنان، بالتعاون مع مركز المؤتمرات في ايانابا (قبرص)، 2003.

21. دراسات في الثقافة المدنية، 2003.

توزيع: المكتبة الشرقية، بيروت

ت 333379/200875 / 492112/217364 (01) - فاكس: 216021 (01)

E-Mail: libor@cyberia.net.lb

التوزيع في الخارج لمنشورات المؤسسة اللبنانية للمسلم الاهلي الدائم

www.BuyLebanese.com

***

Lebanese Foundation for Permanent Civil Peace - P.O.Box 16-5738 Beirut-Lebanon 1100 - 2070

E-mail : antoine@messarra.com

http : //antoine.messarra.com - http : //www.lfpcp.org

http : //monitoringdemocracy.com

الولاد بْدُنْ يكبرو، ما فيهن ينطروت يصير فيه حكومه...
كاسك خيي برهوم.

الاخوين الرحباني

مسرحية يعيش يعيش، 1969

الاعمال المسرحية الكاملة، بيروت، ديناميك غرافيك للطباعة والنشر،
25 جزءًا، 6 اجزاء صادرة، 2003.

**Fondation libanaise pour la paix civile permanente
Lebanese Foundation for Permanent Civil Peace**

**Organisation / Organisation
2003 – 2005**

Comité exécutif / Executive Committee

Marie Thérèse Khair Badaoui
Wassef Haraké
Hassan Kawas
Sami Makarem
Antoine Messarra
Ibrahim Traboulsi

Directeur des programmes / Director

Antoine Messarra

Assistant exécutif / Executive Assistant

Tony Atallah

Coordonnateurs régionaux / Regional coordinators

Tony Atallah (Békaa / Bekaa)
Zalfa Fadlallah (Sud / South)
Roula Mikhail – Muhammad al-Masri (Nord/ North)
Maya Saad (Mont-Liban)

Chercheurs-membres / Researchers – Members

Georges Assaf
Siham Bawab
Sami Dagher
Amal Dibo
Chaoukat Eshtay
Aline Farah
Joumana Ghorra
Tania Awad Ghorra
Chahrazade Harakeh
Toufic Rachid Hindi
Abdo Kahi
Hyam Kahi
Issam Khalifeh

Victor el-Kik
Fadia Kiwan
Irène Lorfing
Béchara Ménassa
Evelyne Messarra
Roula Mikhail
Paul Morcos
Walid Moubarak
Antoine Saad
Betty Gilbert Sleiman
Leila Salloum Saad
Hassan Saleh
Antoine Seif
Rana Sidani
Leila Traboulsi
Haya Ziadé
Tarek Ziadé

Réseau Jeunesse / Youth Network

Joumane Hatab
Amale Hoteit
Hala Kahi
Roula Mikhail
Rana Moussawi

Site Internet et design / Internet and design

Kleudge Sarl

Administration et secrétariat / Administration and Secretary

Grace Maasri
Denise Dagher

Traduction / Translation

Rita Rousselle Matta
Rana Moussawi

Documentation

Arlette Saadé Abi Nader
Mona Nader

Aide à la publication / Aid to Publication
Michel Mourad

***

Chercheurs et amis de la Fondation/ Researchers and friends of the Foundation
Cf. les listes dans les publications de la Fondation
See lists in the publications of the Foundation

Programmes de la Fondation / Programs

2003 – 2005

La géographie électorale au Liban : Les conditions d'une représentation démocratique / Lebanese Electoral Geography : Conditions for democratic representation.

La gouvernance électorale au Liban.

La gouvernance Locale : Initiative, participation et citoyenneté au niveau local
Strengthening Local Governance : Initiative, Participation and Citizenship at Local Level.

Observatoire de la paix civile au Liban / Monitoring Civil Peace in Lebanon.

Observatoire de la législation au Liban : Démocratie, droits de l'homme et paix civile.

La paix par le dialogue des cultures / Peace Through Cultural Dialogue.

Citoyenneté étudiante : La culture démocratique et son apprentissage à l'école et à l'université au Liban / Student Citizenship : Democratic Culture in Schools and universities.

Stabilité intérieure et sécurité régionale / Internal Stability and Regional Security.

Promotion et défense des droits économiques et sociaux/ Economic and Social Rights : Promotion and Advocacy.

Les politiques de jeunesse au Liban / Youth Policies in Lebanon.

***

Activités en réseau / Network Activities

Fondation Joseph et Laure Moghaizel

Association libanaise des sciences politiques

Association DES francophone de journalisme (AFEJ)

المحتويات

مقدمة

انطوان مسرّه

1. تنمية النقاش العام في القضايا الحياتية اليومية، 31
2. تطوير المجتمع الاهلي، 37
3. هل شوارعنا مدرسة في المواطنة، 47
4. المواطنة والطائفية: المجال العام هو الحل، 51
5. المصلحة العامة، 57
6. لا احد بديل عن احد، 71
7. نماذج حية في ممارسة الشأن العام، 75

الباب الاول

ترشيح

بالتعاون مع جمعية مار شليطا الخيرية الاجتماعية

دير الآباء اليسوعيين، ترشيح

تنسيق مايا كنعان سعد

جوزف الحايك

1. صورة ترشيح المتجددة، 87

مايا كنعان سعد

2. تفعيل القدرات المحلية، 89

جوزف شعيا

3. عودة وانماء، 91

لوسي حنا

4. تطور الزراعة في ترشيش وشروطه، 95

ناصر طقطق

5. استحداث مركز طبي، 101

عبدو حايك

6. مستوصف لبلدة ترشيش، 105

جان مخايل صدقه

7. التراث الزائل في الضيعة اللبنانية: ترشيش انموذجًا، 107

يوسف سعيغان

8. ترشيش كمركز سياحة بيئية، 111

هنري شيبان

9. التكيف المحلي مع المتغيرات، 115

تعقيب

انطوان مسرّه: الاهتمام بالشأن العام، 119

ترشيش في سطور، 123

الباب الثاني

الجومه

بالتعاون مع اتحاد بلديات الجومه

قاعة عصام فارس الثقافية في رحبه

تنسيق رلى مخايل

كميل حبيب

1. تنمية المجتمعات المحلية، 129

سجيع عطيه

2. وعي الفرد لدوره، 131

رلى مخايل

3. برامج تطبيقية وبحثية لتعزيز المواطنة، 133

عبدالله الخوري

4. مستوصف منطقة رحبة، 137

5. الامراض المزمنة وارتباطها بنوعية الحياة، 143

حمود خضر

6. ترشيد السياسة الصحية، 149

رياض نادر

7. تجربة مستوصف بينو، 153

محمد عرابي

8. الخصوصية البيئية لمحور الجومه في عكار، 155

9. اقتراح مشروع تنظيم وتأهيل منطقة القموعة للسياحة البيئية، 161

10. القموعة في قلب التنشيط الاجتماعي - السياسي - البيئي، 181

غازي الكسار

11. الثروة الحرجية بين المخاطر التي تهددها وحسن ادارتها وحمائتها، 193

منذر حمزه

12. مصادر ومخاطر تلوث المياه وحسن ادارة الموارد المائية، 199

ابراهيم رزق

13. علاقة المواطن بالادارات الرسمية، 209

رشيد يوسف

14. الوظيفة العامة المحلية، 215

تعقيب

انطوان مسرّه: فاعلية القوانين، 217

حاتم العلي: دراسة الواقع الصحي في الجومه، 223

كمال خزعل: تطوير البنى الانتاجية، 224

الباب الثالث

القببات

بالتعاون مع الجمعية التعاونية الزراعية وشبكة الحكمة المحلية في القببات

قاعة المحاضرات في الكرمل ومدرسة السلام لراهبات المحبة، عين النمر

تنسيق رلى مخايل

فؤاد الضاهر

1. المخطط التوجيهي العام لبلدة القببات، 229

جوزف عبد الاحد

2. دور البلديات ومسؤوليتها في التنظيم المدني، 233

برج هتاجيان

3. التعاون مع القطاع الخاص في قضايا البيئة، 239

فؤاد عواضه

4. اطلاق المخطط التوجيهي الشامل للاراضي اللبنانية، 245

جوزف زيتوني

5. شبكة الحكمة المحلية، 249

6. تفعيل القدرات المحلية، 255

فؤاد الضاهر

7. نظرة عامة للمخطط التوجيهي لبلدة القبيات، 259

جان حنا

8. نحو مخطط توجيهي عام في القبيات: ورقة عمل، 269

الفونس جورج

9. التوصيات السبعة لعصرنة القبيات وتنظيمها، 275

بيارات جمعه

10. نحو مخطط توجيهي عام في القبيات، 285

عكار بالارقام، 301

الباب الرابع

حبوش

بالتعاون مع الجمعية التربوية الوطنية لرعاية المتفوقين في لبنان

والمركز التربوي الفني في حبوش

قاعة محاضرات المركز التربوي الفني في حبوش

تنسيق محمد كاظم مكي

محمد كاظم مكي

1. صيانة المرافق العامة واماكن الحياة المشتركة، 307

انطوان مسرّه

2. علم نفس الشأن العام في لبنان، 309

3. مصالحة مع الذات والذاكرة والوطن، 319

Antoine Messarra

3. Espace, mémoire et citoyenneté: Une oeuvre de réconciliation, **321**

جوزف ابي راشد

4. كيف نربي اولادنا على صيانة المرافق العامة واماكن الحياة المشتركة، **325**

سميح حلال

5. معاناة بلدية، **331**

الباب الخامس

طرابلس: لجان الاحياء

بالتعاون مع الرابطة الثقافية طرابلس

قاعة محاضرات الرابطة الثقافية طرابلس

تنسيق محمد المصري

رشيد الجمالي

1. مشاركة وتأطير القدرات، **337**

انطوان مسره

2. خبرات لجان الاحياء، **339**

سمير شعراني

3. بناء ثقافة بلدية، **345**

ملحم خلف

4. مصالحة مع المجتمع وتغيير في السلوك، **351**

مناقشة، **359**

Joelle Chammas

5. L'Empowerment: Expérience vécue à Baal el-Darawich, **363**

Bruno Barmaki

6. La rénovation de Baal el-Darawich : Quand un quartier ressuscite, **373**

7. Baal el-Darawich avant et après, 377

هلا ناضر

8. قصة حي من لبنان خرج من الموت ليحيا اسمه "بعل الدراويش"، 381

محمد ابي سمرا

9. هل ينقذ "قرح العطاء" باب التبانة الطرابلسية من البؤس والعنف؟ 397

رلى مخايل

10. "بيطلع بايدنا" ان نغير وجه لبنان والعالم، 405

11. نجاح تأهيل حي في طرابلس، 411

خاتمة

انطوان مسرّه وطوني عطالله

1. ترشيش: الصمود المعنوي واستعادة الثقة والمبادرة، 415

2. الجومه: مرصد بيئي واجتماعي، 418

3. القبيات: لجنة متابعة نحو مخطط توجيهي للبلدة، 423

4. حبوش: برامج وانشطة في البلديات لصالح الشأن العام، 430

5. طرابلس: لجان الاحياء وبناء ثقافة بلدية، 433

الحكمية المحلية، الجزء الاول، 436

Antoine Messarra

Strengthening Local Governance: Public Debate on Shared Matters, 9

1. Tarshîsh: To go with the Return. Moral Resistance, Renewed Trust and Initiative, 9

2. Jumâh –Akkâr: A Healthy Agricultural Region and a Natural Tourist Resort, 12

3. Kobeyyat: Vers un plan directeur, 17

4. Tripoli : Construire une culture municipale, 19

Le local à la rescousse du national, 23

Local potential to the help on a national scale, 27

المؤلفون

مقدمة

انطوان مسرّه، استاذ في الجامعة اللبنانية، منسق الابحاث في المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم.

ترشيح

جوزف الحايك، رئيس جمعية مار شليطا الخيرية الاجتماعية، ترشيح.

مايا كنعان سعد، منسقة اقليمية في جبل لبنان.

جوزف شعيا، رئيس بلدية ترشيح.

لوسي حنا، مهندسة زراعية.

ناصر طقطق، طبيب صحة.

عبدو حايك، طبيب اسنان.

جان مخايل صدقه، باحث.

يوسف سعيغان، استاذ ثانوي.

هنري شيبان، مهندس كمبيوتر.

افلين مسرّه، باحثة في الشؤون المالية والضريبية، رئيسة دائرة الضرائب غير المباشرة سابقاً.

الجومه

كميل حبيب، ممثل دولة نائب رئيس مجلس الوزراء الاستاذ عصام فارس، طبيب، مؤسسة عصام فارس.

سجيع عطيه، رئيس بلدية رحبة، رئيس اتحاد بلديات الجومه.

رلى مخايل، منسقة اقليمية لبرامج المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم في الشمال، صحافية في

جريدة النهار.

عبدالله الخوري، طبيب.

حمود خضر، رئيس جمعية الطب العام في الشمال.

رياض نادر، مدير مستوصف بينو.

محمد عرابي، استاذ جامعي مساعد باحث ومنتشط اجتماعي، المدرسة اللبنانية للتدريب الاجتماعي في جامعة القديس يوسف .
 غازي الكسار، رئيس مصلحة التنمية الريفية في وزارة الزراعة في الشمال
 منذر حمزه، الجامعة اللبنانية، كلية الصحة.
 ابراهيم رزق، محام بالاستئناف، عضو بلدية رحبه.
 رشيد يوسف، رئيس منطقة هاتف الشمال.
 حاتم العلي، رئيس بلدية تكريت.
 كمال خزل، باحث زراعي.

القبليات

فؤاد الضاهر، نقيب المهندسين في الشمال.
 جوزف عبد الاحد، مدير عام التنظيم المدني.
 برج هتاجيان، مدير عام وزارة البيئة.
 فؤاد عواضه، مهندس، خبير، المدير العام المساعد لوكالة IAURIF وكالة التنظيم المدني لمنطقة "ايل دو فرانس".
 جوزف زيتوني، عضو شبكة الحكمية المحلية في القبليات.
 جان حنا، مهندس.
 الفونس جورج، مهندس، عضو شبكة الحكمية المحلية في القبليات.
 بيارات جمعه، مهندسة.

حبوش

محمد كاظم مكّي، رئيس التفتيش التربوي سابقاً، منسق برامج "التنشئة الوطنية والتربية المدنية" في المركز التربوي للبحوث والانماء (1996-2000).
 جوزف ابي راشد، مفتش تربوي، مقرر لجنتي "التنشئة الوطنية والتربية المدنية" و"التاريخ" في المركز التربوي للبحوث والانماء (1996-2000).
 سميح حلال، رئيس بلدية حبوش.

طرابلس

رشيد الجمالي، مهندس، رئيس الرابطة الثقافية طرابلس.

سمير شعراني، رئيس اتحاد بلديات الفيحاء.

ملحم خلف، محام بالاستئناف، استاذ في كلية الحقوق، جامعة القديس يوسف، رئيس جمعية فرح العطاء.

محمد المصري، منسق اقليمي لبرامج المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم في الشمال،

جويل شماس، باحثة في العمل الاجتماعي، جامعة القديس يوسف.

برونو برمكي، صحفي.

هلا ناضر، صحافية، الأفكار.

محمد ابي سمرا، صحفي وكاتب، النهار.

رلى مخايل، منسقة اقليمية لبرامج المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم في الشمال، صحافية،

النهار.

خاتمة

طوني عطالله، استاذ محاضر في كلية الحقوق والعلوم السياسية والادارية، الجامعة اللبنانية،

منسق اقليمي لبرامج المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم في البقاع.

المشاركون

ترشيش، جمعية مار شليطا الخيرية الاجتماعية، دير الاباء اليسوعيين، 2002/9/21

انطوان مسرّه
طوني عطاالله
مايا كنعان سعد
***

جوزف الحايك، رئيس الجمعية
جوزف شعيا، رئيس بلدية ترشيش
***

عبدو الياص بو طانيوس	طوني بو طانيوس
ضومط عبديو بو طانيوس	برياره عطاالله بو طانيوس
البير عبديو شعيا	الياص سمعان شيبان
ايلي عزيز شيبان	هنري شيبان
لينا عبديو شيبان	نادين عبديو شيبان
عبدو سمعان شيبان	سمعان عبديو شيبان
الخوري شربل ديب	عطاس عطاس
رشيد محمد جبر	اسعد الياص جبرائيل
افدوكيا جبرائيل	داني يوسف جبرائيل
مخايل جبرائيل جبرائيل	شربل حنا جبرائيل
حنا الياص جبرائيل	الياص يوسف حنا
الياص حنا حنا	لوسي حنا
الخوري بشاره حنا	جورج يوسف حنا
عبدو طنوس حايك	الياص حايك
جوزف عبديو الحايك	الياص عبديو الحايك

جوزف طنوس الحايك	جورج يوسف حنا
رشيد محمد جبر	شادي نبيه سعد
افلين بو متري مسرّه	عمرو سعيقان
يوسف اسعد سعيقان	الخوري يوسف صدقه
جان مخايل صدقه	جانيت حنا صدقه
مها غاريوس صدقه	موريس جرجي صدقه
الياس بشاره صدقه	مارون بطرس صدقه
بيار مخايل صدقه	بطرس صدقه
الياس بشاره صدقه	جان صدقه
كمال صدقه	كرم ميشال صدقه
مهى صدقه	موريس صدقه
ميشال ادوار صدقه	بيار مخايل صدقه
يوسف ادوار صدقه	ناصر محمود طقطق

الجومه (عكار)، بالتعاون مع اتحاد بلديات الجومة، قاعة عصام فارس الثقافية في رحبه،

2002/10/12

كميل حبيب	الشماس انطونيوس ابراهيم ايوب
سجيع عطيه	زياد الصايغ
رياض نادر	محمد عرابي
حبيب شديد	سعد موسى
حاتم العلي	الشيخ علي السحمراني
عامر جرجس	كمال خزعل
محمود خضر	خالد الرشيد
رضوان يعقوب	منذر حمزه
احمد العمر	
رشيد يوسف	

طوني عطاالله	محمد حمزه
الاب يوحنا رزق	ايليا خليل
الخورى يوحنا حنا	المطران بولس بندلي
نجمة فاهي	حسني بربر
ساسين جرجس	عبدالله حنا خوري
رزق الله البائع	جورج كمون
نجوى ادمون بلال	حنا ادمون بلال
داود الكفروني	عبد الرحمن عزام الاحمد
حنان الكوسا	ديب عطوش
اسعد موراني	فلوريا رزق
ابراهيم جريج الخوري	حنا حنا
الياس مطانيوس كوسا	مي حنا الخوري
حنا فارس	سهيلة شمعون
ابراهيم رزق	صالح ابو حنا
ندى عطيه	جورج رزق
لينا بلال	رينه بولس
حكمت بلال	رينه بهادريان
عامر ناصر خضر	محمد شهر
حسين ملحم	احمد مصطفى مصطفى
ابراهيم نقولا	رعيون قديسي
حكمت يونس	رامح سابا
حسين سابا	وليد موسى
جوزيف ديب	غسان عطيه
جمال البعريني	كارمن الخوري
رينه موسى	فايز وديع فارس
الياس دنكور	سام خوري
غازي الكسار	خالد احمد
	محمد المصري

القبليات، بالتعاون مع الجمعية التعاونية الزراعية وشبكة الحكمة المحلية في القبليات، قاعة المحاضرات في الكرمل ومدرسة السلام لراهبات المحبة، عين النمر، القبليات، 5/11 و2002/11/24

فؤاد الضاهر، نقيب المهندسين في الشمال.
جوزف عبد الاحد، مدير عام التنظيم المدني
برج هتاجيان، مدير عام وزارة البيئة

***

انطوان مسره
رلى مخايل
طوني عطاالله

***

ساندرا طوني شاهين	نواف جواد الشعار
جان عيسى الشدياق	رشيد شمعون
ماري حنا ضاهر	شريل الشدياق
غرازييلا ديب	نوال حنا ضاهر
حسيبة فهد	الاخت جنان فرح
فادي فارس	امال فارس
سهيل غيا	جانيت فارس
مخول الحاج	فيصل الحاج
جوزف حاكمه	انطوان حاكمه
سمير يوسف حاكمه	بول حاكمه
جولي حاكمه	شريل حاكمه
انطونيوس هلال	عادل هلال
برناديت اسكندر	عيسى طنوس ابراهيم

طنوس جبور	جورج جبور
كارول ريمون الخوري	حبيب مطانيوس كرم
ريمون الخوري	جورج خوري
فرنسوا طحان	هيلدا ريمون الخوري
جان يوسف معيكي	طنوس مخايل
نعمه مخايل	جوزف مخايل
طوني ايليا نادر	جوزف حبيب مخايل
جمال نادر	الاخت مرسيل نهرا
شاهين نادر	بسام نادر
رائد الرافي	مطانيوس رعد
وفاء وهبه	ديب ساسين
رانيا نبيل زربيي	جورج زهر
امل لطيف زيتوني	رنا لطيف زيتونه
ايلي الزربيي	راوول الزربيي
لطيف زيتوني	جورج زيتوني

طرابلس، بالتعاون مع الرابطة الثقافية طرابلس، 2003/1/31

الرابطة الثقافية طرابلس

رشيد الجمالي

محمد المصري

المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم

طارق زياده

افلين مسره

امل ديبو

طوني عطاالله

جمعية فرح العطاء

ملحم خلف

بلدية طرابلس واتحاد بلديات الفيحاء

سمير شعراني، رئيس الاتحاد

اتحاد الجمعيات الشمالية للتنمية والبيئة والتراث

مازن عبود، رئيس الاتحاد

***

رولا ابو بكر

الياس ريمون الاشقر، مختار الميناء قضاء طرابلس

محمد مصطفى علوى

جورج صليباً اروادي، مختار الميناء قضاء طرابلس

عبد الغني الايوبي

سعيد عويك، رئيس بلدية البداوي

سيمون البشواتي

نجوى بارودي

ليندا برغل

هدى الخطيب شلق

سالم بديع دقناش، امين سر نقابة صيادي الاسماك

في الشمال

سمير دباغ، عضو استشاري في مجلس نقابة

الصيادين

بشرى الياس

سليم الضاهر

بولس غالب فرنجيه

عصمت هلال، رئيس جمعية تجار الاسواق الداخلية

غورنغ حموي، امين سر رابطة الجامعيين في الشمال

نادين الحسيني سلطان

حاتم الحموي

معن عثمان جابر، امين سر لجنة الملوسه
عبدالله خالد
كاتيا كرتتيان
احمد خير كبه، امين سر مجلس المندوبين في اتحاد نقابات
ارباب العمل
عائشة موصلي
سامي منقارة، مستشار مفوض لرئيس الاتحاد الدولي للمدن
المتحدة
محي الدين شيخ النجارين
حسني نعنعي
عدنان جميل السيد، رئيس نقابة عمال وعاملات الحلاقة
وصالونات التجميل
فاتنة سنكري
هند الصوفي
اسعد صليبيا
مصطفى يحيى
عائد صوفي ذوق

جلال الحصني
رضوان عبد الخالق القارئ، رئيس لجنة الملوسه
فتاة خضر خضر
فضل القدور
سليمى مولوي الخطيب
عبدالله المير، رئيس اتحاد نقابات ارباب العمل
واصحاب الحرف في الشمال
ماري - لويز نعمه
مصطفى حسين النجاري
يولاند شوقي الراسي
ليديا صليبيا
نبيل شندر
موفق السباعي، عضو مجلس ادارة جمعية تجار
طرابلس
قاسم الصمد
نادين ياراك
رنا الجمالي ذوق

مقدمة

تنمية النقاش العام في القضايا الحياتية اليومية

انطوان مسرّه

كل اشكاليات السلطة المركزية في لبنان هي ذاتها في السلطة المحلية التي هي غالبًا غارقة في التبعية المركزية أو الزبائنية أو الحزبات الحزبية والعائلية. يتطلب تاليًا التغيير نحو تفعيل الديمقراطية المحلية في لبنان منهجية وسياقًا لا يقتصر على المجالس البلدية التي قد تتحو الى مركزية محلية سلطوية او زبائنية.

ينطلق برنامج "الحكمية المحلية: مبادرة ومشاركة ومواطنة في المجال المحلي" من الاعتبار ان ادارة المصلحة العامة ليست حكرًا على السلطة المركزية او الدولة، وان كانت هذه الادارة جوهر السياسة. تشمل مسؤولية المصلحة العامة كل مواطن حيث هو وفي كافة مجالات حياته اليومية. ان ادراك المصلحة العامة كمسؤولية الدولة هو مصدر اتكالية ومفهوم سلطوي للدولة وسبب اساسي للتخلف السياسي والاجتماعي.

ان الندوات التي نعقدها هي الاولى في موضوعها ومنهجيتها في لبنان وتشكل انطلاقة ووثبة نحو مسار جديد قد يغير بالعمق مفهوم المواطنة في ممارستها اليومية والمحلية ويدخل لبنان في مسار ديمقراطية وتنمية على مستوى رسالة هذا الوطن واهميته في المنطقة وعلى مستوى حذوظ وتعقيدات العولمة في مطلع القرن الواحد والعشرين.

1

لماذا البرنامج؟

ان المواطن اللبناني الذي يتمتع بصفات الانفتاح والتواصل والقدرة الفائقة على التكيف في اصعب الظروف ويتمتع بقدرة فائقة ايضًا في المقاومة المدنية لنظام حرب داخلية طويلة كادت تطيح بالوطن وبدوره، هذا المواطن يتهم غالبًا بالفردية والعصبية وتتقصه الثقة بقدرته. انه يسترسل في سلوك تشاؤمي مبالغ فيه او في الاحباط او اليأس. ان الثقة بالقدرة الوطنية citizen power هي اساس البناء الديمقراطي والتنمية والاعمار الذي لا يقتصر على الابنية. تعبّر عن ذلك كل الدساتير حتى في الانظمة التوتاليتارية في المبدأ التالي: "الشعب هو مصدر كل السلطات". لكن سلوك النقاعس والاستقالة ونشر عدوى التشاؤم والاحباط او النق المستمر هو غالبًا السائد ويعبر عنه بالعبرة المتداولة والتي تبدو بريئة ولكنها اذا تعممت فهي تقتل في المهد مستقبل الاوطان: "مش طالع بايدي شي!" انه نفي للحرية والارادة. في حالة واحدة فقط يكون الوضع ميؤوسًا منه حيث يمكن القول: مش طالع بايدي شي!، وذلك عندما تستقيل الارادة! حتى جسديًا لا يستطيع افضل الاطباء شفاء احد من مرض اذا استقالت ارادته في الشفاء وانهارت معنوياته. يصاب هنا المريض، بالاضافة الى مرضه الجسدي، بتعقيدات نفسية تزيد من حدة وضعه المرضي.

2

مفهوم الحكمة المحلية

هنا يندرج مفهوم الحكمة المحلية على المستوى المحلي. كل مواطن في منزله، في الحي، على الطريق العام، في الحديقة العامة اذا وجدت، هو قادر ان يفعل شيئًا واشياء عديدة تغير في نوعية حياته ونوعية الحياة في بيئته.

على المستوى المحلي ما يفعله كل مواطن هو ظاهر للعيان وملموس ومعيوش وعلى المدى القصير، بينما الخطط الوطنية الكبرى فلا تظهر مباشرة للعيان ولا تؤثر تاليًا وبشكل

مباشر على سلوك الناس. عندما يقال ان ميزانية الدولة هي كذا بليون ليرة لبنانية فلا يدرك احد ماذا يعني هذا الرقم، لان لا احد منا صاحب بلايين. لكن على مستوى البلدة اعرف وادرك ماذا يكلف مشروع الري واشاهد تنفيذه وحصيلته واستطيع تاليًا ان اراقب واحاسب واشارك. لا ديمقراطية دون قربي، مع الناس وللناس، لا على سبيل التعبئة الشعبية، بل لممارسة عمق المواطنة والديمقراطية.

في بلد صغير كلبنان الذي يمكن التجول بالسيارة في كل ارجائه باقل من يومين ان التغيرات على المستوى المحلي اذا تميزت بالتراكم والاستمرارية والانتشار فهي تنعكس ايجابًا على كل الوطن وعلى الممارسة السياسية في قمة السلطة. اذا قررت عشرون بلدة في مختلف المحافظات ان تبذل وتبادر وتتكل على نفسها وتستغل قدراتها المادية والبشرية من خلال استنهاض مواطنيها، فهذا يغير وجه لبنان مما يشكو منه من تلوث وفساد وخضوع لارادات غيره وتخلف وتنمية متعثرة. اذا بادرت بلدة في عمل نموذجي، وان كان متواضعًا، فالبلدات المجاورة ستصاب بالعدوى الايجابية في التماثل والاقتراء.

تستعمل عبارة "الحكمية" *gouvernance/ governance** في ادبيات الامم المتحدة بعد خبرة تاريخية طويلة في العالم، وبخاصة في البلدان النامية. في العالم اليوم قناعة راسخة ان التنمية لا تحصل من خلال قوانين وانظمة ومؤسسات مهما كانت متطورة وعصرية. لا تعني الحكمية النظام والحكم والسلطة، بل الاداء. لهذا الاداء جانبان: الجانب الاول هو المراقبة والمحاسبة كي يكون الاداء الحكومي هادفًا لتحقيق المصلحة العامة لا مصلحة ارباب الحكم واصحاب النفوذ. والجانب الثاني في حسن الاداء هو مبادرة المواطنين ومشاركتهم ومساهماتهم وثقتهم بقدرتهم على تحسين اوضاعهم وان كان ذلك في حدود ضيقة. انه التمكين *empowerment, capacitation*. المواطن الواثق من نفسه هو مصدر كل السلطات، مهما قست الاوضاع وهو اساس البناء الديمقراطي والتنمية.

وماذا نعني بالحكمية المحلية؟ لا نعني المجالس البلدية لان هذه المجالس قد تكون صورة مصغرة عن السلطة المركزية اذا لم تعتمد الاصغاء والمشاركة والتمكين. تعني الحكمية

---

* تفضل عبارة "حكمية" على "حاكمية" او "حكمانية" لاسباب لغوية وعملية.

المحلية اداء الشأن العام على مستوى البلدة من خلال كل فاعليات البلدة من مجلس بلدي ووزراء ونواب وجمعيات اهلية ومدراء مدارس ومستشفيات ومستوصفات ومكتبات عامة وادارات رسمية محلية.

لهذا السبب لم ندخل في مشروع الحكمية المحلية فقط من خلال المجالس البلدية بل من خلال جمعيات اهلية هي، بفضل تواصلها مع الناس وموقعها خارج التنافس الانتخابي، قد تكون اكثر استيعابًا لمفهوم الحكمية المحلية فلا تعطي هذا المفهوم معنى سلطويًا بل المعنى الديمقراطي الاشمل في الممارسة المواطنة والتنمية المحلية¹.

ان برنامج الحكمية المحلية بدأت تظهر ثماره. لمست ذلك في حماس منسقي البرنامج المحليين الذين استهوتهم الفكرة وتجنّدوا لها ونقلوها الى اوساطهم ورفعوا معنويات الناس تجاه جو التقاعس والتشاؤم السائد. كنت اشعر بنفسي وحيدًا في برنامج الحكمية المحلية فوجدت ان الفكرة بذار جيد وغني المحصول وان الجيل الطالع من الشباب يحتاج الى قيادة ومشروع ومعنى.

¹. يراجع حول اللامركزية في مختلف ابعادها: بول سالم وانطوان مسرّه (اشراف)، اللامركزية الادارية في لبنان: الاشكالية والتخطيط، بيروت، المركز اللبناني للدراسات، 1996، 284 ص.

حول وضع المناطق والبلدات اللبنانية كمعلومات ومعطيات احصائية:

وزارة الشؤون الاجتماعية وبرنامج الامم المتحدة الانمائي، الخصائص السكانية والواقع الاقتصادي والاجتماعي: أفضية لبنان، بيروت، 27 جزء، 2002، وبخاصة: عكار وزغرتا (جزء 1 و 4)، المتن الشمالي (جزء 1)، راشيا (جزء 18) ولبنان (جزء 27). يطلب من مشروع تحسين احوال معيشة الفقراء في لبنان، وزارة الشؤون الاجتماعية، بدارو، هاتف وفاكس (01) 388122 email: poverty@cyberia.net.lb

- كمال فغالي (اعداد)، لبنان في موسوعة (سكان، مدن، بلدات، قرى)، بيروت، International publishers، 2002، 20 جزء.

3

ما هو مضمون برنامج الحكمة المحلية؟

مضمونه اربعة:

- تعريف المواطنين بأوضاع بلدتهم من كل النواحي السكانية والسكنية والجغرافية والصحية والتربوية...
- الاصغاء الى الناس في البلدة للتعبير عن حاجاتهم وتصوراتهم وتطلعاتهم.
- النقاش المحلي في القضايا الحياتية اليومية التي هي غالبًا مسيئة بشكل سطحي وزبائني في التنافس السياسي المحلي على السلطة والنفوذ.
- تنفيذ مشروع-مبادرة لكي لا يكون المشروع كلامًا بلام او يقتصر على الينبغيات (ينبغي ويقتضي ويجب...).

ليس المطلوب من المشاركين ان يكتسبوا مجرد معلومات بل تغيير في الذهنية والسلوك والدوافع وتطوير الامكانيات الكامنة دون عنف وللصالح العام. هذه هي مناعة البلد الصغير في مجتمعه المحلي بينما المركز السياسي هو اكثر تأثرًا بالمعطيات الدولية والاقليمية والداخلية وتحولات الاقتصاد المعولم. المجتمع الاهلي هو رافعة دولة القرن الواحد والعشرين وحاميها وحصانته وناظم لها.

مبادئ البرنامج هي التالية:

فكر شموليًا واعمل محليًا.

حيث انت انقب بعمق (نيتشه)².

قولنا والعمل.

---

². «Là où tu es creuse profondément» (Nietzsche).

تطوير المجتمع الاهلي*

انطوان مسرّه

نسعى الى نفض الغبار عن بلدة ترشيش وعن الحرب التي دمرت البلدة ولكن لم تدمرها معنوياً وقد شاهدنا ذلك. هذا هو هدف برنامج الحكمية المحلية. لم نحضر لالقاء محاضرة او لنستمع ثم نرحل. هذا البرنامج يمتد على ثلاث سنوات. تقوم به المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم بهدف ارساء النقاش المحلي.

***

هناك مهرجانات خطابية في كل البلدات والقرى. وهناك مناسبات لالقاء خطابات لكن ما لاحظناه، ولم اكن اتصوره شخصياً، هو عدم لجوء احد في اية بلدة لبنانية الى جمع اهاليها بغية البحث في قضية عامة تتعلق بالبلدة، كقضية الشارع والرصيف والتشجير والمجارير والبيئة والحاجات اليومية... كل القضايا مسيسة بشكل سطحي. هذا مخيف وخطير. هنا لا انتقد ان تكون الامور مسيسة. لكن الحاصل هو تسييس المسائل الحياتية اليومية المشتركة داخل حي في القرية يقطنه ناس من كل العائلات ومن كل الاحزاب. كيف نتكلم اذاً عما هو مشترك وعن ميثاق عيش مشترك؟

هناك تقاليد في لبنان في العيش المشترك وفي الميثاقية، ولكن اذا لم يترب الناس على المستوى المحلي على ادراك المشترك في حياتهم اليومية، يبقى الموضوع ناقصاً. وهذه ورشة كبيرة يحتاج اليها البلد.

*. ان النص هو موجز مداخلة شفوية ونقلاً عن آلة تسجيل تولت تفريغها وصياغتها السيدة ارييت سعاده ابي نادر.

انه ايجابي ان تدخل بعض الامور في الصراعات السياسية وان تكون عنصر خلاف. الخلاف ليس امرًا سلبيًا، قد يكون عنصر تقدم في حال توفرت ضوابط لكن ان تكون القضايا الحياتية اليومية المشتركة مسيسة، فهذا عنصر تخلف وتبعية وزبائنية.

قبل الانتخابات البلدية كنا نعزو التقصير في المجالس البلدية الى كونها معينة، ونعتبر انها تتصرف على اساس انها تابعة لفلان او لتيار سياسي، ولكن حين اصبحت المجالس البلدية منتخبة، في غالب الاحيان لم يتغير شيء. عندما تكون المجالس البلدية منتخبة فهذا يفرض ان تتعامل مع الناس وتستمع اليهم وتقف عند حاجاتهم وتشاركهم. ان ما وجدناه في العديد من المجالس البلدية هو خضوعها لعلاقات نفوذ، ووجدنا ان كل مشاكل السلطة المركزية هي نفسها على مستوى السلطة المحلية.

شاركت في دراسات عن اللامركزية والسلطات البلدية وقرأت كثيرًا في هذا المجال. اكثر هذه الدراسات لا تتعدى كونها كتبًا ونصوصًا وقوانينًا. كيف نغير السلوك في المجالس البلدية لكي تتصرف فعلاً كمجالس منتخبة تتفاعل مع الناس وتتعامل معهم؟ العديد من الجامعات والكتاب والباحثين درسوا القضايا الكبرى ولم يدرسوا القضايا على مستوى المصغر (ميكرو).

من يريد تغييرًا بالعمق عليه ان يعمل على المستوى المحلي، في الحي والشارع والمدرسة والجامعة والصف والبلدية...، لان هذا النوع من العمل يدخل في عمق النسيج الاجتماعي ويغير في سلوك الناس. نستطيع ان نرى التغيير على المستوى المحلي، ونرى من قام به وماذا نتج عنه. حين يعلموننا مثلاً بأن اوتوسترادًا يكلف 300 مليار ليرة لبنانية، لا نفهم جيدًا ما معنى هذا الرقم. لكن حين يقال لابناء ترشيش مثلاً ان شارعًا في قريتهم ستكون كلفته عشرة ملايين ليرة، فهم يدركون معنى ذلك، ويراقبون ان انجزت الطريق ام لم تنجز، وان كانت مفيدة لهم او لا، ويعرفون اذا ما حصلت رشوة خلال تنفيذه ام لا، وباستطاعتهم المراقبة والمحاسبة والمبادرة بشكل فعلي وعملي.

***

فكرة الحكمة المحلية واضحة وليست تعبيرًا معقدًا او صعبًا، بل هي موجودة في ادبيات الامم المتحدة ونشأت منذ التسعينات حيث وجدوا ان التشريعات والقوانين والسياسات العامة تشكل جزءًا مهمًا في موضوع التنمية، ولكن ينقصها جزء آخر وهو الاداء: هل تطبق

القوانين؟ وهل السياسات الموجودة صالحة؟ وهل تأتي التشريعات فعالة ام ان هناك من يتحايل عليها؟ ومن يقوم بتنفيذ المشاريع، وكيف يتم تنفيذها وبأية طريقة؟ اي كيف يكون الاداء؟ هذه القضية تتطلب امرين، احدهما ان تتوفر الشفافية والمساءلة، والآخر وجود مواطنين مشاركين ومبادرين ومحاسبين في هذه القضية. فشلت تجارب التنمية في العالم منذ الخمسينات التي انطلقت من سلطة مركزية تديرها وتشرف عليها، ونشأت انظمة دكتاتورية في الستينات في العديد من بلدان العالم كأمركا اللاتينية وافريقيا، على اساس السعي الى نظام قوي يؤدي الى التنمية والنمو والنهوض الاقتصادي. كل الانظمة التوتاليتارية التي نشأت في العالم في الستينات على اساس شعار النهوض الاقتصادي، ادت الى مزيد من التخلف والانهيار والفقير. هناك اليوم قناعة راسخة انه ليس من تنمية بمعزل عن مشاركة الناس. هذا ما نلمسه بشكل عملي وفي اماكن عديدة.

في جولة قمنا بها منذ سنتين داخل حي فقير في شوبرا الخيمة (هناك شوبرا منطقة غنية بينما شوبرا الخيمة هي فقيرة)، كنا نعبر الحي بالسيارة فشهدنا ثلاث نساء تجلسن على الشرفة الملاصقة للطريق تشربن قهوة الصباح وتتسامرن، وامامهن كتل من الاوساخ ومجارير مياه مبتذلة. تساءلت زوجتي بتعجب: الا توجد سيدة واحدة بينهن تفكر بنزع الاوساخ، على الاقل تلك المنتشرة امام منزلها؟ فكرت بالنساء اذ لا نستطيع الاتكال على الرجال! هل ترسل السلطة المركزية موظف بلدية الى كل حي وكل مبنى وكل شارع؟ هؤلاء النسوة عليهن على الاقل العناية بمحيط مسكنهن وبما هو مشترك في المبنى.

نظمنا ندوة في حمانا حول الحكمة المحلية لاحظنا خلالها ان منزل احد الاشخاص نظيف ومرتب جداً من الداخل لكن محيطه هو غير ذلك، فاقترحنا عليهم تشكيل لجنة تهتم بنظافة الحي وترتيبه. هناك تجربة اخرى ادهشتني جداً، في "موننترو" في سويسرا وقد كنا في لقاء حوار مسيحي-اسلامي. كنت اخرج في الصباح لانتزه وحاولت ايجاد غلطة واحدة من حولي: نافذة مكسورة، باب غير مطلي، شجرة غير مشدبة، كيس نفايات غير مقفل، ولكن لم اجد اية غلطة! لا شك هناك في سويسرا احياء فقيرة، ولكن الاحياء العامة والمعروفة متقنة للغاية. هنا لا اقول انها الحكومة والبلدية، انما هم الناس الحاضرون لشؤون بلدتهم، ولكن هل هذا يعني اننا لسنا اناساً؟ قطعاً لا. نحن ناس ونملك قدرات فائقة كلبنانيين. نحن مبدعون وخلاقون، وعندنا

انفتاح ودرجة عالية من التكيف وعندنا صمود. هناك ذكاء لبناني متنوع intelligence plurielle، لاننا نعيش في مناخ من التنوع والتعدد يمنحنا ذكاء متقدماً. لكن القضية المطروحة اعلاه لم نعمل عليها بعد. المطلوب تنمية ثقة المواطن بقدرته. نقول عادة لبنانياً وعريبياً: "مش طالع بأيدي شي" (اعجز عن فعل شيء). اخجل من هذا التعبير ولا استعمله. استعماله يزعجني ولكني مجبر الآن على قوله. لا يستطيع اي انسان ان يقول: "مش طالع بأيدي شي"، ولا في اية حالة. حتى في اصعب الظروف "طالع بأيدي شي"، يمكنني فعل شيء ما.

***

بإمكاني اعطاء امثلة عديدة، مثلاً في الاتحاد السوفياتي القديم كان هناك السوفكوز والكولكوز. السوفكوز هي مزارع حكومية تديرها الحكومة، والكولكوز هي مزارع تديرها التعاونيات. في السوفكوز كان الفلاح يعمل يومياً "وينكس" على الساعة، يقوم "بواجباته"، اي يقوم فقط بما هو مطلوب منه. كان يشعر ولا شك انه "مش طالع بأيدي شيء"، ولكن بعد سبعين سنة كان احد الاسباب الكبرى لانتهيار الاتحاد السوفياتي. هؤلاء الفلاحون الذين يظنون انهم عاجزون عن فعل اي شيء هم احد اسباب انهيار الاتحاد السوفياتي، اذ لم يحقق الاتحاد السوفياتي اي انجاز اقتصادي، ولم يطعم الناس، ذلك لان الفلاح البائس كان يعمل بلا حماس ودون اندفاع ودون قناعة والقوة النووية العظمى لا تملك قمحاً لاطعام الناس.

في بلدان عديدة من اوربا الشرقية كان العامل في المناجم ينزل الى قعر المنجم ويرسم اشارة الصليب او يقوم بإشارة دينية اخرى. كان يقال فيه ربما: يا له من بائس فهو يعجز عن فعل شيء ويخاف. ولكن على العكس، انه رجل رهيب، لم يستقل، كان بإمكانه اعتبار الصلاة امرًا ممنوعاً فيتوقف عنها أكان فوق الارض ام تحتها. لكنه بقي يصلي حتى تحت الارض. انه لم يستقل.

قرأت ريبورتاجاً في مجلة الـ Express يتحدث عن ثلاثة اميركيين احتجزوا كرهائن خلال الثورة الايرانية، وتناولتهم المجلة في اربع صفحات. كان من الممكن ان يصابوا بانهيارات عصبية او ييأسوا، ولكنهم قرروا ان يعيشوا بشكل طبيعي قدر المستطاع وكما كانوا يعيشون في اميركا، فمن اعتاد على النهوض عند الساعة حافظ على هذه العادة، او الجلوس امام طاولته فاستمر على فعل ذلك... مثل آخر عن الجنرال Laval الذي حكم عليه بقطع الرأس خلال

الثورة الفرنسية. قبل صعوده الى المقصلة كان يقرأ في كتاب، وعندما حان موعد صعوده الى المقصلة طوى صفحة الكتاب حيث وصل. كان بإمكانه ان يشتم الحكومة او ينفار او يصرخ، ولكنه قرر ان يكون هادئاً وكأنه سيعود لمتابعة القراءة.

حتى في اقصى الظروف نستطيع فعل شيء، وحتى في الظروف المساوية عندما لا نقوم بفعل شيء فنحن نفعل شيئاً الا وهو تسريع الكارثة المتوقعة بعد ايام او شهور. احياناً عديدة في القضايا الصحية المرضية تؤخر الكارثة ونؤجلها، وتأجيل الكارثة هو عمل.

هناك حالة واحدة يمكن فيها القول: "مش طالع بايدي شي" (عجز عن فعل شيء) وهي عندما تستقيل الارادة! كثيراً ما اسمع واعظين يتحدثون عن الرجاء، ولكنهم لا يتحدثون عنه بمعنى الفعل. وفي ارشاد السينودس ("الارشاد الرسولي: رجاء جديد للبنان، 1997"): "الرجاء هو ان تلتزم". في الرجاء عمل ارادي. تسعى الانظمة التوتاليتارية الى سلب ارادة الناس واستيعابها وضربها.

ان ترشيش هي بلدة نموذجية في هذا المجال، وهي نموذج للنهوض ونموذج للمعاناة. وعندما دخلت للمرة الاولى الى هذا الدير للآباء اليسوعيين وجدته بحد ذاته نموذجاً للحكمة المحلية، نموذجاً بعدم الاستقالة والصمود. والاب كلوترز الذي قتل خلال سنوات الحرب هو نموذج لمعاناة الناس والنهوض والارادة والاستمرارية.

***

"فكر شمولياً واعمل محلياً". غالباً ما نسأل في المؤتمرات: من اين نبدأ؟ والسؤال يطرحه اشخاص واعون. هناك ذكاء ظاهري ربما، ولكن من يطرح سؤالاً مماثلاً فمعنى ذلك انه رجل لا يدرك ماذا يفعل. ابدأ حيث انا وحيث استطيع، يقول نيتشه: "حيث انت انقب بعمق". تم تنفيذ برنامج الحكمة المحلية في سنته الاولى 2001-2002 في خمس مناطق، وصدرت وقائعه في كتاب.

حصل نموذج في طرابلس في حي الدراويش، وهو من افقر احياء لبنان: مجارير، اوساخ، شجارات، وفيه حوالي مائة بيت. من وقت لآخر يقصد النواب ومرشحو النيابة سكان الحي، يسألونهم عن حاجاتهم، يلقون خطابات ويرحلون. قامت جمعية "فرح العطاء" باستنهاض الناس كي يحسنوا اوضاعهم بانفسهم. ليس بمعنى انهم قدموا لهم المشاريع، فالعديد من الناس

في الجنوب قالوا لنا: "تنزل المشاريع علينا ولا نعرف كيف". لكن المشاريع التي "تنزل" على المواطنين دون ان يشاركوا فيها، لا تغير في سلوك الناس، ولا تؤدي الى التنمية ولا الى النهوض.

يتحول المشروع الى عنصر تنمية في حال زاد التمكين، اي اذا فعل قدرات الناس وشاركوا فيه، واذا غير في سلوكياتهم. بهذا المعنى نحن امام تحد مهم، وسنتابع الموضوع لتفعيل القدرات. وعلى البلدية ايضًا ان تكون نموذجية. اؤمن بذلك. قد تقوم ثلاث او اربع بلديات بتجربة رائدة عن طريق سماعها للناس والقيام بجمعهم، وتنظيمها نقاشًا عامًا حول موضوع محدد. ليس المطلوب اشراك الناس لكي يقوموا بهندسة خريطة لمخطط توجيهي، اذ قد لا يدركون كيفية فعل ذلك، ولكنهم يدركون جيدًا بماذا يفيدهم مشروع محدد وماذا يغير في حياتهم.

***

علاقة اللبنانيين والعرب بالمكان علاقة صدامية، صراعية، فيها نزاعات. نجد ناسًا يصلون الى منطقة ما فيقومون بتخريبها، يزيلون الحجارة والصخور ويقلعون الاشجار، ومن بينهم اشخاص متطورون. شاهدت ذلك في حمانا حيث قام اشخاص باقتلاع الاشجار قرب منزلهم. علاقتنا بالمكان صدامية نزاعية هجومية. يروي الدكتور فيكتور الكك انه رغم كل المشاكل التي حصلت خلال الثورة الايرانية لم يقدم اي شخص على قطف وردة او قطع شجرة واحدة من حديقة عامة.

ما العمل لتوفير حماية ذاتية في العلاقة بالمكان. اذا ذهب مواطن الى البسطة او الاشرافية او عكار او اهدن او زغرتا، فهو يحافظ على علاقة سليمة وانسانية مع المكان. البيئة ليست شعارات، وهي تدخل ضمن الحكمة المحلية. انها تشخص المكان، وتخلق علاقة بين الانسان والمكان، ما لم يعمل عليه في لبنان. في شارع عبد الوهاب الانكليزي الذي اعيش فيه لا اشعر بأن الناس يتعاملون مع الشارع على انه شارعهم، مع انه في الامر مصلحة تجارية. اذا كان المكان في ترشيش او في حي في برمانا او في الاشرافية، اذا كان منظمًا ومرتبًا سيرتفع سعر الارض، وترتفع قيمة المساكن، وترغب الناس في ان تقطن هذا المكان. احيانًا نقول: لا اسكن في هذا الحي. لماذا؟ نملك قطعة ارض في حي معين ونعجز عن بيعها، لماذا؟ لان الحي مهمل وغير لائق.

علينا ان نخلق علاقة مع المكان فيها شخصنة للمكان، فيشعر الانسان انه وكما تربطه علاقة بوالده وعائلته، فهناك علاقة تربطه ايضاً بالمكان. نتحدث كذلك عن علاقة بالوطن. علاقتي بالوطن تبدأ بعلاقتي بالحي والشارع. أنا لست من ترشيش او جومه او القبيات...، ولكن حين زرتها عنت لي الكثير. انظر الى الاشجار والصخور بشكل فيه نوع من الرهبة. اشعر انها لي، وهذه هي واجبات البلديات والجمعيات المحلية. المطلوب ان يعمل الناس الجديون محلياً حسب المبدأ التالي: "فكر شمولياً واعمل محلياً".

هذا هو هدف البرنامج. المحلية والحكمية المحلية تعني حسن اداء الحكم وتتناول طريقة تنفيذه.

علاقة اللبناني بالمكان نزاعية وصدامية. اقدر شعور المهجرين، ولكنهم تعاملوا مع المكان الذي حلوا فيه بطريقة صدامية: نشر الغسيل على المداخل والشرفات، تكسير، تخريب... وكأن الاشياء ليست لهم. الرصيف قرب البيت هو لك، والحي كذلك والشارع ايضاً، فما يمسه يمسك. في فرنسا وفي كل بلدان اوربا واميركا هناك ما يسمى لجان احياء. نعلم بانشاء لجان احياء مماثلة في لبنان، تتعاون مع البلدية وتهتم بامور حيها. الحاصل اليوم هو تدخل السياسيين فيها. في الحكمية المحلية نقول للناس: ان دخلت السياسة في هذا الامر فلن نتدخل فيه: نحن نتعاطى في القضايا المشتركة التي تهم كل الناس، وهناك 80% من القضايا مشتركة: الحي، التشجير، النظافة، السير، وضع الطريق... هذه وظيفة لجان الاحياء التي لا يحق لها القيام بامور ضد المخططات العامة. ليس المطلوب منها بمخططات ومخالفة القوانين. المطلوب الاهتمام بالحي. الملعب في المدارس هو لكل التلاميذ، ومدخل الكلية هو لكل الطلاب. اصبحت غالباً الهيئات الطلابية بوقاً للنزاعات وللخلافات السياسية بدلاً من ان تعنى بقضايا الطلاب وبتحسين البيئة الجامعية.

هذا من اهم المشاريع المستقبلية للبلد لانه ينمي مفهوم المشترك. ولبنان بلد صغير. فلو انشأنا لجان احياء، تكفي خمس سنوات لتغيير كل شيء. لو تم تحسين عشر احياء سنويًا في بيروت ستتغير كل بيروت بسرعة لان البلد صغير.

***

الديمقراطية مهددة اليوم في الدول العربية، وفي لبنان. هناك ثلاثة انماط في الحالة الديمقراطية: الديمقراطية الراسخة *consolidée* والديمقراطية المتحولة *en transition*، والديمقراطية المهددة. في لبنان الديمقراطية مهددة من الاوضاع الخارجية والداخلية في الوقت نفسه. لكن الوضع في الدول العربية هو اسوأ عما هو عليه في لبنان. الوضع في لبنان ما يزال مميزاً على الرغم من كل الحالة الصعبة.

***

في الاتحاد السوفياتي القديم كانت الجدة تروي اخباراً لحفيدها عن الايمان وعن تراث الاتحاد السوفياتي. هذه الجدة التي تروي قصة الاتحاد السوفياتي تملك قدرة اهم من لينين وستالين. خلال حكم لينين وستالين صدرت كتب مدرسية للصغار والكبار ابتداء من سن ثلاث سنوات وصولاً الى التعليم الجامعي، تتضمن عقيدة ملحدة هي العقيدة الشيوعية، وترسالة في الكتب والمؤلفات التي تهدف الى ادلجة (من ايدولوجيا) الناس وتعبئتها. جدة الطفل في المنزل، وبعد سبعين سنة، اثرت في تغيير الواقع. الجدة اهم من ستالين.

في المنطقة اليوم ليس من امل آخر، ولكننا نعانى من التعب واليأس بنتيجة الحرب وما بعدها. كيف نستنهض الناس وهي متعبة؟ اكثر ما يهدد لبنان اليوم، ليس الوضع المالي ولا الدين العام ولا حتى العدو الاسرائيلي، اكثر ما يهدد لبنان اليوم هو استقالة الناس من التزامها بالبلد. ما انقذ الجنوب اللبناني من الجبروت الصهيوني هو المقاومة اللبنانية الجدية. ما يهدد لبنان اليوم استقالة الناس وتقاعسهم وهروبهم.

نسير في الحكمة المحلية بعكس التيار، ولكننا بذلك كسمك الترويت الذي يسير دائماً بعكس التيار ولا يغير اتجاهه الا في حال مرضه او موته، عندها يسير مع التيار!

كانت هناك بوادر امل بتحقيق شيء ما من السلام. واليوم هي منبع قيم سلبية. والوضع العالمي بعد 11 ايلول 2001 محزن، وهو يؤدي الى نشوء بربرية جديدة في العالم. لقد تقدمت الانسانية كثيراً في العلوم الانسانية وفي العلوم عامة، ولكن تظهر بربرية علمية. لم يكن البرابرة سابقاً انكفاء، اما اليوم فهم يملكون العلم، هذا يؤدي الى اليأس فعلاً. العلم في خدمة الناس. هذه البربرية الجديدة تهجم علينا. انها نازية علمية تستغل كل العلوم، الاجتماعية وعلوم

الطبيعة. اسباب اليأس والتئيس عديدة. اكثر ما كان مثيراً لليأس هو صلب المسيح، اذ كان الناس يأملون بمخلص سياسي، وآخرون يأملون بمخلص روعي.

***

هذه اللقاءات بحاجة الى متابعة. من الضروري رصد كل الكفاءات وتوظيفها في الالتزام، بمعنى القيام بنشاط هادف في سبيل البرمجة والتطبيق. المطلوب هو الالتزام بالمعنى الميداني. كثيراً ما اجد الشباب يتذمرون خلال المؤتمرات والاجتماعات ويشتكون، وحين اسأل ادهم: ماذا تفعل انت؟ لا اجد جواباً. فلنضع لهذه اللقاءات عنواناً: "ماذا تفعلون؟" للاسف لا زلنا كلبانبيين وكعرب عامة - وكما يقول احد المؤلفين "ظاهرة صوتية"، بينما يجب ان تؤدي هذه الاجتماعات الى عمل. تعميم الثقة هو عمل. تحتاج البلدات اليوم الى ابنية والى اعمار، كما هي ايضاً بحاجة الى استعادة الثقة، اذ متى استعدنا الثقة يصبح الاعمار افضل فيكتسب تراثاً. ما ينقص اللبناني هو استعادة الثقة التي هي اساسية في اعمال التنمية والديمقراطية.

هل شوارعنا مدرسة في المواطنة؟

انطوان مسرّه

علاقتنا بالمكان عدوانية. كيف يمكننا المصالحة مع المكان؟ الهوية، الانتماء، الوطنية، الغيرية، التضامن، الالتزام... تتفرع أكثر هذه المفاهيم من مفهوم المكان ومكوناته الذي يقتضي التفاعل معه والتمرس بإدارته.

ليس المكان مفهومًا محايدًا. انه يحمل حدودًا وخطوطًا وتاليًا صلاحيات ودورًا، وموجبات احترام وتنفيذ وظائف، وتمييزًا بين العام والخاص. خلال العلاقات بين كل فرد منا والمكان عمومًا، يتم تكوين الإدراك والتصرفات والسلوكيات الخاصة بالمواطنة.

لدينا مشكلات كبرى مع المكان، نلاحظ جزءًا منها خلال الحرب عندما قدم مهاجرون من سائر المناطق الى بيروت، كانوا يتصرفون، في الشوارع والمساكن والاحياء، مع الغسيل والمهملات، فوق الشرفات وعليها، كغزاة، لان المكان كان بالنسبة اليهم غريبًا. لا اتهمهم. انه امر في منتهى الوضوح ان يكون المكان غريبًا. يقتضي الاخذ في الاعتبار المظهر الخارجي للسكن، الذي هو ملك الغير، لانه مكشوف امام مرمى انظارهم.

***

اركز على شهادات تتمحور حول تجربتي اليومية المعاشة في المدينة.

1. هوية الحجارة: الحجارة الصخرية والصفراء التي تحد رصيف طريق الشام، ابنة المئة عام، كنت اشاهد العمال يقلعونها ليضعوا مكانها قوالب جاهزة من الباطون! عشت خلال اكثر من شهرين كغريب في مدينتي. انه امر خاص وحميم سرق مني، شعرت بان هويتي تمزقت، مع هذه الحجارة التي جرى استبدالها بقوالب باطون. تملكني الذعر طوال اكثر من

شهرين من ان تذهب العملية ابعد من ذلك، لتصل الى حدود منزلي، والحي الذي اقطنه. الهوية مؤدلجة في لبنان وبطريقة سطحية. تبدأ الهوية مع حجارة الرصيف.

2. **الشارع كمدى ثقافي:** في كل مرة اشاهد حرم العلوم الطبية لجامعة القديس يوسف، والمركز الثقافي الفرنسي الذي كان يحتضن المعهد العالي للأداب، فضلاً عن كاتدرائية الروم الكاثوليك، على طريق الشام، اتنفس وابصر كل روابط التاريخ، والعلاقات الانسانية والثقافية في هذه الامكنة المفعمة بالحياة. هل يمكن ان تقوم مدن من دون جامعات وكاتدرائيات؟ اذا هجرت الجامعات والكاتدرائيات المدن، فانها تتحول اسماً لغير مسمى. حتى الاسواق ينتفي معناها كأمكنة للتلاقي، ولا يعود فيها سوى محلات يدخلها الزبائن للبيع والشراء، من دون قاعدة علائقية وانسانية. بدأت جامعات كثيرة تهجر المدن نحو مناطق بعيدة، ولحسن الحظ ان مدناً اخرى بدأت تتكون على مقربة من هذه الجامعات.

3. **الشارع دليل الى الشأن العام:** في احدى مناطق الجبل، وعلى طول مسافة ثلاثين كيلومتراً، كنت متوجّها بسيارتي في المساء ولم اجد اشارة واحدة ترشدني الى المكان، لم اعثر على اي لافتة او لوحة باسم الموقع. كل ما وجدته هو لافتات خاصة: فرن خالد، عيادة الدكتور فلان، مسكن فلان... دون اي لوحة او ملصق عن اسم قرية او بلدية او ادارة عامة. وادركت كم نحن ظالمون، في الواقع، إزاء اللبناني. نوجه اليه التهم بأنه لا يملك حساً وادراكاً لمفاهيم الدولة، والمصلحة العامة والمواطنة. نتجول على مدى اكثر من ثلاثين كيلومتراً، دون اشارة او لافتة او علامة، تعني شيئاً عامّاً. لا شيء سوى لافتات خاصة. اضعنا اكثر من ثلاثة ارياع الساعة كي اجد القرية التي كنت اقصدها.

4. **اجتياح الشارع:** شوارعنا معتدى عليها. وهي ظاهرة بدأت تصبح مزعجة بشدة: اللافتات الدينية في المدن، وعلى اوتوستراد جونيه، برمانا، بيت مري، وفي مناطق كثيرة من بيروت، وطرابلس، وصيدا... في الماضي كنا نلقي على خطوط التماس مسؤولية الفرز الطائفي، اما اليوم، فالملصقات الدينية منتشرة لتفرض نفسها عليك، وهي تالياً سياسية اكثر منها دينية او روحية. في كل انحاء لبنان تنتشر امكنة عبادة مسيحية واسلامية. وهذا امر يطمئن الجميع. ومن حسن الحظ وجود مذاهب في لبنان، بفضلها تم ترميم اماكن العبادة في وسط بيروت، والمحافظة

عليها من التدمير. لكن الملصقات الدينية المنتشرة في الشارع، تجتاح الشارع، تصدر تمثيل الشارع، وتقرض على المارة نماذج ومرجعيات تمثيلية.

ان انتشار هذه الملصقات الدينية - واستثني منها بالتأكيد الملصقات في الظروف الخاصة المطابقة لعادات اللبنانيين واعرافهم ومعتقداتهم - تبدو منذ لحظة دخول حي، او مدينة، او منطقة، لجميع الذين لا يريدون ان يفهموا بأنهم موجودون - رغم انتهاء حرب الاسلحة، في بيروت شرقية، او بيروت غربية، في حي مسلم، او حي مسيحي - في منطقة غربية عنهم.

5. شارع السلطة: الشوارع في بعض المدن العربية تجتاحها سلطة حاضرة وموجودة

في كل مكان لجميع الذين يوهمون انفسهم بانهم احرار، مستقلون، لا يأبهون لسلطة النظام. تجد في كل مكان من الشارع، وعلى لافتات المحلات، وعلى شرفات الابنية، وطوال السنة، شعارات وصورًا سياسية. يصبح الشارع تاليًا ملكية محصورة بالنظام، بدل ان يكون مكانًا للتلاقي والحوار والتمييز بين الخاص والعام.

لا يمكن ان انسى امستردام بشوارعها ذات المجالات الاربعة والمتوازية: مجال للغابة، وآخر للمشاة، وثالث لراكبي الدراجات، ورابع للسيارات، وفي كل مكان اشارات جانبية ظاهرة من اجل توجيه الحركة، انه مجال منظم وواعد بسلوكات منتظمة.

6. شارع الذاكرة الجماعية: اسماء الشوارع والنصب التذكارية تبني ذاكرة جماعية. لا

يترك التاريخ الملحن اثرًا بالقدر الذي يتركه التاريخ المعاش يوميًا، بفضل اسماء الشوارع والنصب التذكارية. يقتضي تثير ذلك والافادة منه في مجال التربية الوطنية للشباب. نحتاج اليوم الى امكنة جديدة للذاكرة في احيائنا وشوارعنا. سنختلف دومًا حول الزعماء الكبار الذين حكموا في الماضي. وبالعكس، فان الآلام المشتركة التي عاناها اللبنانيون بين 1975 و1989 يمكن ان تولد هوية مشتركة، اكثر متانة ومناعة في مواجهة مخاطر الانقسامات الداخلية والمداخلات الخارجية، اذا تولدت صدمة جماعية وتوبة قومية تتناقل من جيل الى جيل بفضل النصب التذكارية، نصب تذكر بوالد تلك العائلة التي اصيب برصاصة قناص بينما كان يحمل ربطة خبز لعائلته، وبوسطة التلامذة التي كانت تعبر خط تماس المتحف واصيبت بقذيفة، وبالطفلتين مايا وربى اللتين غرقتا في بحر جونييه بينما كانتا تحاولان مع اهلها الخروج من الحصار.

7. من الشارع الى المدينة الوفاقية: كمواطن بيروتي الاصل، يسكن قريباً مما سمي خط تماس، تولد لدي ادراك بانه توجد، فضلاً عن بريرية الاسلحة، بريرية اخرى ترهق المدينة، هي لعشائر جاءت من حيث لا ادري وتتحدث عن بيروت شرقية وبيروت غربية. كنت اتابع الحوادث، احلل واستوعب مثل ما يمكن لاي مواطن ان يفهم. لكن مفاهيم بيروت شرقية وغربية، رغم انها ظاهرة للعيون وقاتلة على اقل من ثلاثين متراً من منزلي، لم اكن افهمها، بالمعنى الحقيقي للفهم، اي الادراك، والاستيعاب... بيروت شرقية وبيروت غربية كانتا نمطين سياسيين بالنسبة الي، غربيين عن تجربتي المعاشة وتركيبتي العقلية البيروتية.

تكشف هذه الظاهرة عن ظاهرة اخرى شديدة الخطورة لكل المدن، وبخاصة المدن العربية، هي ظاهرة تريفيف المدن. لا يعني هذا ان سكان الريف هم من طينة انسانية تختلف عن سكان المدن. من يسكن في قرية او مدينة، دون ان يندمج فيها ثقافياً، يبقى غريباً هامشياً، يحمل معه سلوكيات حرمان وعزل وعدوانية.

***

اليوم في بلدية بيروت التي تعيد بناء ذاتها، لا يشعر احد بوجود بلدية. ماذا يمكن ان نفعل؟ لجان الاحياء مهمة وتساهم في اعادة تثقيف الناس، المجالس البلدية لها دور تربيوي. اليوم في بيروت، توجد بلدية مؤسسية، ولكن لا توجد بلدية تتواصل مع الناس وتعيد بناء النسيج الاجتماعي والانساني، نسيج المواطنة المعاشة يومياً والمفعمة بالانتماء والمسؤولية والمشاركة.

المواطنة والطائفية: المجال العام هو الحل

انطوان مسرّه

الفكر السياسي اللبناني اسير مقولة يجتريها سياسيون لتبرير ممارساتهم، ويجتريها ايضاً باحثون منذ العشرينات وتتخلص بما يأتي: المواطنة في تناقض مع الطائفية، وما دامت الطائفية موجودة فلا مجال للوحدة الحقيقية والاندماج الاجتماعي. لا تستند هذه المقولة الى دراسات مقارنة حول المجتمعات الشبيهة بلبنان، وقد توصل كثير منها الى درجة عالية من المواطنة. ليس الموضوع ترفاً فكرياً او مجرد تنظير. المقولة هذه تؤثر على الممارسة السياسية وسلوك المواطنين والباحثين في لبنان في كل ما يتعلق بحقوق الانسان والثقافة المدنية.

لم تعد هذه المقولة اليوم بريئة، على رغم حسن نية المفكرين، لانها اصبحت تبرر سلوكيات خطيرة بالنسبة الى مستقبل الديمقراطية ودولة الحق، اذ تترجم عملياً المقولة بأقوال وافعال على النمطين الآتيين:

1. **المحاصصة القسوى:** يقول بعض السياسيين: ما دام النظام اللبناني لا يزال قائماً على الطائفية، فنحن نطالب بحصتنا كاملة. على هذا الاساس المنطقي ظاهراً تجري محاصصة طائفية على كل المستويات وادناها، بشكل لم يشهد له النظام اللبناني مثيلاً في كل تاريخه، وكأن بين الطائفية واللاطائفية وبين الطائفية والعلمنة هوة شاسعة ولا يتوافر بين الاثنتين اي تدبير او تدابير وسطية تسمح بتحقيق نظام مشاركة "التماسا للعدل والوفاق... ودون ان يؤول ذلك الى الاضرار بمصلحة الدولة"، بحسب نص المادة 95 القديمة الطيبة الذكر. منطق الممارسة هو الآتي: حيث ان الموضوع حسب القول الشعبي: "فالج لا تعالج"، فالسياسيون الطائفيون مرغمون

على التصرف استزلامًا ومحسوبة. لكننا نعرف عمليًا ان بعض اشكال الفالج تحتتمل اشكالاً عدة من المعالجات الناجحة.

2. **الاستقالة الفكرية:** الظاهرة الاخطر لدى باحثين يصنفون انفسهم باللائطانيين او العلمانيين انهم، انطلاقًا من التناقض المطلق في ذهنهم بين الطائفية واللائطانية، يعتبرون ان لا مجال للبحث في اي شيء آخر، وان ما يجري يشكل مسارًا طبيعيًا للطائفية ويكررون في اطروحات ومؤلفات وكتابات خطابًا مملًا حول "الغاء الطائفية". انهم بذلك يوفرون صك براءة حول ممارسات سياسيين طائفية واستزلامية ومحسوبة. كتب شارل حلو افتتاحية في "لوجور" في 18/8/1945 يقول فيها ساخرًا: "انا الغي الطائفية، انت تلغي الطائفية، هو يلغي الطائفية، نحن نلغي الطائفية..." وصل العقم الفكري الى درجة ان التصريف هذا لم يتغير كثيرًا بعد نصف قرن، وكأن المخيلة الدستورية في لبنان والعالم عجزت عن ايجاد مسارات توفيق بين مقتضيات انظمة المشاركة والمصلحة العامة.

من المؤكد بعد تجربة اكثر من نصف قرن، فكرًا وممارسة، ان هذا النمط من التفكير لا يوصل الى نتيجة، بل على العكس اصبح مضرًا لانه خلافاً لحسن النيات يشرعن السياسة الطائفية ويبرر قول بعض السياسيين: ما دام النظام لا يزال طائفيًا، نطالب بحصتنا بأي شكل، على كل المستويات وبأي ثمن! ونتيجة ذلك يمكن اعتبار الكثير من المنظرين اللاطانيين على نمط "الغي الطائفية..." من ابرز المبررين للسياسة الطائفية السائدة! الجدل العقيم بين هوتين منفصلتين، اما الطائفية واما اللاطائفية، عاش طويلاً وازدهرت معه الطائفية.

تهرّباً من البحث الجدي راجت المقولة المعروفة: استئصال الطائفية من النفوس قبل النصوص، وكأنه يقتضي إجراء عملية جراحية في الدماغ او اعتماد غسل دماغ بواسطة كتاب مدرسي تلقيني موحد في التاريخ والتربية المدنية، بينما الجو السائد يبقى طائفيًا الى اقصى الحدود... في انتظار نتائج العملية الدماغية! ونجتز مقولة النفوس والنصوص... بينما الامور تسير الى اسوأ.

مسار نظري وعملي آخر

العلاج الفعلي في مسار آخر: المجال العام، اي المشترك الجامع بين اللبنانيين في حياتهم اليومية، في الحي والرصيف والشارع والخدمات العامة من مياه وهاتف وكهرباء ومعاملات ادارية... هذا المسار له انعكاسات ضخمة على كل المجالات. المشترك الجامع الحياتي يشكل ما لا يقل عن 80 في المئة من قضايا اللبنانيين. كلما توسع الارتباط بالمجال العام، ادراكًا وممارسة يومية معيشة في الشارع والحياة اليومية، العائلة والعشيرة والقبيلة والطائفة... وكلما انحسرت امكانات استغلالها السياسي.

الاستقلال والسيادة والامن القومي والقضايا الكبرى معيارها وضمانها واستمرارها مرتبطة بمدى وعي المواطن للشأن العام ومدى اهتمام الحكام بقضايا الناس. عند البحث في الهاتف والكهرباء والمياه وحاجات المواطنين وعند مطالبة المواطنين بحقوق مشروعة يدفعون ثمنها يتولد عندئذ الاقتناع بأن السيادة والاستقلال ودولة الحق وحكم المؤسسات ستكون جدية.

"اجت الدولة"

الشأن العام في حياة المواطن اليومية هو الطريق التي يسلكها والرصيف الذي يمشي عليه واسماء الشوارع وارقامها واشارات السير... يعني الشأن العام ايضًا المياه التي تسري او لا تسري في القنوات، واشترك الهاتف الذي يمكن او لا يمكن الحصول عليه، والرقم الذي يلبي او لا يلبي، وكذلك الاشرطة الكهربائية التي تنير او لا تنير. عندما ينتقل اللبناني من انارة المولد الكهربائي الى انارة مؤسسة كهرباء لبنان يقول بعفوية واختصار: "اجت الدولة". الدولة التي ترعى الشأن العام هي بالفعل، وفي عمق الادراك، الانارة والهاتف والمياه ومختلف الخدمات العامة، قبل ان تكون السلطة التي تحتكر القوة المنظمة.

الخدمات العامة المتعلقة بالهاتف والكهرباء والمياه والمعاملات الادارية هي المدخل في ادراك الناس الى المواطنة والمصلحة العامة والعلاقة اليومية المعيشة، بين المواطنين الذين يغذون الاموال العامة والسلطة التي تتولى ادارة الانفاق للمصلحة العامة.

هل هذا المفهوم للشأن العام النابع من التقليد الروماني Res publica لا يزال حديثاً في الادراك والممارسة في لبنان؟ البلد الصغير، بلد طوائف ومذاهب وفئات ومناطق وعائلات وحزبيات وحزازات، هل هو عاجز عن ادراك الشأن العام والعمل بمقتضياته؟ اورد وزير الثقافة والتعليم العالي، ميشال اده، في الندوة الافتتاحية لآعمال الجمعية اللبنانية لعلم الاجتماع ان كلمة جمهورية République من اللاتينية: Res publica اي الشأن العام، على عكس نظام الملكية المطلقة بينما اعطيناها معاني جماهيرية بعيدة عن اصلها.

الهروب من الشأن العام

اشكال الهروب من حقوق الشأن العام في لبنان وواجباته، عدا مقولة النصوص والنفوس، كثيرة ابرزها توجه اللبناني الى دولة بعيدة ومن فوق وكأن لا حق له بالمشاركة والمراقبة والضغط. تحولت احزاب عدة خلال الحروب في لبنان الى مراكز خدمات بهدف خلق روابط اجتماعية مع قواعد شعبية هاربة، بينما بعض اشكال الخصخصة اليوم في قطاعات خدماتية واستمرار تدهور الخدمات من دون تبرير ذلك للمواطنين يؤديان الى تفكيك روابط يومية بين المواطنين والدولة. وسوء اداء الادارة العامة من دون تبرير ذلك امام المواطنين يؤدي الى مزيد من تفكيك روابط الشأن العام الذي يفترض حقوقاً وواجبات بالنسبة الى المؤسسات الرسمية كما بالنسبة الى المؤسسات الخاصة والافراد.

الشأن العام في البلد الصغير والمتنوع هو الذي يجمع ويوحد. مفهوم الشأن العام هو على مفترق ثلاث قضايا: المواطنة والديمقراطية بمعنى العمل مع الناس وللناس (مما اعتبرناه ديمآغوجية) ودولة الحق التي تفترض معايير ومراقبة في القضايا الكبرى كما في القضايا اليومية. تنص مقدمة الدستور المعدل في 1990/9/21: "الشعب مصدر السلطات". بحثنا في السلطات وصلاحياتها وتوازاناتها ونسبنا، وقد ننسى، الشعب. برنامج "الشأن العام في لبنان اليوم: حاجات وتخطيط" في جامعة سيدة اللويزة بادارة الدكتور عبدو قاعي هو ارضية البناء قبل المباشرة في السقوف والسطوح.

الانعزالي والاممي... في البناء المشترك

يندرج الشأن العام في مستويات عدة كرابط اجتماعي. على المستوى المصغر في العلاقات بين الافراد كما على المستوى الوطني الاوسع. نعطي الحالة المبسطة الآتية: في البناية ذات الشقق المتعددة، هناك مالك شقة منغلق على ذاته، لا يساير بقية الجيران وينزوي في بيته لكنه يساهم في انتخابات الجمعية العمومية، ويدفع مساهمته في المصاريف المشتركة، ويتقيد بنظام البناء... وهناك جار آخر شديد الانفتاح والمجاملة مع الغير، لكنه لا يتقيد بموجباته، ولا يحترم قواعد الملكية المشتركة... من الحكمة عدم مجابهة الفئوي والانعزالي والاممي والتقدمي والتطوري في توجهاتهم ذات الطابع المذهبي او الثقافي والانصراف الى العمل الجاد واليومي في مجال تمتين روابط المجال العام: رصيف، بيئة، قواعد سير على الطرقات، خدمات عامة من مياه وكهرباء وهاتف ومعاملات ادارية تؤديها الادارات العامة.

اذا ترسخت هذه الروابط في البناء المشترك كما في الوطن المشترك لا ترزعني بعدئذ الولاءات الاولية لانها ستتحصر بالضرورة في اطر ضيقة وفي حدودها من دون ان تمتد الى المجال العام الذي ترعاه مصالح مبنية على حقوق وواجبات وضعية. المجال العام على المستوى المصغر هو مدخل البناء والدرج والاقسام المشتركة والصيانة المشتركة وهو ما يحقق الاستقرار والتآلف والازدهار للمصلحة المشتركة.

على المستوى الوطني الواسع، يشمل الشأن العام ثلاثة امور:

- الملكية العامة (ارض، انهر، بحور، غابات...) كما هي مدرجة في الصكوك العقارية.
- الاموال العامة، التي مصدرها اموال مكلفين بالضرائب لهم تالياً حق المطالبة والمحاسبة.
- المصالح العامة في مختلف القضايا الاقتصادية والاجتماعية والترفيهية والامنوية... والتي تتبلور في عملية التعبير عن المصالح والتشريع.

المدخل الى المواطنة واللائطافية

الشان العام هو المدخل لبناء المواطنة وتخطي السياسة الطائفية وترسيخ الاندماج الاجتماعي. الخصخصة والاصلاح الاداري والاعمار والسياسة الضريبية والعلاقة بين الرسمي والخاص والبلديات... اذا كانت لا تحمل هاجس توسيع رقعة الشان العام وادراكه لدى المواطنين فهي تأسيس لدولة مناقصات والتزامات - او يدركها المواطن كذلك - غريبة عن الناس فيضطرون الى تمتمين روابط اخرى حزبية ومحسوبية ومذهبية.

لكنه من الخطورة اعتبار الشان العام شأن الدولة. انه منحى تسلطي لا مواطني في مفهوم الشان العام. في قطاع التعليم مثلاً المدرسة الرسمية والمدرسة الخاصة تؤديان خدمة عامة وكل الجامعات في لبنان "وطنية" طالما انه معترف بها قانوناً.

انهيار مفهوم الشان العام بعد سنوات الحروب هو الذي يفسر المزيد من التطييف في السياسة اللبنانية. متى نبحت في الشان العام وتوسيعه بدل السجال القديم حول الطائفية واللائطافية الذي يبرر الواقع في اسوأ مظاهره تحت ستار ارادة التغيير؟ ان الحديث عن الطائفية لم يعد بريئاً. انه يبرز عقم الفكر اللبناني ويشرعن السياسة المتبعة.

المنظرون اللاطائفون والعلمانيون على نمط: "الغي الطائفية، تلغي الطائفية، يغلي الطائفية، تلغي الطائفية..." اصبحوا اداة تبرير لسياسة طائفية تتنافى مع مضمون المادة 95 القديمة والجديدة من الدستور. اذا توقف المنظرون في الطائفية واللائطافية، وقد استنفد البحث في هذه القضايا وزادت الاوضاع طائفية، لينصرفوا الى البحث والعمل لتوسيع رقعة المجال العام، نكون عندئذ في بداية المسار نحو دولة المؤسسات اي الخدمات العامة والمجتمع الحقوقي.

المصلحة العامة

انطوان مسرّه

A Coller 13 pages

لا احد بديل عن احد

انطوان مسرّه

لا احد بديل عن احد. ان اتكال اللبنانيين على الدولة "القادرة والعادلة" هو اليوم العائق الاكبر تجاه التنمية والديمقراطية والممارسة المواطنة اليومية. يعبر هذا المنحى عن مفهوم كلي وسلطوي للدولة، بينما الدولة الديمقراطية متميزة الوظائف وناظمة للمجتمع ومتفاعلة معه.

***

أدركت حسيًا دور الجمعيات الاهلية وفاعليتها في لبنان عبر ما شاهدت من فقر مدقع في بعض بلدان افريقيا وآسيا. تلمس حسيًا هناك ان لا شيء سينتج من السلطة المركزية على المدى المنظور، وان المعالجة الوحيدة تكمن في استنهاض الناس في الشوارع والاحياء والبلدات ليحسنوا اوضاعهم ويؤطروا مبادراتهم الذاتية.

وأدركت في بعض شوارع الكامبيرون والهند حجم ما حققته الارساليات التربوية في لبنان وفاعليته، والتي يسميها البعض طائفية واستعمارية، فعلمت الناس في المدن والقرى.

ان الحاجة اليوم في لبنان الى مزيد من الجمعيات الاهلية خصوصًا في شكل لجان احياء في المدن والبلدات من دون انتظار الدولة ولا السياسيين ولا المجالس البلدية الرسمية، وذلك كي تعمل هذه اللجان مع سكان الحي على تحسين اوضاع الحي وتجميله وتفعّل النقاش المحلي الذي لم يقم به إلا قليلون حتى اليوم.

في الاحياء في سويسرا، باستثناء بعضها النادر، لم أجد شبانًا مكسورًا أو بابًا غير مطلي او شجرة غير مشدبة او كيس نفايات على مدخل غير مقفل باحكام... لم أجد غلطة واحدة. ليس هذا من صنع السلطة المركزية او المجلس البلدي بل من صنع مواطنين يتقون بقدرتهم ولهم حس عميق في المجال العام المشترك.

***

المثال على اعمال من هذا النوع في لبنان استنهاض سكان "حي الدراويش" في طرابلس بمبادرة من جمعية "فرح العطاء".

لم تنفذ لهم الجمعية "مشروعاً"، بل الناس هم الذين بادروا وشاركوا وعملوا على تحسين اوضاع الحي. وكذلك برنامج "المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم" عن "الحكمية المحلية" الذي يشمل كل سنة خمس بلدات في عملية إصغاء للناس ونقاش محلي عن القضايا المشتركة وتنفيذ مشروع - مبادرة محلي عبر القدرات الذاتية المحلية.

إذا انتقلت الجمعيات الاهلية في لبنان من ذهنية الرعاية الى ثقافة التنمية، وإذا تعمدت تجربة لجان الاحياء، حيث الناس يعتمدون على أنفسهم لتحسين اوضاعهم، فإن النهوض التنموي والديمقراطي سيكون متجزراً في السلوكيات اليومية، ويتحقق في أقل من خمس سنوات. لبنان بلد صغير، وإذا تحققت عشر تجارب رائدة في مناطق عدة في السنة الأولى وعشر تجارب اخرى في السنة الثانية... تنتشر العدوى.

***

يقول لنا بعض سكان الجنوب: "تنزل علينا المشاريع ولا نعرف من اين وكيف!" هذه ليست تنمية، بل مجرد إعمار أو استزلام الناس لصالح القيمين على هذه المشاريع. التنمية هي تمكين والديمقراطية هي مشاركة.

تتحول السياسة اليوم في لبنان والعالم تعبئة ونزاعاً وخطاباً فارغاً وتنافساً بين السياسيين. الحاجة الى اعادة تأهيل السياسة عبر نماذج ميدانية في التغيير تقوم بها جمعيات اهلية ولجان احياء. يقتضي جمع هذه النماذج العملية والتعريف بها وتعميمها كبدل عن الخطاب السياسي الفارغ.

بناء الدولة "القادرة والعادلة" هو ثمرة جهد مواطني يومي في المراقبة والمحاسبة والمشاركة والمبادرة. وتالياً هو ثمرة عمل جمعيات مبادرات فردية وجماعية متراكمة حيث يقول الناس: "بيطلع بإيدنا". انه شعار "حي الدراويش" في طرابلس بعد ان استنهضتهم "فرح العطاء".

واثناء تنظيمي برنامج "الحكمية المحلية" قال لنا الكثيرون في البلدات: "انتم اول من يجمع الناس في قرية، اذ "الحزازات والحزيبات" تفرق وأبسط الأمور اليومية المشتركة مسيئة لصالح الزعامات.

***

يمر لبنان بمرحلة انتقالية صعبة في مساره الديمقراطي والتموي. القضايا الكبرى التي تطرحها قيادات سياسية محقة ولكنها ربما بعيدة المنال. يقتضي الاستمرار في المطالبة بها والسعي الى تحقيقها، ولكن في انتظار ذلك ماذا يفعلون على المستوى المحلي واليومي؟ مزيد من التبعية واستنزاف الناس؟ ام ممارسة يومية فاعلة تدخل في قلب المجتمع وعمق نسيجه الاجتماعي عبر جمعيات ولجان ومبادرات من الناس ولهم ومعهم؟

مقابلة مع الين فرح، النهار، 2003/1/18

نماذج حية في ممارسة الشأن العام

انطوان مسرّه

نورد في ما يلي نماذج حية، مستخرجة من تاريخ لبنان، حول ممارسة الشأن العام وتشكل أنماطاً تشير التماثل والافتداء.

لا "واسطة" لابن الرئيس الفرد نقاش

بيروي فيليب بولس ان النجل الأكبر لألفرد نقاش، وهو الان المهندس جوزف نقاش، كان من المرشحين لامتحان البكالوريا، وكان وزير التربية هو رامز خليل سركيس صاحب جريدة "لسان حال". وكانت الحكومة قد تجددت برئاسة احمد الداوق. وقد اخذ كبار موظفي وزارة التربية يسألون عما اذا كان هناك توصية بشأن التلميذ جوزف الفرد نقاش. هل ترسل توجيهات الى مراقب الغرفة التي سيجري فيها الامتحان ام ماذا؟ لكن الفرد نقاش حسم الموقف بأن قال لوزير التربية رامز سركيس بحضور الرئيس احمد الداوق:

- جوزف نقاش هو واحد من سائر اللبنانيين. اذا ابلى بلاء حسناً في الامتحان، فلينجح. واذا لم يفعل، فليسقط. هذا امر يتعلق باجتهاده او عدمه. ثم ما ذنب سائر التلاميذ الذين لن يوصى بهم في الامتحان؟ هل ذنبهم ان والدهم ليس الفرد نقاش؟ لا اريد من احد ان يتدخل يا رامز. وسأجعل من هذا الامتحان شرفاً يليق بلبنان.

وكانت المفاجأة ان جوزف نقاش سقط في امتحان البكالوريا، وكان عليه ان يعيد السنة الدراسية، وكان ذلك وسامًا لنزاهة الامتحانات الرسمية في تلك الأيام... الخوالي!
وليد عوض، أصحاب الفخامة رؤساء لبنان، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، 1977،
ص 277-278 (الفرد نقاش هو رئيس الجمهورية اللبنانية قبل الاستقلال،
1940-1943).

عائلة الموظف

من تربيته البيتية حفظت فيما حفظت احترام الدولة والتقدير الدقيق بالقانون والأنظمة.
فكان والدي صارمًا لهذه الجهة بدأ بنفسه: كان يتقانى في وظيفته حتى كان بعض الدركيين
يأتون الى البيت أثناء غيابه ويشكون الى والدتي انه يلازم مكتبه حتى في حال المرض مما
يجعلهم، هم، يخلون من التغيب بسبب المرض. وأذكر كم كان انضباطيًا حتى المساواة في
سلوك الدركيين وقصة شعرهم ووضع قبعاتهم ووقفهم وهندامهم وأزرار سترتهم.
وأذكر كم كان ابي، مثال الموظف الآدمي (المستقيم) حتى المبالغة. فلا أنسى عندما
انتقلنا الى جونييه. كنت لم أبلغ بعد السابعة من العمر. أقبل المهنئون للترحيب بالضابط وكان
في ذلك الحين وهرة خاصة للضابط وما يمثل. فأرسل احد وجهاء المنطقة قرط موز من جنينته
الفسيحة. فما كان من والدي الا ان رده فوراً دون أي اعتذار. من هذا، لدي أمثلة عديدة. وانا
أعتر بانتمائي الى بيت موظف نزيه سواء بالنسبة الى والدي او، بعد ذلك بسنوات، بالنسبة الى
أخي (...). فلمست عن قرب بل عشت حياة التقشف كي لا أقول الحرمان التي يربى فيها أولاد
الموظفين "الأوادم".

نقلا عن: انطوان مسرة وطوني عطالله (إشراف)، لور مغيزل: نصف قرن دفاعًا عن
حقوق المرأة في لبنان، بيروت، مؤسسة جوزف ولور مغيزل، المكتبة الشرقية، 1999، جزء 1،
ص 816، ص 25-26.

لماذا دمعة عبدالله اليافي بعد تركه الحكم؟

كانت الشمس تطلع صفرتها مع غروب احد الأيام في صيف عام 1939 (...). عندما وقف ابوعارف على شرفة منزله في بجمدون يجرّد حساباته في استراحة بدا فيها كأنه يلتقط انفاسه.

لقد عاد عبدالله اليافي للتو من بيروت بعدما طلق الكرسي معلناً استقالة حكومته، وعلى الشرفة التي انزوى فيها مع حسابات اللحظة الصعبة لمعت في عيني الرئيس دمعة... وقلما تدمع عيون الرجال.

ظنت زوجته هند العظم اليافي للوهلة الأولى ان تلك الدمعة تفرقت حسرة على فراق المنصب او انها تدرجت ندمًا على قرار متسرع.

حاولت السيدة التي احبت في رب البيت "المحامي" بعدما خطفته السياسة، الاستفسار عن سر زوجها وحاله ففوجئت بما لم تكن تتوقعه عندما قال لها:

- أفكر كيف يمكننا ان نعيش من الان حتى عودة الزبائن الى المكتب.
عندها ادركت الست هند ان قرار الاستقالة اصبح خلف الرئيس، وامامه عناء العيش ومستلزماته وهم تحريك مكتب المحاماة من جديد بعدما هجره طوال وجوده في السلطة.
نقلًا عن: وسام ابو حرفوش، "هند عبدالله اليافي تروي حكايات عن زوجها"، النهار، 1996/2/6.

كي لا "يتبهدل" اولادنا في ادارة عامة

بعض زملائي في الإدارة حيث انا موظفة، بصفة رئيسة دائرة، يتذمرون من مواقفي في دراسة ومتابعة المعاملات حسب القانون والمهل المحددة. يقول لي بعضهم، علنا او بالخفاء:

- لا تستقيدين وتمنعين غيرك من الاستفادة!
انهم يعنون بذلك الحصول على رشوة او على الأقل "اكرامية" من اصحاب العلاقة.

عندما ردد لي ادهم هذه العبارة بشيء من الإصرار والقناعة، قلت له بعد ان فشلت وسائل الإقناع السابقة:

- لن اغير موقفي. لا اريد بعد عشر سنوات او اكثر ان يتبهدل ابني او ابنتي عندما يأتون الى ادارة لبنانية لإنجاز معاملة!

افلين مسرّه، نقلاً عن: **علاقة المواطن بالإدارة، المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم، المكتبة الشرقية، بيروت، 3 اجزاء، 1996-1999.**

اين الفساد؟

كنت عائدة من عملي في سيارة تاكسي. سألني السائق اذا كنت اعمل واين. قلت بأني موظفة في احدى الوزارات منذ ان انهيت دراستي الجامعية. قال: تريحون مالاً كثيراً اليس كذلك، وكان يعني الرشوة. قلت: لنا تعويضات سنوية لا تتذكر لان عملنا صعب. شعر بانني لم افهم ما اراد قوله وازدادت حيرة. سمعت زميلي امس، وابنته تدرس في الجامعة انه عندما تتخرج سيوظفها في هذه الوزارة لانها ستريح "مال براني". تعجبت وقلت له: زميلك يربي ابنته في الجامعة على الدرس ولا يريها على الأخلاق! اذا كانت ستأتي الى الوزارة بهذه الفكرة وهذا الاستعداد، الأفضل الا تأتي! هل الفساد في الوزارة ام في تربية المواطن؟

نقلاً عن: **علاقة المواطن بالإدارة، بيروت، المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم، المكتبة الشرقية، 3 اجزاء، 1996-1999.**

وطن نساعد

يحدث غالباً انقطاع التيار الكهربائي في لبنان بسبب القصف الاسرائيلي المتكرر على محطات توزيع الكهرباء في الجمهور والزهراني وبصاليم. حدث ذلك في 24 حزيران 1999 فانقطع التيار الكهربائي لأسابيع متتالية في مبنى الوزارة.

اتى مواطن في احد ايام تموز لإنجاز معاملة له وكان الحر في اشدّه والتيار الكهربائي مقفوداً. وعدد المواطنين الذين اتوا لانجاز معاملاتهم كبير وعدد الموظفين قليل. فاضطر للانتظار في كل مرحلة ولم تنته معاملته قبل نصف ساعة، فانزعج ليس من طريقة إجراء المعاملة ولكن من الحر وعدم توفر التكييف والغرف الضيقة التي تغص بالمواطنين. وعندما حضر الى مكتبي لتصديق معاملته، وهي معاملة شراء شقة فخمة في رأس بيروت مصرح عن ثمنها بمبلغ 750 مليون ليرة لبنانية، كان شديد الغيظ من كثرة الحر وقال: اشكرك سيدتي، ان معاملتك جد لطيفة، ولكن ما هذا الوضع، الشارع ضيق ووسخ والمبنى مشطى والمكاتب ضيقة ولا يوجد اي تكييف؟ اين الوزير، هل زار هذا المبنى، سمعنا بان الوضع قد تغير. لم يتغير شيء. انا طبيب اسكن باريس وسوف لا اعود مرة ثانية الى لبنان... وهم بالخروج من الغرفة!

لم يكن كلامه دون تأثير علي وبكل عفوية أجبت:

- ارجوك ايها الطبيب، تقول انك طبيب، فاذا قال لك ابنك بانه مروج ويشكي من مرض، تتركه وتذهب وتقول له: انا ذاهب لأنك مريض وسوف لا اعود اليك؟ ان لبنان يخرج من الحرب ونحاول معالجة وضعه وانت تهدد بان تتركه نهائياً.

خجل قليلاً ولم يجد كلمات للاعتذار عما قاله. فأضفت:

- دكتور، اذا كنت تنتظر بان تصبح بيروت كباريس لتعود انت الى لبنان، فأضحك بان لا تفكر بالعودة لان طلبك ليس بالسهل طالما انكم لا تفكرون بمساعدته بل بالعكس استغلاله.

نقلاً عن: علاقة المواطن بالإدارة، بيروت، المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم، المكتبة الشرقية، 3 اجزاء، 1996-1999.

الـ 139 يستمع الى شكاكم

انه وقت الظهر. فريق العمل النهاري هو في خضم الاتصالات. يستلم حوالي 400 مكالمة هاتفية. يردد المتحدث انه منذ يومين انقطع صوت هاتفه. تجيبه عاملة المركز:

- هل تأكدت أولاً انك دفعت كل فواتيرك؟ واذا كنت سددت هذه الفواتير، نتكفل بإرسال فريق الإصلاحات في اليومين القادمين.
يصعب التصديق! في اليوم التالي يصل موظف اوجيرو الى العنوان المذكور ويكشف على غلبة الهاتف... وبعد ساعة يحدد موقع العطل ويصلحه... مجاناً! وتقول احدى العاملات في الهاتف: "اذا لم يتم الإصلاح خلال ثلاثة ايام فاتصل بالرقم 119".
نقلاً عن: كارلا هنود، "الـ 139 يستمع الى شكواكم"، الأوريان-لوجور، 1999/11/3.

كيف تعرف الرئيس فؤاد شهاب على القاضي في ديوان المحاسبة الياس سركيس

عام 1955-1956، كانت هناك مشكلة ادارية عالقة في المؤسسة العسكرية تتعلق بالتزامات في ادارة الجيش. احوالت هذه الادارة الملف بعد درسه الى الرئيس فؤاد شهاب، وكان حينها قائدا للجيش. لم يقتنع الرئيس شهاب فاحال الملف الى وزارة العدل، فأنتت مطالعتها مطابقة لمطالعة مجلس الاركان.

المطالعتان لم تقنعا الرئيس شهاب الذي كان يحترم القانون والدستور احتراماً شديداً. فأجرى اتصالاً برئيس ديوان المحاسبة المير جميل شهاب. اقترح عليه المير شهاب ان يقوم بدراسة القضية قاض جديد وصفه "بالشخصية القوية التي لا تتأثر بموقف احد". وكان هذا القاضي الياس سركيس.

بعد عشرة ايام وصلت الى الرئيس شهاب مطالعة القاضي سركيس التي خلصت الى رأي يخالف مجلس الأركان ووزارة العدل. عندها طلب الرئيس شهاب رؤية القاضي سركيس. اثناء اللقاء قال الرئيس شهاب للقاضي سركيس:

- لقد خلصت في مطالعتك الى ادانة الادارة.

فشرح له سركيس رأيه القانوني وقال:

- هذا حكمي.

رد عليه الرئيس شهاب:

- انا قائد الجيش وصاحب السلطة، فهل تلتزم رأيك؟

فأجابه سركييس:

- هذا رأيي واتمسك به.

عندها طلب منه ان يحضر اجتماعا سيعقده مع قيادة الازكان ليشرح لهم وجهة نظره

واضاف:

- انا مقتنع بخلاصة مطالعتك.

وبعد فترة عقد الاجتماع وشرح اثناءه القاضي سركييس رأيه القانوني. وكان حكمه

صائبًا.

وعلى اثر انتخاب فؤاد شهاب رئيسًا للجمهورية عام 1958، استدعى القاضي سركييس

وقال له:

- اريد انشاء غرفة مدنية في القصر الجمهوري لدرس القوانين واريد تعيينك فيها مع

المحافظة على وضعك كقاضي، وامهلك 24 ساعة للاجابة.

كان رد سركييس فوريا:

- اتشرف بالعمل معك.

رلى ميخائيل، "حوار مع العميد ميشال ناصيف"، في كتاب: **علاقة المواطن بالادارة**،

بيروت، المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم، 3 اجزاء، المكتبة الشرقية، 1996-1999.

ابنك ما الو عندي وظيفة"

حين كان فؤاد شهاب رئيسًا للجمهورية جاءته امرأة من أقربائه ورجت منه ان يعين ابنها

في احدى وظائف الدولة. فقال لها الرئيس:

- معاشات الدولة قليلة. ما قولك بوظيفة في احد المصارف او في احدى شركات

البتترول او الطيران؟ هذه تدفع معاشات محترمة.

أجابته على الفور:

- في الدولة بيطلعو براني كثير وفهمك كفاية يا قريبي.
 كتم الرئيس غيظه وهو الرجل الهادئ والنظيف اليد وقال لها:
 - ابنك ما الو عندي وظيفة: روجي عند غيري.
 اميل نجا، "من رسائل القراء"، النهار، 1996/1/20، ص 7.

***

تسلم الياس سركييس مهامه كمستشار في رئاسة الجمهورية واخذ يدرس مشاريع المراسيم
 الاشتراعية. ويصله مرة قرار صادر عن وزارة الخارجية بترقية شكيب شهاب شقيق الرئيس
 شهاب، الى درجة سفير وهو كان يشغل من خارج الملاك منصب قنصل لبنان في الاسكندرية،
 فاعترض عليه لعدم قانونيته.

على اثر هذا الموقف طلبه الرئيس فؤاد شهاب وقال له:

- هذا أخي!

فاجابه سركييس:

- وان يكن فهذا القرار مخالف للقانون.

وبالفعل لم يحصل شكيب شهاب على رتبة سفير ابداً.

بعد هذه الحادثة أخذ الجميع يحسب الف حساب للقاضي والمستشار الياس سركييس
 الذي كان مثالا للعلم والمعرفة والنزاهة. وكان الرئيس شهاب يفكر في ايصاله الى سدة الرئاسة
 عام 1964 ولكن سركييس لم يكن من صالون الرئاسة وهذا لا يمنع انه عاد ووصل الى سدة
 الرئاسة.

رلى ميخائيل، "حوار مع العميد ميشال ناصيف"، في كتاب: علاقة المواطن بالادارة، بيروت

المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم، 3 اجزاء، المكتبة الشرقية، 1996-1999.

***

دولة الحق في لبنان 1962: مشكلة "اللاوضنة"

في يوم أحد من عام 1962 كنت اقود السيارة والى جانبي الرئيس شهاب. عندما وصلنا الى مفرق انطلياس، كان حينها الشاطئ يمتد الى الاوتوستراد. لاحظ الرئيس وجود غرفة من الباطون على الشاطئ من دون تلبيس مسقوفة برفوف من توتيا وضع عليها بعض احجار الباطون.

نظر الرئيس بدهشة الى هذه الغرفة و قال: " هذا مخالف للقانون بعدين صاحبها بلتيسها و بيزيد اوضا وبيمد pelouse وبعدها يأتي جاره ويني الى جانبه غرفة اخرى وبعدها بيعملو اوتيل.... هذه املاك عامة وهذا امر ممنوع.ان مردود لبنان الاساسي هو من السياحة الجبلية والساحلية. اليوم بعد الظهر اريد ان تهدم الغرفة." اعطى الرئيس شهاب الامر. قلت له: "حاضر مون جنرال". وتابع: "لما بتوصل بتعمل فورا اتصالاتك."

عندما وصلنا الى منزله طلبت امر فصيلة الدرك في منطقة الجديدة مستفسرا عن موضوع "اللاوضنة"، فقال: "معي خبرها، بس هيدي فيها اذن بموجب امر خطي اداري." فتعجبت للموضوع : ومن سمح بذلك؟

اجابني: "نعم هناك امر خطي من وزير الداخلية، سمح ببنائها لاحد رجال القضاء في لبنان. اذا تم الغاء القرار انا اتعهد بهدمها خلال ربع ساعة. انا اطبق النظام." عندها طلبت القاضي صاحب الغرفة. لم اجده. طلبت المحافظ و لم اجده. وضعت خبرا في كل مكان بضرورة الاتصال بي فور تبليغه خبر الاتصال.

بعد الظهر من النهار ذاته تلقيت اتصالا من مدير عام غرفة الرئاسة الياس سركيس طالبا مني التريث في متابعة المسألة "لأنها أخذت طابعا سياسيا وقد تولد أزمة". في الليلة عينها اتصل بي محافظ المنطقة يطلب مني التمهل بالموضوع و يقول لي: "عمهلك علي هيدي وزير الداخلية عاطي فيها امر."

ثم يعود سركييس ويتصل بي لتهدئة الوضع ،وانا كان كل همي التوصل الى هدم الغرفة في الليلة ذاتها. و قال لي سركييس: "انا ساشرح للرئيس شهاب المسألة في اليوم الثاني لانها قد تسبب ازمة سياسية."

كنت دائما اول من يرى الرئيس صباحا. اخبرته ما حدث معي. كانت ردة فعله الاولية ان ضابط الدرك على حق: " عافيه الضابط عم يطبق القانون،... بس الاوضة لازم تنهدم. قول لابن سركييس انو ما بدني شوفو."

عندما وصلنا الى مكتبه في القصر الجمهوري، كان سركييس ينتظرنا ليرى ماذا سيفعل. قلت له: "الرئيس ما بدو يشوفك بالموضوع"، اي انه مصر على تنفيذ امره.

عند الساعة العاشرة والنصف يصل رئيس الحكومة من دون موعد مسبق. يلتقت اليّ قبل الدخول الى مكتب الرئيس شهاب و يقول لي: " يا كابتن عم تعمل مشاكل رح تستقيل الحكومة!"

واجتمع الرئيس شهاب الى رئيس الحكومة وعلى اثر اجتماعهما تم الاتفاق على هدم الغرفة ". طبعا لم نعلم تفاصيل الاتفاق الذي تم بينهما. كل ما نعرفه ان الاوضة انهدمت بعد الظهر، وكانت درسا لا ينسى في المحافظة على الاملاك العامة.

الجنرال ميشال ناصيف، حاورته رلى مخايل

الباب الاول

ترشيح

بالتعاون مع جمعية مار شليطا الخيرية الاجتماعية

دير الالباء اليسوعيين، ترشيح

تنسيق مايا كنعان سعد

صورة ترشيح المتجددة جوزف الحايك

تشمل مسؤولية المصلحة العامة كل مواطن حيث هو، والندوات تشكل انطلاقة ووثبة نحو مسار قد يغير مفهوم المواطنة لجعلها رسالة. من هنا يندرج هذا المفهوم. كل مواطن حيث هو موجود، قادر ان يفعل، ان يغير في نوعية حياته، ونوعية الحياة في بيئته.

***

من هذا المنطلق كانت الدعوة لهذه الندوة مع جمعية مار شليطا لعمل نموذجي ولو متواضع يمهد لاداء سليم وحوار مجد اخذين بعين الاعتبار وضعنا كقرية في طور الاكتمال وكمجتمع موزع في عدة مناطق وكأفراد وجماعات تعمل وتكد لاكتفاء يساعدها في تخطي الاوضاع الاقتصادية الصعبة ومد يد العون لمن هم بحاجة.

ينطلق موضوعنا من وجودنا الراسخ في هذه القرية التي سبقنا اليها اجدادنا فأعطوها من عرقهم ودمهم واعطتهم من خيراتها وحلاوتها ومرارتها. فالتعامل متبادل والمزيج يتحول والزمن المتغير يفرض نفسه من موقع، من حالة، من طريقة عيش وتصرف الى اخرى تتماشى مع العصر فتكون وجه القرية الحديثة التي خلعت طابعها القديم بفعل المتغيرات وها هي اليوم تحاول ان ترسم لنفسها مع نخبة من ابنائها صورة تليق بوجهها الحضاري.

قرينتنا القديمة عايشناها وانطبعت في كياننا فوحدت اسمها مع انسانها فجعلته ابنها ليطلق عليه اينما حل بالترشيحي حتى بالاغتراب. وهذه الميزة مجال فخر واعتزاز من الابناء لانها صورة نقية وصافية نأمل بان تعود هذه القرية الممتدة من الوادي المغمور اشجاراً حرجية غرباً الى قمم جرداء تعشق الثلوج وتقارب صنين شرقاً، ومن قلاع صخرية ووديان نهريّة تفصلها عن جارتها المجدل شمالاً وكفرسلوان جنوباً. هذا الامتداد الطبيعي المنسدل تتداخل فيه الجلول

والمنبطحات والتلال الرملية كما تتدفق منه العيون والينابيع وان شحيحة لتروي الارض وتنتج الغلال المميزة. هذه القرية تنفض الغبار عن بيوتها المزروعة سابقًا والتي كانت متراسة في احياء مشتركة على محذلة تنقلت على اسطحها شابكة القلوب مع الرمال المتراسة.

هذه الصورة النموذجية لقرية قديمة قامت على احياء وازقة وبيادر وكروم ومواشي ودواجن انحسرت رغم انطباعها في اذهاننا وانحسرت رغم ارادتنا لتتجدد في حلة من المدينة الحديثة تماشي العصر وتشهد لانتفاضة وتوسع سكاني ديمغرافي فرض نفسه وخلق بوتقة جديدة تتناسب مع المتغيرات التي طرأت والتي نحاول البحث فيها بل مواكبة هذا الوضع القائم الجديد لنجعل منه حالة قريبة من النفوس.

وترشيش القرية الجديدة تحاول ان تجد مكانها بدعم مادي من الحكومة والصندوق وبفعل ارادة من ابنائها لتلبس حلة جديدة من العمران بتظافر الجهود من كافة الهيئات الرسمية والمدنية والقطاعات الشعبية لتواكب عملية انماء تفتقر اليها على كافة الاصعدة من عمران وبناء وناد ومكتبة وحديقة وكلها ضرورات لتواجد سكاني يطمح الى حياة هنيئة ورغادة عيش.

***

الدعوة اذا هي للجميع للمشاركة في التطور والانماء وخاصة الهيئات الفاعلة افراد ومؤسسات والدعوة موجهة خاصة للجيل الجديد المتمتع بنظرة خاصة للحياة ليشارك مع اهله في عملية احياء وانماء لقرية عانت وما زالت والنهوض بها متماسكين متحابين ومتعاونين مفتشين عن تقارب ضروري وحقيقي يحيى الجميع لتقدم يكتسب مناعة امام كل اعصار وكل محاولة فتنة لان اي تعثر يؤدي الى الفشل والدمار ويقودنا الى الزوال. بوركات الارادات الحسنة والنفوس الطيبة وخاصة المجتمعين هنا وكذلك الذين لم يتسن لهم ان يكونوا بيننا فهم وانتم الركيزة الاساسية لمستقبل واعد ملؤه الفرح والمحبة.

تفعيل القدرات المحلية

مايا كنعان سعد

ترشيش وحدة من ميات الضيع اللبنانية يللي تأثرت بالحرب، ودمرت الحرب كل شي
فيا مادياً ومعنوياً.
واليوم بإطار العودة احلام اولاد ترشيش، يللي هي بالنهاية احلام الشباب اللبناني كله،
عم تتحقق.

***

بدي احكي ولو باختصار عن الانتماء لوطن.
الانتماء لوطن ما بيكون بشعارات رنانة، وسياسات زائلة منكبرها ومنصغرها حسب شو
بدنا منها، برأبي الانتماء ببلى بأصغر شغلة، باحترام القوانين ولو مش عاجبتنا.
ببلى الانتماء لما نصير نحترم محيطنا وبالتالي منجبر محيطنا يحترمنا.

ما بقدر اتخيل حالي اني بنتمي لوطن وبدي ابني وبذات الوقت ما بحترم ابسط الامور
يللي هي اذا بدكم اشارة السير. شو الفرق بين مواطن وحدا تاني ما بيعني له البلد اللي عايش
في وما بينتمي الو اذا تتيناتن بكبوا الزباله من قزاز السيارة ع الطريق؟ برأبي ما في فرق، لكون
اوضح اكثر، بين محتل عم بدمر القانون ومواطن عن قصد مش عم ببطيح القانون.
رح يكون الموضوع كثير متشعب اذا تعمقنا فيه وبجمل اراء كثيري ومختلفة.

***

برغم كبر الجرح اللي صار بترشيش وغيرها من القرى والضيع اللبنانية من جراء
الحروب الكثيرة اللي مرت علينا، انا بطلب انو نشوف النصف المليان من الكباية. انتو اليوم

رجعتوا والطرح هو المخطط التوجيهي العام للبلدة. رح اطلب منكم انو حد التنظيم اللي عم بتنظموه يكون فيه تربية مواطنة وتنمية الاحساس بالمسؤولية لتوصلوا، وبالنهاية نتوصل كلنا سوى، لانو نحترم اللي بيمينحنا ياه القانون، بالتالي بتخف المخالفات، بتخف تعديات البعض ع البعض الآخر، وتعديات الكل عالدولة بتخلص وساعتها الكل بيشعر انو القانون حامي وبحس لانتماه ومواطنيته للمكان اللي موجود فيه.

هيدا رأيي هيدي قناعتي يللي حبيت قلكن ياها.

المواطنة حس داخلي بيخلق مع الانسان فكل شخص منا فخور بجذوره وتاريخه ومتمسك ببلدته.

***

الحكمية المحلية تقوم على الحوار بين ابناء البلدة لتفعيل قدراتها وتطوير تنميتها وهيدا هوي موضوع اجتماعنا في هذه الندوة.

معرفة اوضاع البلدة وحاجاتها وطموحاتها ومتطلعاتها.

العمل على تلبية هذه الحاجات والطموحات والتطلعات.

الحكمية المحلية هي مبادرة ومشاركة ومواطنة في المجال المحلي.

عودة وانماء

جوزف شعيا

بدأت مساعي المصالحة في ترشيح عام 1989 على يد لجنة من ابناء البلدة تمثل الطائفتين والعائلات. اثمرت هذه المساعي عن خطوة اولى هي ترميم المعابد الدينية واستئناف الصلوات وشعائر العبادة فيها.

خطوة ثانية سميت الرجوع الزراعي عبر اعادة استصلاح الارض وانشاء البساتين واعادة تأهيل القليل جدًا المتبقي منها.

هاتان الخطوتان ادتا الى لقاء الاهالي على ارض البلدة واستعادة العيش المشترك. خطوة ثالثة هي عودة الاعمار التي بدأت تحضيراتها عام 1998 مع وزارة المهجرين والرسميين والمراجع الدينية عبر لجنة من الاهالي دعيت لجنة المصالحة والعودة. وتكرس الاعمار فعليًا عندما فتح ملف بلدة ترشيح في وزارة المهجرين والصندوق المركزي للمهجرين وبدأت الابنية تشاد على الارض (شيد منها حوالي 220 وحدة سكنية ولا تزال حوالي 180 مستحقة الدفع بين الوزارة والصندوق وتنتظر الافراج عن المال).

***

بلدة تنشأ من تحت الركام وتنفض عنها غبار الدمار الكلي على جميع الاصعدة وتعد العزم على ان تبقى نموذجًا للعيش المشترك والتآخي والتمسك بالتراث الجبلي من قيم ومبادئ وعنفوان ومثل وكرامة وتجذر بتراب الاجداد.

عناصر هذه الفرصة ثلاثة:

1. التهديم الكلي للمنازل.
2. عدم وجود مساحة للاراضي.

3. امتلاك ابناء البلدة جميعهم تقريباً لمنازل في مناطق اقامتهم ساحلاً ووسطاً او بقاعاً مما يخفف من ضغط الحاجة السكنية الملحة ويسمح بالتالي باعادة البناء المدروس المتريث برؤيا مستقبلية صحيحة.

كل ذلك كان يجب ان يؤدي الى بناء بلدة نموذجية. ترشيش بلدة نموذجية حلم لم يتحقق.

***

هناك الكثير من التبدل الذي حصل في الواقع الراهن والتحسن لجهة العمران:

1. ابنية على الطراز الحديث.
2. ابنية كلها مرخصة.
3. ابنية متباعدة بعد ان كانت متقاربة جداً وحياناً متلاصقة على شكل حارات تحوي الواحدة العديد من المساكن في بناء واحد غير موحد.

انتشرت الابنية على امتداد طولي يقارب الاربعة كيلومترات وعرضي ولو بنسبة اقل. والمساحة الخضراء الناتجة عن حديقة او فسحة زراعية امام كل منزل او حوله طبعاً ستتسع وهذا عامل جيد ولكن بالمقابل.

برزت حاجة تخطى اضعاف ما يقتضيه التمدد السكاني والنمو العمراني الطبيعي وهي حاجة الى شبكة خدمات وبنية تحتية هائلة:

1. طرق دائرية جديدة تطال الاحياء الجديدة.
2. تأهيل الطرقات القديمة وتوسيعها.
3. شبكة مياه مع تأمين مصادر مياه جديدة.
4. شبكة صرف صحي ومحطة تكرير.
5. شبكة كهرباء وانارة.
6. شبكة هاتف.

كل ذلك فقط لمواكبة مرحلة التعمير والسكن.

***

ولم نتحدث بعد عن متطلبات ما بعد السكن وما يقتضيه التطور كالحاجات الصحية والطبية، المدارس، اماكن الرياضة والفنون، المنتزهات والحدائق العامة... قطار الحياة سريع ولا يهادن وعلينا اللحاق به. لدى البلدية برنامج انمائي وروزنامة عمل لتحقيق ما تقدم ذكره، طبعًا بالامكانيات الذاتية الشحيحة والتي يعرفها الجميع وبمساعدة النواب بمخصصاتهم التي تشح يومًا بعد يوم مع كل موازنة جديدة وتجاوب المالية العامة بعجزها المالي.

الصندوق المركزي للمهجرين لعب دور مجلس انماء واعمار قرى العودة فيما خص البنى التحتية وبرامجه مجمدة حاليًا.

تطور الزراعة في ترشيح وشروطه*

لوسي حنا

ان السرعة في اعادة زراعة ابناء ترشيح لارضهم وتشجيرها هي امر ملفت وكبير وجميل. انه نشاط يبشر، من الناحية المبدئية، بانتاج مهم في ترشيح بعد اربع او خمس سنوات على ابعد تقدير.

يشكل مناخنا ميزة مهمة وهو بمثابة هدية لنا، فهو يعطي انتاجنا نكهة خاصة. لكن لكي نتمكن من الاستفادة من هذه الهدية المهمة نحتاج الى اعتماد وتطبيق كل مكونات الانتاج الزراعي. هذه المكونات تؤثر على الانتاج.

1

مكونات الانتاج الزراعي

1. التربة: حين نتكلم عن التربة نتكلم عن تكوينها، اي اذا ما كانت رملية او طينية او تحتوي على مكونات اخرى.

2. الغذاء: لكي يعيش النبات وينمو بالشكل الصحيح، يحتاج الى الغذاء الذي تقدمه التربة، فما هي مكونات التربة؟ يحتوي التراب على حوالي 13 الى 15 عنصراً يحتاجها النبات لينمو جيداً. خمسة منها يحتاجها النبات بكمية كبيرة، والباقي يحتاجه بكميات قليلة جداً، ولكنها هي أيضاً مهمة.

*. ان النص هو موجز مداخلة شفوية ونقلًا عن آلة تسجيل تولت تفرغها وصياغتها السيدة ارييت سعاده ابي نادر.

3. **درجة الحموضة في التربة:** وهي تقاس بأرقام من واحد الى سبعة او الى تسعة. انها تحول دون نمو بعض الزراعات. واذا كانت اقل من اربعة تبرز ايضاً صعوبة كبيرة في ان تنمو فيها بعض المزروعات. التربة في ترشيش متنوعة للغاية، اي اننا نجد في ترشيش كل انواع التربة، ولكن لا يمكننا زراعة كل شيء في كل مكان وينمو بالشكل السليم. لكي نصل الى الانتاج الذي نتمناه، من الضروري اخذ عينات من التربة وفحصها في المختبرات. يعطينا فحص المختبر ثلاثة اشياء اساسية هي:

- نوعية التربة، فالتربة الرملية نزرع فيها غير ما نزرعه في التربة الطينية.
- كميات المواد الموجودة في التراب، اي اذا اظهر فحص المانيزيوم انه موجود بكميات قليلة في التربة، فمعنى ذلك ان التقاح لن ينضج كما يجب في هذه التربة. عندها نلجأ الى زيادة كمية المانيزيوم في التراب.
- درجة الحموضة، وهي تدلنا على الاشياء التي يمكن زراعتها، وماذا يجب ان نضيف الى التراب او ننقص منه لكي تنمو المزروعات بشكل سليم. من هنا، ضروري جداً اجراء فحوصات على التربة لتتكون عند المزارع فكرة عن نوع التراب في ارضه.

4. **الاسمدة:** يجب معرفة انواع الازمدة التي تحتاجها الارض، وكيف نضعها، فهي تضاف الى التربة على مراحل لان النبات يحتاج في كل مرحلة من مراحل نموه الى مواد معينة وبكميات محددة. من الضروري اجراء فحص التربة، وهو يحصل على الاقل مرة في السنة، ولكن من المفضل تكرار ذلك لان التربة كائن حي وتتأثر كثيراً بعوامل الطبيعة، كالمناخ والاضافات التي نضعها في الارض.

5. **الري:** لا شك ان الزراعة تحتاج للماء، ولكن نوعية المياه المستعملة لها تأثيرها الكبير على انتاجنا. نجد مثلاً في ترشيش اراض نسبة الحموضة فيها مرتفعة، والتقاح يعاني من التربة المرتفعة الحموضة، فعندما يصل التقاح الى مرحلة النضوج يتكون فيه شيء اسمه "الفلين"، وهو كناية عن نقاط تنتشر على التقاحة ما يعسر تسويقها، وهذه المشكلة تتفاقم جداً

خلال التخزين، وسببها نقص في الكالسيوم الذي يتواجد في الارض. في حال فحصنا التربة وتبين بنتيجة الفحص نقص في الكالسيوم، فعالجنا المشكلة بإضافة الكلس الى التربة، ثم رويها بمياه غنية بالحديد، سيكون ذلك سيئاً، لان الحديد الذي نضيفه الى هذه التربة يقضي على الكلس الذي سبق واضفناه، وبذلك نسيء الى انتاجنا ولا نستفيد من الكلس. الحل هنا اما استعمال مياه خالية من الحديد، او وضع الكلس على اوراق الشجر، لان جذور الشجرة تعجز عن استخلاصه من الارض حتى ولو كان متوفراً في التربة.

6. **البذور والنصوب:** هناك اصناف عديدة وجديدة من البذور والنصوب في عالم الزراعة، والاتجاه العام فيها هو ان تكون مقاومة للأمراض كي لا نضطر للجوء الى رش المبيدات. او ان تمتاز هذه البذور والنصوب بالقدرة على اعطاء انتاجية اكبر، وربما الميزتين معاً. نجد عند الشركات وفي الاسواق كما كبيراً من الاصناف الجديدة من الضروري ان نستعمل الاصناف المتطورة ولكن ليس بشكل عشوائي، فجودة الصنف لا تعني حكماً نجاحه في ارضنا، لان هذه الاصناف لديها دائماً قدرة محددة على التأقلم مع الطبيعة التي تزرع فيها. هناك ضرورة كبيرة بتجربة الاصناف الجديدة، ولكن يجب ان تزرع بكميات قليلة بداية لمراقبة ما اذا كانت ستعطي انتاجية جيدة. بعد ذلك، وفي حال تأقلمت مع الارض، نزرعها بكميات كبيرة. الشجرة يلزمها من ثلاث الى اربع سنوات لكي تبدأ باعطاء الثمار. في حال انتظارها طيلة هذا الوقت مع خدمتها والعناية بها عن طريق استعمال مختلف الادوية المطلوبة الى ان يحين موعد الانتاج، وبعد ذلك واذا لم نحصل على الانتاج المرجو على الرغم من ان كل مواصفاتها تحتم الحصول على انتاجية سليمة، فستكون الخسارة كبيرة في ما لو زرناها بكميات كبيرة. ومن الضروري التنبيه الى امر آخر: اذا كانت لدينا اصناف متنوعة للغاية ونجحت جداً في ارض معينة، فذلك لا يعني انها ستنجح حكماً في اماكن اخرى.

2 الآفات

الآفات او المشاكل التي يواجهها الانتاج هي في الاجمال امراض فطرية او حشرات. وتبين ان المبيدات التي نستعملها وتحافظ على الانتاجية تسبب نوعين من المشاكل:

1. عندما يستهلك الانسان المنتوجات الزراعية التي تحتوي على مواد معينة يصاب بأمراض.

2. تسقط المبيدات المستعملة على الارض فتسيء الى التربة، او تتسرب الى المياه الجوفية فتلوثها، ومردود ذلك سيء جدًا على الانسان، كما يمكن ان تقتك بالاسماك وبكل الكائنات الموجودة في المياه.

الاتجاه العام حاليًا هو تخفيف استعمال هذه المبيدات والادوية الزراعية الى اقصى الحدود، او حتى عدم استعمالها. ولكن من الصعب عدم استعمالها. انما هناك اساليب تسمح بتخفيف نسبة استعمالها، ويرتكز اهمها على دراسة المشاكل التي تعاني منها المزروعات، كالرمد مثلاً وقد شاهدناه بكثافة خلال 2002. لا يجوز ان ننتظر انتشار الرمد لكي نلجأ الى المبيدات، اذ يصبح متملكًا داخل النبتة فنحتاج الى كميات كبيرة من الادوية الزراعية للقضاء عليه. هناك دودة مسببة لهذا الرمد والاجدى ان نرشها قبل انتشارها، وبذلك نخفف من استعمال المبيدات ونجنب الثمار امتصاص كميات كبيرة منها. مثل آخر دودة التفاح، من الناحية المبدئية وكما اظهرت الدراسات في مناطق اخرى، تظهر هنا دودة التفاح ابتداء من شهر ايار. لا يجوز انتظار ظهور الاصابة لنعمد الى الرش، اذ يأتي متأخرًا. ان الدودة التي تدخل الثمرة ستعيش دورتها كاملة فتتحول من بيضة الى دودة ففراشة، وهذه الفراشة ستبيض مجددًا وتسبب اصابات جديدة. حين نرى السوسة في الثمار فمعنى ذلك ان الفراشة خرجت منها وباضت مجددًا وبدأت دورة حياتية جديدة. كما ان الادوية التي نستعملها لا تؤثر على الدودة الموجودة داخل الثمرة، اذ ان هذه الادوية لا تدخل الى الثمرة، بينما تؤثر فقط على الفراشة وتبقى الدودة في الداخل

فنضطر عندها للرش مجدداً وباستمرار. يمكن اذن تخفيف سلبيات الرش باستعمال الرش في الوقت المناسب.

هناك اتجاه مهم في العالم حالياً، وهو محاولة عدم استعمال المبيدات والاستيعاض عنها بالمصيدة، وهي تجتذب الفراشة مثلاً في حال وجودها وتحتجزها بداخلها. نأخذ مثلاً آخر وهو الاكاروز. عادة ما ينتظر المزارع ظهور الاكاروز ليعمد الى رش مزروعاته. ولكن حين تحمر المزروعات فمعنى ذلك ان الاصابة كبيرة ومنتشرة بكثرة، فالاكاروز يفسد ويتقادم، والدواء الذي نستعمله لا يؤثر على البيوض، فنضطر كل عشرة ايام او 15 يوماً الى الرش مجدداً لمكافحة الاكاروز المتزايد، ولا نستطيع توقيف الرش لان الاصابة ستؤثر سلبيًا على الانتاج فيأتي ضعيفاً.

هناك عمل كثير لمواجهة الآفات والامراض التي تصيب المزروعات. ان ذلك ممكن عن طريق معرفة ازمة ظهور هذه الامراض، علماً ان اوقات ظهورها تختلف باختلاف المناطق، فهي تظهر في ترشيش مثلاً في شهر هو غير الشهر الذي تظهر فيه في بلدة اخرى.

3

التوضيب

في حال كان نمو المزروعات سليماً نحصل على انتاج يتمتع بمواصفات جيدة من حيث النوعية ويحتاج الى التوضيب. يتم توضيب الانتاج حالياً باستعمال الفلين، ولكن الفلين مضر بالبيئة، وقريباً ستكون هناك محاولات لمنع استعماله، فيعود الاتجاه لاستعمال الكرتون او الورق، اي لاستعمال مواد لا تضر بالبيئة. لا بد من الاهتمام بهذه الناحية، وتوضيب الانتاج بشكل يجذب المستهلك.

4

التسويق

هناك مشكلة كبيرة في التسويق، اذ عندما يكون الانتاج مرتفعًا يحتاج الى اسواق مهمة. ما نحتاجه في التسويق هو توفر المواصفات الجيدة التي تطلبها الاسواق، ودراسة كيفية تسويق هذا الانتاج. والتسويق يكون عن طريق الاشتراك بمعارض زراعية، كما يمكن خلق سوق يجعل من انتاج ترشيش مميزًا. ويمكن ايضًا خلق تعاونيات يتم من خلالها القيام بالنشاطات التي تساعد على تسويق الانتاج.

الحاصل اليوم هو زيادة الطلب على المحاصيل المنتجة في الجبال، ولكن ذلك لن يستمر طويلًا، فشكل المنتج وطعمه الطيب لن يكونا كافيين لتسويقه. هناك فحوصات لا بد من اجرائها عن طريق اخذ عينات من الانتاج لمعرفة مدى اختزانها لرواسب المبيدات والمواد الكيميائية المضافة الى التربة، ولمعرفة مدى تمتع هذا الانتاج بالمواصفات النوعية التي يفرضها السوق. من هنا لا بد من التحضير لذلك، فالامر لا يحصل خلال سنة او سنتين انه يحتاج الى تحضير طويل لكي نكون جاهزين لتسويق انتاجنا.

استحداث مركز طبي

ناصر طقطق

يمر لبنان بظروف اقتصادية وسياسية صعبة وهذه الظروف الصعبة يعاني منها الوضع الصحي بشكل عام حتى بدأ يطال الجسم الطبي. وهذا ينعكس بدوره على تزايد الكثير من الامراض التي يعاني منها ابناء شعبنا. كما وان سنوات الحرب ادت الى ظهور عدد من الامراض النفسية والعصبية.

***

من خلال عملنا اليومي لاحظنا ان نسبة كبيرة من السكان تعاني من داء السكري ومن امراض القلب والشرايين كما لاحظنا تزايداً في الامراض السرطانية مختلفة التوزيع حيث يلعب العامل الوراثي دوراً رئيسياً في هذه الامراض. وتبين وجود اصابات عائلية بهذه الامراض. اضافة الى العوامل الاخرى كتنوع الغذاء والبيئة المحيطة. ويجب ان لا ننسى عامل الحرب الذي بدأت تظهر عواقبه الصحية. في الثمانينات تم دفن مواد مشعة في بعض المناطق اللبنانية بالتواطئ مع جهات محلية ادت الى تزايد الامراض السرطانية والتي لم تفرق بين مواطن وآخر. وعلى سبيل المثال اجريت وبالتعاون مع هيئات جامعية ومحلية ودولية فحوصات مخبرية للكشف المبكر عن سرطان الثدي عند النساء والبروستات عند الرجال والامعاء الغليظة والكبد وامراض الغدة الدرقية فتبين انه ما يقارب 7% من الرجال الذين اخذت منهم عينات دم مصابون بسرطان البروستات وكذلك نسب مرتفعة من سرطان الثدي عند النساء. اضافة الى تزايد في امراض الغدة الدرقية خاصة عند النساء، منها نسب بسيطة.

من الصعب تحديد الامراض التي يعاني منها اهل البلدة نظرًا لانهم موزعون في العديد من المناطق اللبنانية، ولكن الملاحظ ان لدى سكان البلدة الكثير من الامراض الوراثية والتي تصيب عائلات بأغلبيتها (منها سرطان الرئة والغده والبروستات). ولا بد من الإشارة انه لم الق تجاوبًا من قبل سكان البلدة المقيمين في البقاع من التعاون من اجل اخذ عينات دم لهم، والاغلبية التي اخذت منها العينات كانوا ليسوا من البلدة.

هناك أيضًا انتشار كبير للامراض الوبائية المعدية والسارية واسبابها هي عدم المراقبة الصحية على الحياة والمأكولات. اضافة الى اللاوعي الصحي لدى السكان والجهل بأبسط الامور الصحية، كما لا ننسى التلوث البيئي الذي ادى الى بروز امراض جلدية وصدريه وهذا يلقي على عاتق الحكومة وهيئاتها الصحية حتى والاجهزة الامنية المحلية والبلديات، اذ لا يكفي فقط ان نعالج الامراض بل يتوجب الوقاية منها مما يتطلب جهدًا من كل الهيئات المسؤولة وليس فقط من الجسم الطبي.

***

لا يمكنني تعزيز وتعداد كل الامراض ومدى انتشارها، فهي بالآلاف، ولكن يجب ان ننظر الى المشكلات الصحية بضمير حي بعيدًا عن الماديات وان لا نحول مهنة الطب الى مهنة تجارية كما يفعل الكثير من الاطباء والذي همهم الوحيد هو الربح السريع، فعندما يعمل الطبيب اكاديميًا واكاديميًا فقط حينها فقط يمكن التوصل الى تخفيف نسبة العديد من الامراض والقضاء على بعضها الآخر مما يخدم مصلحة الوطن والمواطن، وحينها يصبح المواطن حر والشعب سعيد بأغلبيته، فالعقل السليم في الجسم السليم.

كما ولا بد ان اذكر ان بعض الناس يستعملون الادوية دون رقابة وبنصيحة الجار والجاره وهذا يؤدي الى التأثير السلبي على الصحة ويعوق عملنا كأطباء اضافة الى ادخال ادوية من الخارج من اجل التجارة لا من اجل خدمة الناس، وهذا أيضًا من مسؤوليات الدولة التي تسمح بعقد الصفقات (تسمح لهذا او تمنع ذلك، وهذا مدعوم وذاك غير مدعوم، والنتيجة هي تجارة بأرواح الناس وصحتهم.

هذا ليس كلامًا سياسيًا، بل انه واقع مر، ويجب ان يعرفه الناس كل الناس حتى لا نقع في الهاوية التي نقف اليوم على حافتها.

***

العودة لن تتم فقط ببناء السطوح وبغرس الاشجار فالعودة تتم حين تتصفي النفوس ونصبح كما قال جبران كأوتار العود - لكل وتر نغمته ولكن الاوتار مع بعضها تعطي لحنًا جميلاً.

فالعودة هي عودة الشباب الى القرية بروح واعية يستوعبون بعضهم البعض، وبالتفتيش عن القواسم المشتركة بينهم وليس التناقضات بالرغم عن اختلاف توجهاتهم السياسية والحزبية، واعتراف الواحد بوجهة نظر الاخر، وعدم اقتناص الفرص للانتفاض على الاخر. الانسان هو الهدف، واذا فكرنا وعملنا بانسانية فلن نصل الى طريق مسدود. فكل واحد منا ولد انساناً قبل ان يذهب الى المسجد او الكنيسة ولو اتي بمولود جديد ورمي في غابة ولم يتلق اية تعاليم دينية فهو سيعتق الاسلام او المسيحية او البوذية وغير ذلك. المذهبية والطائفية تعلمناها من الاء والاجداد فحسبنا نلجأ الى العقل ونعلم ابناءنا مذهب الانسانية.

***

العودة وستتم اذا او نكون من الذين يساهمون في بناء صرح صحي جيد يخدم ابناء البلدة. فلذلك يتوجب استحداث مركز طبي مجهز. الهدف في اقامته تقديم المساعدات الطبية للمواطنين بالتعاون مع جهاز طبي متنوع، وكوادر ممرضين وممرضات، تقدم كل ما يستلزم للمرضى الذين يمكن معالجتهم خارج المستشفى.

ويكون الهدف ليس فقط معالجة الامراض، بل الوقاية والتقليل من الامراض بما فيها الوبائية. وتخفيف او تقليل نسبة الموت من المرض وخاصة فيما يتعلق بالاطفال وحديثي الولادة: توعية الناس الصحية والتنظيفية، توعية الاطفال والذين لم يبلغوا سن الرشد طبياً، قراءة محاضرات طبية دورية للمواطنين من اجل توعيتهم، تدريب الناس على بعض المهمات الطبية في الحالات الطارئة قبل التوصل الى الطبيب، تأمين اللقاحات للاطفال من الشهور الاولى حتى دخول المدرسة، تأمين المساعدات المادية للمركز للتخفيف من الاعباء المالية على المواطنين، دعم المركز بالادوية اللازمة (انشاء صيدلية، عيادة اسنان)...

ومن مستلزمات العودة تأمين مياه شفة نظيفة وصرف صحي بيئي حضاري.

كما ان في المستقبل ونظرًا للمناخ الجيد في البلدة يمكن بناء وبالتعاون الجماعي مركز صحي نقاهي لغير سكان البلدة - خاصة لمرض الجهاز التنفسي.

مستوصف لبلدة ترشيش

عبدو حايك

انطلاقاً من مشاركتي المتواضعة من خلال مهنتي كطبيب، ومن هذه القرية بالذات، ادعو لترسيخ وشد اواصر العلاقات التي تربط افراد القرية اية قرية وذلك ليتمكن المواطن من التواصل مع ابناء قريته ومن ثم التفاعل مع ما يحيط به من قرى ومدن، وبالتالي علينا ان نؤمن كل حسب اختصاصه بعض حاجيات الاهالي في الريف المنسي على كل الصعد. ربما في ذلك يكون حافزاً مساعداً لتمكين هؤلاء الاهالي من الالتصاق اكثر بالريف الذي هو عماد الوطن وان نؤمن لهم ابسط مستلزمات الحياة الكريمة وخاصة في الظروف الاقتصادية الصعبة التي نعيشها منذ سنوات.

لا يمكننا ان ننطلق الى وطن قادر وقوي الا من خلال ريف متمكن، واعٍ وذلك لا يتم الا بالالتفاف الواعي والاهتمام الداعم لكل المقيمين وعلى كل الاصعدة الانمائية والثقافية والرياضية والصحية.

واذا اردنا توسيع دائرة التعاون والاهتمام بما نصبو اليه، فلنعمل جاهدين بتأمين بعض ما يلزم من الضروريات التي تجعل المواطن يغرس جذوره اكثر في ارضه. بعض هذه المستلزمات لا تستطيع الادارة المحلية ان تقوم بها الا بمساعدة من الادارات الرسمية وبعض الجمعيات الانسانية المحلية والاجنبية ولا ضير اذا تأمن مستوصفات تهتم بصحة الاهالي المتشبهين بأرضهم ليشعر هؤلاء بانهم غير مهملين.

لا ضير ايضاً ان نكثر من اللقاءات التي تعزز روح التعاون والمشاركة، لقاءات حوار وتشاور وتداول بكل ما من شأنه ان يعود بالخير للاهالي وبالتالي الى دائرة الوطن الكبرى.

هذا بالإضافة الى الدعوة لتشجيع النوادي الرياضية والثقافية مع ما تخلق هذه الاندية من نشاطات على صعيد المحلة لتشمل بالتالي كافة القرى المجاورة فتشتد بذلك اواصر التعاون بين الاهالي على مختلف انتماءاتهم ومشاريهم. كما يجب ان لا يغرب عن بال احد اهمية الدعوة الى المحاضرات بكافة انواعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والترفيهية والبيئية. هذه المحاضرات التي تغذي الفكر وتوسع افق العقل كما تنمي روح المشاركة والمناقشة في كل هذه الامور مع ما يؤدي ذلك الى نفع على صعيد الفرد وبالتالي على صعيد الجماعة بحيث يتأمن لنا المشاركة الوطنية الحقيقية التي يصبو اليها كل انسان حكيم عاقل.

في ما يتعلق بصحة اسناننا، لا نستطيع ان ن فصلها عن صحة المواطن العامة. فالمواطن في الريف بحاجة الى توعية في المدارس والى زيارة الطبيب والى لقاءات دورية ومحاضرات مع اطباء متخصصين ليكون المواطن على اضطلاع على كيفية العناية بأسنانه وبالتالي على صحته بشكل عام.

في هذا الاطار نرجو نأمل من الادارة المحلية ان تعمل على تأمين مستوصف لهذه البلدة لنساعد الاهالي قدر المستطاع.

التراث الزائل في الضيعة اللبنانية: ترشيح نموذجًا

جان مخايل صدقه

لعل أسوأ ما منيت به التقاليد القروية العريقة من جراء الحرب في لبنان هو فقدان الهوية القروية عمومًا بنسبة كبيرة، واختزان التراث القروي في خانة الذكريات الجميلة. استطاعت الحرب الوسخة ان تقتلع اهالي القرى والضياع اللبنانية، ومنها ترشيح، من بيوتهم، ونجحت تاليًا في اقتلاعهم من جذورهم القروية وتراثهم الى حد بعيد، فأصبح التراث مجرد ذكرى في البال.

***

الشخصية القروية: قضت الحرب اولاً على الشخصية القروية المميزة، فالقروي اللبناني مثال في الاخلاق الراقية مثل الشهامة والنبيل والصدق، وخصوصًا الترابط الروحي بينه وبين الاهالي عمومًا. من هنا، تأخذ اهمية الجغرافيا في تكوين الشخصية بعدها الصحيح، فكلما ابتعد الانسان عن ارضه وبيئته، كلما ابتعد في الوقت نفسه عن القيم التي اكتسبها منها. منذ العام 1976، تغيرت اللغة بين اهالي ترشيح مذ تغيرت اقامتهم الى خارجها، فالنار التي حرقت بيوتنا، اطاحت في الوقت نفسه بالكثير من القيم والفضائل القروية الاصلية. لم تعرف ترشيح في الماضي مكانًا هائلًا للخلافات بين اهاليها. نادرًا ما شهدت ضيعتنا، في ايام عزها، خلافًا بين الاخ واخيه، وتهديدات مولولة بين الجار والجار. كان القروي في ترشيح صاحب قلب طيب، واخلاق نبيلة، مؤمنًا يخاف ربه، ويحسب الف حساب لمخالفة التعاليم السماوية، وكان صاحب نخوة ونجدة، وكانت "العونة" مضرب مثل على المحبة التي تجمع الاهالي في ما بينهم.

ساحة الضيعة: نفتقد في ترشيش ساحة الضيعة، تلك الفسحة التي كانت مركز تجمعنا، فهجر الابناء كل الساحات، بما فيها ساحة الكنيسة. وتلتقت الى بيت خوري الرعية، فتدرك انه رحل مع ريح التراث الى الابد.

الى الساحات، نفتقد في ترشيش المدارس، منها مدرسة بونا طوبيا رحمه الله، ومدرسة المقاصد التي اقلت ذكرياتها منذ زمن، ولي منها الشيء الكثير، فأنا مررت على مقاعدها. وبغياح الساحات والمدارس، غابت الالعاب القروية البسيطة مثل طابة المحجج، الركوب على الظهر، او القفز من فوق الظهر، لعبة اللاقوط... كذلك غابت الالعاب المسائية مثل الطرنيب والليخا، خصوصًا في ليالي الشتاء المثلجة قرب الموقد، فكان الكبار يلعبون الورق، والصغار يستمعون الى جدتهم تروي قصصًا وحكايات على ضوء السراج.

البيت والمونة: نفتقد في ترشيش البيت القروي التراثي، فلا علية ولا مراح، ولا خيمة ولا عرزال، ولا سطحيات مزينة بتلك الحبق والفل والقرنفل، ولا عرائش تظلل الجلسات الهانئة. السطيحة جزء مهم من تراث الضيعة، ومن حضارة لبنان القديم. ونفتقد في ترشيش معاصر الكروم، دبس العنب، الطاحونة، البيادر والحصاد والنورج، خبز الصاج والكشك، مونة الشتاء، جرن الكبة، دق الجرس وغيرها. عين البيادر والطرقاات المؤدية اليها تعيش يتيمة. هجر الاهالي دروبها، تلك الدروب، على ضوء القمر، تختزن الوشوشات والاحاديث والقبل والقال. لم يبق من تراث ترشيش الشيء الكثير اللهم الا اسماء الاودية والتلال والينابيع مثل الغيضة، الشميس، البيادر، الجوزات، ساقية السيد، مرج عيسي، عين الشاوية، عين قليعة، عين القسيس، عين الرهبان...

الاعراس: هجرت ترشيش تراثها عندما هجرتها الاعراس القروية الحلوة. نفتقد اعراسنا اليوم الزلاغيط وبكاء العروس في يوم عرسها.

من هذه الزلاغيط، لا زلت اذكر زلغوة كانت تزلغها امي في كل عرس وهي:

الله معك يا عروس الله معك

وكنز البكي ما راح ينفعك
وان كان في مسمار في بيت ابوك
اقلعيه وخديه معك.

العديات: نفتقد في ترشيش العديات. من من اولادنا يعرف اليوم العديات التي اخذت
اوقاتاً جميلة من العابنا؟ هل من يتذكر مثلاً عدية يا حج محمد /يويو؟
تقول العدية:

يا حج محمد - يويو / قديش مصمد / مصمد
مصرية / حلوة التمنية / تمنية مين
عمي شاهين / شاهين ما مات / عندو بنات
بناتو سود/ مثل العبيد.

الزجل: لعل اهم من ذلك كله ان ترشيش فقدت حقاً تراثاً شعرياً زجلياً ميزها عن معظم
ضياح لبنان الا وهو تخليد المناسبات الجميلة، مثل الخطبة، الخطيفة او العرس عبر الزجل.
لم تكن تمر مناسبة واحدة حلوة في ترشيش الا وكان الشاعر مخايل جبرائيل ناظرها
على الكوع، كما يقال. اهمية الزجل في ترشيش انه نجح في تخليد المناسبات الحلوة عبر الزجل
اللبناني:

حزك مزك رايح جايي
ليلي عا بيت ادوار
قاعد ومعرم بالدار

واليوم تمر المناسبات الحلوة لاهالي ترشيش من دون شعر، ولا زجل، ولا عديات، ولا
قصائد. كان يتناقلها الاهالي بشغف في اليوم نفسه. كان يكفي ان ينهي الشاعر مخايل جبرائيل
العدية حتى تنتشر بين الاهالي بسرعة النار او بسرعة البرق.

غاب الشعر عن حياتنا. نسينا الزجل والعدية. ومن يفقد وهج الشعر في حياته، لا
يعوضه في اي مجال آخر. وان انسى لا انسى حفلة الزجل في ساحة الكنيسة، تلك السهرة
الرائعة فعلاً التي شهدت مباراة زجلية تواجه فيها الشاعران مخايل جبرائيل والبير شعيا، على وقع

دريكة الاخ حنا امين سمعان، ورهط من الرديدة. ولا يزال مجوز ابو ناصيف، رحمه الله، يرندح في البال، يذكر بتراث كان فعلاً جميلاً.

هدوء الارض: من المؤسف ان القرية اللبنانية اخذة في الزوال، وعلى اللبناني ان يفتش عن معالمها، عن معالم تلك المساحة الهائلة التي نعم بها ابائنا والاجداد. ومن يقول بان اباءنا والاجداد لم يكونوا هنا عيشا وانعم بالاً؟

وفرت لنا ترشيش الكثير من السعادة والطمأنينة حيث ربينا فيها. واليوم، نحن الذين ندور في دوامة الحضارة، بحاجة الى هدوء، الى قناعة، الى طمأنينة. توفر العودة الى الارض للاعصاب القلقة والعقول التعب شيناً من جمال الحياة في الضيعة وحياتها الهائلة.

عودة متكبرة: صحيح اننا عدنا الى ترشيش، لكنها ليست عودة الابن الشاطر الى ابيه، ولا عودة الى التراث. انها عودة متكبرة، اذا صح التعبير، تقتقر الى الكثير من الشفافية. انها عودة بورجوازية فوقية، فهذه العودة رفضت الرجوع الى الضيعة في مفهومها الجغرافي، اي كما كانت، وآثرت ان تنتشر بيوتها في مساحات شاسعة كما الغيوم في السماء.

في ذمة الزمن ايتها الضيعة اللبنانية، في ذمة الزمن يا ترشيش، لان ترشيش الجديدة تخلت عن تراثها، فلا ساحات ولا ازقة ولا طرقات ضيعة ولا حارات متلاصقة ولا اعراس قروية ولا عدييات ولا شعر ولا زجل.

***

لست ادعو الى الرثاء. ولست ادعو الى العودة الى الوراثة. لكنني للاحرى ادعو الى العودة الى الضيعة في اخلاقها ونبيلها، في عنفوانها واصالتها، في شهامتها وتماسكها ومحبتها. هذا البعد عن الضيعة واخلاقها ضيعنا. ليس من تقاليدنا النقاتل على قطعة ارض، وليس من تراثنا ان نقف امام المحاكم من اجل شبر تراب.

لن يكون لبنان جميلاً اذا تخلى عن تراثه، عن قراره وضياعه. بالمحبة وحدها، اسمى الفضائل الانسانية القروية، يعيش لبنان. في غياب التراث، تغيب البركة.

ترشيش كمركز سياحة بيئية

يوسف سعيفان

قد يتبادر الى الذهن ان ترشيش لن تعاني من المشاكل البيئية نظراً لموقعها وطبيعتها ولكننا بعد محنة التهجير نحن امام استحقاقات بيئية هامة لا بد من التنبه لها والاستعداد لمواجهتها بخطة متكاملة.

صحيح ان موقع ترشيش يجعلها بلدة مميزة لو نظرنا اليها من الناحية البيئية اذ ان علوها حوالي 1500 م عن سطح البحر يجعل هواءها عالياً ومناخها مميزاً بعيداً عن مسببات التلوث التي تعاني منها معظم المناطق اللبنانية. يضاف الى ذلك تنوع المنظومة الطبيعية الايكولوجية فيها من احراج كثيفة وقلاع صخرية طبيعية آية في الجمال وتربة خصبة منتجة وارض رملية وصوانية اضافة الى كثرة التنوع الحيواني والنباتي الذي يشكل بيئة طبيعية متوازنة ذاتياً.

***

اذا قمنا بنظرة الى واقع ترشيش البيئي قبل التهجير لنقارنه بالحاضر ونستشرف من خلاله المستقبل يتبين لنا ان ترشيش قبل الحرب لم تعان من اية مشكلة بيئية ولربما كانت البلدة الوحيدة في لبنان التي لم يكن فيها مكب نفايات لان جميع نفاياتها كانت تحول تلقائياً الى اسمدة، خاصة في غياب النفايات الصلبة عنها تماماً. كذلك كانت تغيب عنها مشكلة الصرف الصحي نظراً لقلة عدد المساكن والسكان وظروف وطبيعة الحياة الريفية.

لكننا وبعد بدء مرحلة العودة تظهر لنا مشاكل بيئية نسجل منها ما يلي:

1. ظهور مساحات جرداء واسعة خاصة بعد ان يبس اكثر من 95% من اشجارها المثمرة وغير المثمرة لاسيما التوت التي لم نعد نرى منها الا النادر.
  2. التوسع في العمران وزيادة موقع الجرف وتشويه البيئة الطبيعية.
  3. الفوضى والعشوائية في استثمار محافير الرمول.
  4. توقع مشكلة الصرف الصحي وهي مشكلة كبرى ستظهر خاصة عندما نحصي عدد الجور الصحية التي نتوقع حفرها والتي ستزيد عن خمسمائة حفرة مما سيؤدي الى مشكلة تلوث للحياة الجوفية خاصة انه لا بد من استخراجها واستثمارها في المستقبل.
  5. مشكلة النفايات خاصة الصلبة منها المتوقع ظهورها مع حصول العودة والسكن في البلدة نظراً لتغير نظام العيش عما كان قبل التهجير ومع تقدم صناعة المنتجات في المآكل والمشارب وسائر انواع الاستهلاك المنزلي.
  6. الاسراف في استعمال الاسمدة الكيماوية والمبيدات الزراعية من دون معرفة مسبقة بنتائجها نظراً لغياب الدراسات العلمية لها مما يعرض تربتنا ومياهنا للتلوث.
  7. الرعي الجائر لقطعان المواشي الناتج عن عدم تنظيمه.
  8. الصيد غير المراقب والذي بمجمله يخالف قانون الصيد البري من جهة ويقضي على التوازن البيئي من جهة ثانية.
- اضافة لكل ذلك هناك الملوثات الهوائية التي تأتينا من المناطق الملوثة والتي تختلط بالغيوم وتتساقط مع الامطار وتتلقى ترشيش بدون شك جزءاً منها.

***

ان نظرة سريعة لهذه المشاكل تدفعنا الى التفكير مطولاً بخطة بيئية شاملة تتعاون عليها القدرات الناشطة في البلدة والمراجع المعنية على السواء ولا بد ان تشمل هذه الخطة ما يلي:

1. الاهتمام بالتشجير واذا كان اهالي ترشيش قد بدؤوا بورشة واسعة لاعادة تشجير البساتين بالاشجار المثمرة فإنه لا بد من تشجير الاراضي الجرداء جميعها اضافة الى تشجير جميع الطرقات الرئيسية والفرعية.

2. الاهتمام بإقامة الحدائق خاصة ان ترشيش فيها اكثر من مكان مؤهل ليكون حديقة عامة لاسيما في بعض عقارات مشاع البلدة.
3. الاهتمام باقامة المحميات واذا كانت هناك محمية او محميتان موجودتان اليوم فان اماكن عدة في ترشيش يجب ان تكون محميات خاصة القلاع الصخرية الرائعة المنتشرة في ترشيش بكثرة والتي ينبغي ان تعد خطة ضرورية وسريعة لحمايتها.
4. الحفاظ على الاشجار المعمرة والتي يزيد عمر بعضها عن المئة عام مثل جوزات طريق الحرج وحورات الجامع وغيرها.
5. حماية المناطق الحرجية لاسيما ضرورة شق طرق داخلها لان حرج ترشيش الذي يشكل ثروة بيئية واقتصادية هامة عليه خطر كبير لو هبت عليه لا سمح الله رياح الحرائق التي تجتاح المناطق اللبنانية حيث يتعذر المرور والوصول الى مختلف جوانبه لاطفائها اضافة الى تعذر التشحيل والتنظيف والعناية.
6. التنبيه لمشكلة الصرف الصحي وضرورة التخطيط لاقامة مجاري عامة ومعمل تكرير لمنع التلوث.
7. تهيئة مكب نفايات والبحث عن الوسائل العلمية لفرزها او طمرها او تدويرها بشكل صحي علمي كي لا تقع فيما وقعت فيه البلديات اللبنانية المختلفة من مشاكل.
8. وقف استخراج الرمول وتشويه البيئة واذا لم يكن هذا الامر ممكناً اليوم فإنه لا بد من تنظيم هذا الامر وحصره بالحد الادنى عن طريق خطة بيئية تشمل الاراضي المشاعية العامة والاراضي الخاصة على السواء تأخذ بالاعتبار اعادة تحليل واستطلاع مكان الاستثمار وتأهيله للزراعة والتشجير من جديد وبشكل الزامي للمستثمر.
9. جرف ركام المنازل المهدامة كلياً والتي لم يقم مكانها بناء جديد حتى الآن اضافة الى تجميل وتشجير مواقع البناء الجديدة واصلاح ما فسد بيئياً بسببها.
10. مراقبة الرعي والصيد وتنظيم اوقاته واماكنه بما يراعي القوانين ويخدم السياسة البيئية المطلوبة خاصة ان هناك انواع كثيرة من الطيور مثل الحجل والهدهد التي كانت اعدادها كثيرة انقرضت بشكل شبه تام.

11. مراقبة استعمال المبيدات والاسمدة الزراعية ومراقبة مفاعيلها ونتائجها وتأثيرها على تلوث الماء والهواء والتربة والتوازن الحيواني والحشري الضروري لبيئة سليمة.
12. حماية الآثار والمواقع الهامة سياحيًا مثل هوة البارح والنواويس الصخرية ومواقع الآثار المختلفة التي اُتلف الكثير منها بسبب الجهل والاهمال.

***

نعلم جيدًا ان تنفيذ هذه المشاريع ليس بالامر السهل ولربما كان ما نرجوه امرًا بعيدًا عن الواقع ولكننا يجب ان نعمل لتحقيق ذلك على مستويات ثلاثة:

اولاً: على مستوى المواطن ابن ترشيش: اذ يجب ان ندرك دورنا تمامًا في هذا المجال ونحصد بالثقافة البيئية وبخلاقية التعامل مع الطبيعة ومواردها وندرك اهمية البيئة للحفاظ على سلامة الحياة. ولا بد ان نقوم جميعنا بدور الرقيب الساهر وتحويل الى قوة ضاغطة من اجل الحفاظ على بيئة سليمة صحية جميلة.

ثانيًا: على مستوى الادارة المحلية: ان مهمة البلدية ليست بالامر السهل مما يدعوها الى الوعي التام للمشكلة البيئية والعمل بنشاط للتخطيط السليم والتنظيم والمتابعة فالقرارات البلدية وصوابيتها وتطبيقها في هذا المجال هو حجر الزاوية في الحصول على بيئة نرجوها.

ثالثًا: على مستوى الدولة والمؤسسات: التي يجب ان تلتفت الى المناطق الريفية من اجل تنميتها اقتصاديًا واداريًا وبيئيًا تطبيقًا لسياسة النمو المتوازن التي لم نلاحظ منها شيئًا حتى الآن.

***

اننا نطمح لتصبح ترشيش مركزًا هامًا للسياحة البيئية وهي مؤهلة لذلك تمامًا اذا ما راعينا في سياستنا البيئية الشروط اللازمة خاصة ان اقامة اي مشروع سياحي يحتاج الى بيئة مناسبة فالسائح لا يقصد مقهى او منتجًا معزولاً عن الطبيعة بل يفتش عن مواقع طبيعية وراثية اولاً. ان نجاح السياحة البيئية عندنا هو مدخل اساسي لقيام بلدتنا ونهوضها اقتصاديًا وصحياً واجتماعياً وثقافياً وبالتالي هو مجال هام من مجالات التعاون بين شبانها ومدخل رائع لصفاء النفوس والاستقرار نرجو تحقيقه سريعاً.

التكيف المحلي مع المتغيرات

هنري شيبان

ترشيح اول من يستقبل الشمس واخر من يودع القمر. البلدة التي قدر لها ان تكون اول من يستقبل الشمس واخر من يودع القمر هي التي تحمل اسم حفيد نوح كما حملت اسمها للسفن التي حملت يونان عندما كان هارياً من وجه الله.

ان النهاية الرمزية للعالم المنبثق من الحرب العالمية الثانية كانت في سقوط جدار برلين في تشرين الثاني 1989 اما النهاية الفعلية فجاءت مع استقالة ميخائيل غورباتشوف وتكفيك الاتحاد السوفياتي في كانون الاول 1991 وقد شكلت السنوات 1989-1991 نهاية العالم الاميركي السوفياتي.

تعايشت البشرية على مر الاجيال والعصور ضمن مجتمعات متحاببة او متخاصمة، وضمن تلك المجتمعات كانت الخصوصية والمعتقدات والعادات والتقاليد التي ميزت كل قبيلة او عشيرة عن الاخرى، ومع تكاثر البشر كان لا بد من اندماج الشعوب والقبائل والعشائر مع بعضها البعض.

ليست العولمة ظاهرة ظرفية، انما بعض المحللين الاقتصاديين متفقين على ان الاقتصاد، لم يكن معولماً من 100 سنة خلت كما هو اليوم. اما اليوم فالاسواق الاقتصادية والمالية منظمة ومتنامية اكثر من اي وقت مضى والسبب في هذا كله هو العلاقات التجارية الالكترونية. فان العولمة تفتح آفاق كثيرة للتعامل التجاري والاقتصادي بين الدول والشعوب ومما يسمح بزيادة الانتاج لاي من السلع التي تتمكن من دخول هذا المضمار.

بعض البلدان بدأت تدخل العولمة الاقتصادية بسرعة أكثر من دول أخرى. لكي نتمكن من الحصول على منتج معين من إحدى الدول لا بد أن يكون هناك وكيل معتمد لهذا المنتج وهذا الوكيل كان يتحكم بالأسواق المحلية من حيث السعر والأرباح كل هذا ليس منذ زمن لا يزيد عن 30 سنة، هذا ما يسمى بالديكتاتورية الاقتصادية، إنما بدخول العولمة أصبح بالإمكان التعاطي والتعامل ديمقراطيًا أكثر.

إن ثورة النمو التكنولوجي العالمي التي بدأت بشكل كبير ابتداءً من 1990 جعلت من ظهور العولمة يأتي حاملاً بعض المخاطر على المجتمعات وخاصة الفقيرة منها. إنما زاد بالمدائل وساهم بتكبير رؤوس الأموال الكبيرة أو الصغيرة، مما ساهم ويساهم في وجود نظام اقتصادي ومالي عالمي جديد.

***

يجب علينا أن نتحضر ونعمل بسرعة بالانخراط في تلك الأسواق. من خلال إعادة التأهيل في كافة المجالات العلمية والتكنولوجية مما يزيد من فرص العمل للشباب ويقوي اقتصادنا وينمي المجتمع بطريقة جديدة.

مثلاً: إن الرئيس الأميركي السابق كلينتون عمل على تحضير المجتمع الأميركي لمواجهة القرن الواحد والعشرين من خلال تحديث الإدارة والعاملين فيها. كما تم صرف مبالغ مالية كبيرة في سبيل إعادة تدريب الموظفين وتوجيه الشعب الأميركي إلى التدريب على استخدام قوى التكنولوجيا وعولمة الاقتصاد مما يزيد في فرص العمل ويساهم في تطوير المجتمع ويسرع الاقتصاد.

إذا دخلنا في قطار العولمة يمكننا أن نعمل على استغلال مداخيل ورساميل إلى لبنان من دون تكبد عناء الذهاب للتفتيش عن أسواق للبضاعة التي يتم إنتاجها في لبنان. فإن القطار يسير. كلما سارعنا واخذنا أماكننا في هذا القطار كلما كانت هذه الأماكن أفضل، وكلما تأخرنا كلما كانت هذه الأماكن أقل قيمة وأقل مردوداً، فكل يوم تأخير يكون قد سبقنا العشرات أو المئات من الأماكن.

بما أن الحضارات والعادات أصبحت موجودة على شبكة الإنترنت (ولو في بعض الأحيان ليست حقيقية 100/100) إنما أصبحت تؤمن المعرفة للذين هم بحاجة إليها من دون

تكبد عناء الذهاب الى البلد الذي يحوي حضارة معينة، كما وفرت له قيمة كبيرة من المصروف الذي كان لا بد من ان يتم صرفه في تلك البلاد. هذه ناحية ايجابية، انما الناحية السلبية ساهمت بهبوط قيمة مدخول الفرد في تلك الدول ومنها لبنان، ان ما لا يمكن الحصول عليه بواسطة الانترنت هو المناخ الجيد لصحة الانسان. يعني اذا تمكنا من استخدام العولمة لمصلحة بلدنا من خلال ابراز الوجه الجيد للطبيعة اللبنانية وللمناخ الصحي نكون بذلك تمكنا من اعادة استجلاب واستقطاب العدد الكبير من الاشخاص والمؤسسات التي تعنى بالصحة مما يزيد في ادخال رؤوس الاموال وزيادة الدخل عند الفرد في لبنان كما يزيد من فرص العمل ويعود لبنان الى سابق عهده ومركزه اذ انه "صيدلية العالم".

تعقيب

الاهتمام بالشأن العام*

افلين مسرّه

الكلمات التي القيت واقعية وعملية، وامتازت المداخلات بأسلوبها الموجز. من المعروف ان ابن ترشيش يتمتع بذكاء مقرون بالعلم. نهى ترشيش التي لا زالت تحتضن، على الرغم من كل شيء، اشخاصًا على هذا المستوى.

عندما تم اختيار هذه القرية خشيت ان يفشل اللقاء اذ ان عدد سكانها قليل، وكان الدكتور ناصر طقطق، ابن القرية، اوضح لنا ان القرية خالية منذ زمن وسكانها قلائل وقد يعجزون عن الحضور اليها خاصة يوم السبت، اضافة الى انه هو ايضًا مشغول. لكن التجاوب جاء ممتازًا، والملفت اشتراك الشباب، وآمل ان يكونوا قد استوعبوا ما قيل. كل الحديث الذي تناوله الآباء في ترشيش يصب في مستقبل ابنائهم الذين سيستلمون الامور في المستقبل ويصبحون في ما بعد كالأجداد الذين جاء نكرهم في اللقاء.

***

وردت خلال الندوة نقاط عديدة مهمة. اود التذكير ببعض ما قيل. ان الحرب هدمت كل شيء ماديًا ومعنويًا. تكررت هذه الفكرة مع عدة محاضرين طالما الانسان موجود يعيد كل شيء ويبني من جديد، لكن المهم والخطير وما يجب ان نتحاشاه فعلاً هو التهديم المعنوي وخاصة الروحي. سأل احد المشاركين: "الثقة مفقودة واليأس شامل فما هو الحل؟"

تعتبر الحلقة بداية حل او جزءًا منه او تنمة له، وابناء ترشيش يتفهمون الموضوع جيدًا. وورد ان كل التراكمات والازمة، أكانت اقتصادية او سياسية، ليست بريئة. للازمة غاياتها

---

*. ان النص هو موجز مداخلة شفوية ونقلًا عن آلة تسجيل تولت تفريغها وصياغتها السيدة ارييت سعاده ابي نادر.

وهي التي تعمل اليوم، والامور السيئة التي نشعر بها في اعماقنا يجب ان نحاربها. اليأس ممنوع. ربما لا نملك اليوم سوى شعاع ضئيل من النور، ولكن علينا الاستفادة منه لنتمكن على ضوءه من معرفة ماذا نفعل.

***

في الامور المحلية طرح احد المشاركين موضوعاً مفاده ان مكاناً رائعاً في ترشيش، هو كناية عن شجرة وبمحاذاتها يباع، يقصدها الناس يوم الاحد بهدف عطلة نهاية الاسبوع. ويرحلون تاركين كل شيء في الارض. لا يعقل كم يفكر اللبناني بمصلحته الخاصة ولا يفكر ابداً بمصلحة غيره. يطلب من الناس ان تحترمه وان تطبق القانون، بينما لا يفكر هو بكيفية احترام غيره. فالذي قام "بالبيك نيك" لم يفكر بالعائلة التي ستقصد المكان من بعده في الاسبوع المقبل. وفي حال تناول هذا المواطن نفسه طعامه على شرفة منزله، لا يترك ورقة في الارض عندما ينتهي من تناول طعامه، فكيف يترك كل شيء مرمياً في الطبيعة؟ ثم يسأل: ما هو الحل؟، علماً ان الحل بسيط: على كل انسان ان يبدأ بنفسه. يلزمنا وقت كثير لتتعلم كيف نحترم القواعد العامة في الشارع والساحة والحرش وامكنة الترفيه.

بين اهدن وزغرتا، وفيما كنا نقصد المكان اضعنا الطريق، فدخلنا طريقاً مليئاً بالنفايات. زرع اجدادنا احراشاً رائعة، بينما يعمد ابناؤهم اليوم الى زرع النفايات. هل يصعب التوصل الى طريقة يمكن بموجبها المحافظة على البيئة وعلى الصحة العامة؟ الطريقة ممكنة وتقضي بأن يبدأ كل واحد بنفسه.

منذ دخولي المدرسة ربيت على تنظيف الشارع، ولكن لا اسير في مكان في بيروت او طرابلس او على الطرقات العامة، الا واجد قنينة الكولا والفوط الورقية مرمية على جانبي الطرقات الجميلة في لبنان. مكثت اثني عشر يوماً في ايران ولم ار خلالها اية ورقة على الطريق، أكانت ورقة مصنعة او ورقة شجر. وفي استراليا لم نر اوراقاً او اعقاب سجائر مرمية في الغابة او على الطريق او على الرمل، بينما تنتشر النفايات في اجمل مسبح في لبنان، ونجد اعقاب السجائر موزعة على الرمال وحتى في المنتجات الخاصة. وحصل ان رأوا على شاطئ قبرص كيس نفايات، فقال اللبنانيون الموجودون هناك: انه قادم من لبنان! معنى ذلك ان نفايات لبنان تصل الى قبرص... لا يجوز ان ننتظر الآخر لينظف عوضاً عنا. تقضي الحكمة المحلية

قيامنا بواجباتنا بأنفسنا. الحل الملائم للقرية هو توفر اربعة اشخاص يتطوعون لحل هذه القضية، فتوضع لوحة كتب عليها: حافظوا على النظافة، او النظافة من الايمان.

***

المطلوب فيض من المعنويات، واليأس ممنوع خاصة عند الشباب. ليعملوا بقدر طاقتهم، فمنهم من درس في الخارج وربما تملك في الخارج فبات الوقت ينقصهم. اصبحت الازمة الاقتصادية شغلنا الشاغل ليل نهار، وحتى خلال العطلة، كما هو حاصل اليوم في ترشيح، حيث يفتقر اللقاء الى العنصر الشاب، الذي يعمل حتى في هذا اليوم ويعجز عن الحصول على اجازة عمل بسيطة او اقبال مكتبه.

يتم الهاء الشباب بتأمين ضروريات العيش. ربما الهدف من ذلك هو اشغالهم عن الاهتمام بأمور تنموية. على اللبناني ان يكرس وقتًا للمصلحة العامة.

ترشيح في سطور

الموقع الجغرافي:

- محافظة جبل لبنان - قضاء بعيدا - حدود محافظة البقاع وقضاء المتن الشمالي.
الارتفاع عن سطح البحر متوسط 1500م².
المساحة 1200 هكتار.
البعد جواً عن مركز القضاء 24,33 كلم.
البعد عن مركز المحافظة والقضاء 42 كلم.
البعد عن العاصمة 45 كلم.
الرمز الجغرافي 21481.

الطرق المؤدية اليها:

1. ضهور الشوير - عينطورة - ترشيح.
2. حمانا - كفرسلوان - ترشيح.
3. زحله - حزرتا - ترشيح.
4. بسكنتا - صنين - ترشيح.

على الخريطة هي في نقطة الوسط تماماً ملتقى الخطين الطولي والعرضي للبنان.

اصل الاسم ومعناه:

الاحتمال الاول: اسم مركب من جزئين TUR SHISHA من السريانية الجزء الاول TUR ويعني جبل والجزء الثاني SHISHA ويعني الرخام فيكون المعنى: جبل الرخام. الاحتمال الثاني: من الفارسية ويعني حجر كريم الاحتمال الثالث: يعني الجبل الحصين. ترشيش ورد مرارًا في التوراة واختلف الباحثون في تعيين موقعه، غير ان البعض يرجح ان يكون ميناء في جنوبي اسبانيا ويتفق مع التسمية اليونانية TARTESSUS.

الديمغرافيا:

1. عدد السكان 1500 نسمة تقريبًا - جزء في المغتربات.
2. عدد الناخبين (عام 2000) 1344.
3. عدد المساكن 400 (انشئ منها 220).
4. أماكن دينية: ثلاث كنائس - ثلاثة مساجد.
5. عائلات: ابو طانيوس، جبرائيل، جبر، حايك، حشيمي، حنا، سعيقان، شعيا، شيبان، صدقة، طقطق.
6. لجان اوقاف، جمعيات، روابط، تعاونية زراعية، ناد رياضي.

الموقع الرسمي:

1. مجلس بلدي انشيء عام 1960 وهو حاليًا من 12 عضوًا.
2. مختاران.
3. هيئة اختيارية 3 اعضاء.
4. محاكم بعبدا.
5. دائرة نفوس حمانا.
6. مخفر درك قرنايل.
7. بريد قرنايل.

الاقتصاد:

زراعة، حرف، مهن حرة، تجارة، وظائف في القطاعين العام والخاص، اغتراب.

تاريخ واماكن تراثية واثرية:

البلدة قديمة جدًا. كانت محطة للقوافل على طريق المتن، البقاع تمر فيها الطرق الرومانية المعبدة التي تصل شواطئ البحر بالسهول الداخلية. وفي عهد الامراء الوطنيين اصبحت ملكًا للامراء المعيين الذين باعوها فيما بعد للسكان الحاليين. بقايا آثار رومانية وكتابات منقوشة على الصخور تعود الى عهد الامبراطور اديانوس قيصر (اوائل القرن الثاني للميلاد). وهي تشير الى ان المنطقة كانت مستعمرة فينيقية في السابق. نواويس صخرية كبيرة رومانية، بقايا آثار السور القديم للحصن وقناة الماء الحجرية. وجد بعض علماء الآثار بين الصخور والمغاور آلات الحجر المصقول على مختلف انواعها من العصر الحجري. كما وجد بين الاطلال مجموعة من النقد المعدني الفينيقي والروماني والبيزنطي العربي والكتابات الرومانية ظاهرة وبوضوح في دارة الغيضة والقشا.

خريطة

الباب الثاني

الجومه

بالتعاون مع اتحاد بلديات الجومه
قاعة عصام فارس الثقافية في رحبه
تنسيق رلى مخايل

تنمية المجتمعات المحلية

كميل حبيب

انقل اليكم تحيات دولة نائب رئيس مجلس الوزراء وتمنياته بنجاح ندوة "الحكمية المحلية"، والتي جاء انعقادها نتيجة جهود مشتركة ومشكورة من قبل المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم واتحاد بلديات الجومة.

***

اعتمدت ندوتكم، وبحق، شعار "فكر شمولياً واعمل محلياً"، اذ ان التنمية المحلية تعتبر جزءاً لا يتجزأ من التنمية الوطنية الشاملة. وهذا الهدف اضحى في لبنان مبدأً دستورياً يلزم الجميع، وعلى كافة المستويات، بالعمل لتحقيق "الانماء المتوازن للمناطق ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً..." لان ذلك "ركن اساسي من اركان وحدة الدولة واستقرار النظام".

التنمية تعني في آن معاً التطور، التغيير في الحالة القائمة، التقدم، الاغتناء والتفتح. وتقاس التنمية، ليس فقط بازدياد الانتاج كمّاً ونوعاً، بل ايضاً بالتحسن الذي تحمله الى الانسان والى طريقة حياته.

الانسان هو محور وهدف التنمية في آن معاً. فمن جهة تهدف التنمية الى بناء الانسان بناءً معنوياً، وعن هذا الهدف تتفرع بقية الاهداف الثانوية الاخرى من صحية وبيئية وادارية.

ومن جهة اخرى، فان الانسان هو الذي يسيّر ويشارك وينفذ التنمية، ودوره يشكل عوامل حاسمة في عملية تسيير التنمية وتوجيهها في هذا الاتجاه او ذاك، ام في هذا المجال الاجتماعي او ذاك.

جوهر التنمية هو الوصول الى مرحلة من الانطلاق الذاتي عن طريق تمكين الاهالي من القدرة على تحليل المواقف ومواجهة المشكلات والانخراط في العمل الاجتماعي من خلال مشروعات تعاونية.

***

يعتمد نجاح العمل التنموي على وجود ادارة كفوءة متكاملة ومرتبطة ارتباطاً عضوياً بإبعاد التنمية الشاملة. بمعنى آخر، ان العمل الاداري هو جزء من الثقافة السياسية للمجتمع. كما ان اهداف التنمية مستحيلة التحقيق في غياب اللامركزية الادارية المواكب لمسيرتها فاللامركزية الادارية تتطلب نقل النشاط الاداري من ايدي موظفين مركزيين الى ايدي موظفين يقيمون في الاقاليم والاطراف، لان في ذلك تضيق الهوة بين الدولة والمواطن. ويمكن تحديد ايجابيات اللامركزية الادارية على النحو التالي:

1. ان اللامركزية الادارية تعني كيفية تنظيم الخدمة العامة وكيفية اوصولها الى المواطن بأفضل السبل واسرعها.

2. اللامركزية الادارية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحرية عن طريق تولي الجماعات المحلية ادارة شؤونها الذاتية بنفسها ومشاركتها في تحمل المسؤولية على صعيد الخدمات العامة. تبدو اللامركزية الادارية ضرورة وحاجة في آن معاً. هي أولاً ضرورة لانها توفر حدًا أدنى من الحريات وتبني الشعور بالمسؤولية وتدكي روح المشاركة في الحياة العامة. واللامركزية الادارية هي ثانياً حاجة لان الخطط التنموية لا تقوم الا على التنظيم. والتنظيم يعني توزيع العمل وتحسين اساليب الادارة ومعرفة الحاجات والمتطلبات.

***

يستدل مما تقدم اهمية تنمية المجتمعات المحلية باعتبارها القاعدة الاساسية للتنمية المتكاملة لما تتميز به هذه المجتمعات من ترابط اجتماعي ومصالح مشتركة قادرة على خلق تفاعلات ديناميكية تواجه بها مشكلات الحرمان.

وعي الفرد لدوره سجيع عطيه

اذا كان العالم بأسره قد امسى قرية صغيرة، واذا كانت القيم الانسانية الشاملة تعرف في قرانا منابع ورياض وقناطر، فكم حري بنا ان ننفذ عقد التخلف وحتمية التبعية ومسلمات تجعل الانسان في المجتمع مستهلكًا لا منتجًا، متأثرًا لا مؤثرًا، متوائيًا لا مبادرًا.

اذا صحت مقولات الصراعات الحضارية اليوم في العالم، اولسنا في منطقة الجومة بالذات، خير مثال للرقى الانساني، حيث المسيحية والاسلام لم يعرفا يومًا الا التناغم الاجتماعي السليم وفق ثقافة محلية نابغة من هذه الارض وقيمها وتراثها المشرف، دون ان يهدر وحش الحضارة بتكنولوجيا الاسلحة المدمرة ليدعي انه رسول العدالة بين الشعوب.

في قيمنا المحلية، ثروات لو عممت لقضت على جوع العالم الى ديمقراطية حققة، وكأني بهذا القول ادخل بجدلية تكاملية مع مبدأ برنامج الحكمة المحلية الذي يقول: فكر شموليًا واعمل محليًا لاقول: فكر محليًا واعمل شموليًا، وغاية القول ان التفكير بما عندنا مهم جدًا وقد يعطي الكون لمسة انسانية يفتقر اليها.

***

تكم ان اهمية برنامج الحكمة المحلية في تحفيز الفرد على وعي دوره، ودفعه الى المشاركة المحاوره، ليمسي شريكًا للسلطة المحلية ومؤثرًا في قراراتها.

وهذا مشروع اصلاح سياسي بامتياز اذ ان لقاء الآخر بكل ما يحمل هذا الاخر من تمايز واختلاف هو بداية تتخلع عمارة العصبية العقائدية السياسية الضيقة، والعائلية الاقطاعية المدمرة، والطائفية المكفرة البغيضة.

من هنا كان اهتمام اتحاد بلديات الجومة، ببرنامج الحكمة المحلية. وما لناؤنا من مختلف بلدات الجومة الا تأكيد على ان همومنا واحدة، ومشاكلنا واحدة، ولا يمكننا ان نحسن اوضاعنا الا اذا تحاورنا على طاولة واحدة.

ارجو ان يؤدي هذا اللقاء الدور المرجو منه، وارجو ان نصل الى اطار يؤمن دوام التواصل بين كادرات ابناء الجومة المجتمعين اليوم، لنعمل معًا ونتعاون لما فيه مصلحة هذه المنطقة.

***

وان كانت اليوم امكانات اتحاد بلديات الجومة محدودة جدًا ومرهونة بسياسة التعامل مع ملف صندوق البلديات، الا اننا نغتنى بمؤازرة وهمم الشباب وخبرة اهل المعرفة. سيفتتح مركز اتحاد بلديات الجومة في بينو الذي سيكون بالنسبة للجميع مركزًا للمراجعة والخدمة، واقول بوضوح ان كل ما لدينا هو بخدمة الجميع.

برامج تطبيقية وبحثية لتعزيز المواطنة

رلى مخايل

انا مشارك، انا معني، انا مسؤول، كلمات قليلة ومقتضبة الا انها تختصر معنى وروحية البرامج التي تسعى "المؤسسة اللبنانية للسلام الاهلي الدائم" الى تطبيقها عبر مواضيع وابواب متعددة ولكن بهدف واحد هو المساهمة في تعزيز مفهوم ثقافة المواطنة والسلام على مختلف المستويات.

من المدرسة الى الجامعة الى العمل المحلي، الى تفعيل المشاركة العامة، الى عمل المجتمع المدني، الى الحث على بناء سياسات اجتماعية واقتصادية عادلة، الى ابتكار "مفاهيم" و"مصطلحات" جديدة وادخالها في التداول... في هذه المجالات وغيرها، كانت تسعى دائماً المؤسسة الى ارساء ثقافة المشاركة والالتزام وتحمل المسؤولية وصولاً الى بناء ثقافة مواطنة صلبة تكون اساساً للسلام الاهلي الدائم.

ليس من السهل اليوم الحديث عن تجربة العمل في ثقافة التربية المدنية في بلد متنوع ومتعدد مثل لبنان، وذات وضعية خاصة ايضاً نتيجة الحرب التي شهدها على مدى 20 عاماً. وحتى اكون عملية اكثر في عرضي، اعرض بعض الخطوط العريضة لبعض البرامج التطبيقية للمؤسسة في هذا المجال.

***

1. شددت المؤسسة دائماً على انتاج نماذج تثير الاقتداء والتعميم، وتفيد الاجيال الجديدة عبر انتقال ذاكرة حية من جيل الى جيل فاتي مثلاً برنامج "مواطن الغد" بالتعاون مع المؤسسة الوطنية للديمقراطية، ليغني في مجال التربية المدنية عبر اطلاقه للعديد من النشاطات في الثقافة المدنية وليفلت الى العديد من المبادرات في هذا المجال، وليضع اسساً لكيفية العيش

معاً في مجتمع واحد وليفسر للجيل الجديد - عبر امثال من التاريخ - ان الحريات وحقوق الانسان هي سياق تاريخي طويل يحتاج الى نضال وسلوكيات معينة.

***

2. وابتعدت المؤسسة عن التقليدية وذهنية النق والاشتكاء التي تطبع عامة الخطاب العربي واللبناني، الى التركيز على المبادرات البناءة في المجتمع ووثقتها وحاولت تعميمها عبر حث المواطنين على الاقتداء بها... نسمع كثيراً من المواطنين يشتكون من كذا... المهم لديهم ان يشتكوا.

حاولت المؤسسة عبر برامج اخرى ان تحث المواطنين على التفكير في كيفية العمل لتحسين اوضاعهم وظروفهم في هذا المجال. كان مثلاً برنامج "الحكمية المحلية"، بالتعاون مع المؤسسة الوطنية للديمقراطية، نفذ هذا البرنامج في المناطق اللبنانية مع الجمعيات الاهلية والمواطنين لدفعهم الى التفكير اكثر في تحسين ظروف حياتهم في مناطقهم في المجالات المختلفة عبر المبادرة الى العمل. وانطلق مفهومه من ان التنمية والتغيير ينطلقان من العمل المحلي فكل مواطن هو معني ومسؤول عليه ان يشارك ويبادر لتحقيق مواطنيته. وارتكز البرنامج على اسس عدة منها:

- تعريف سكان البلدة التي نعمل فيها على اوضاعهم الصحية والبيئية والعمرانية والتربوية...
- الاصغاء الى مشاكلهم وحاجاتهم وارساء النقاش المحلي في القضايا الحياتية المشتركة.
- استخلاص ابرز الحاجات وصياغتها في مشاريع تنموية، لتحفيزهم على المبادرة.
- اطلاق مبادرة محلية في البلدة تكون حاجة لاهلها وتتعلق المبادرة من فكرة وتنفيذاً من الاهالي.
- لترسيخ مفهوم الحكمية جرى تأسيس شبكات محلية للبرنامج من المواطنين المحليين والمؤسسات الاهلية المحلية لمتابعة العمل.
- وجرت متابعة لتنفيذ المشاريع.

***

كيف يمكن لهذا برامج ان تحدث تغييراً تربوياً وتؤسس لثقافة مدنية: مثلاً في برنامج الحكمية المحلية استطعنا ان نجتمع ناس من مختلف التوجهات والآراء والمعتقدات لنضعهم جميعاً على تبايناتهم - لبنان بلد شديد التباين - امام مشاكل وحاجات تجمعهم وهي تصب في خانة صالحهم المشترك... ليفكروا معاً في تحسين ظروفهم المحلية دون ان ينتظروا الدولة المركزية او المساعدات او جهات قوية... بعد كل لقاء كان يخرج المجتمعون ويفكرون في كل ما قيل وكنا نقيس درجة التفاعل بعد الاجتماعات حين تكثر الاتصالات بالمؤسسة راغبة في متابعة المشروع وفي العمل... لقد احدث المشروع فعلاً تغييراً في سلوك المواطنين وفي ذهنياتهم تجاه قضاياهم المحلية وبالتالي تجاه مواظنتهم والتزامهم بها...

***

طبعاً للمؤسسة برامج تطبيقية عدة وايضاً لديهم برامج بحثية وجامعية صدرت في اكثر من 20 كتاباً بحثياً صادراً عن منشورات المؤسسة. اسهم تاريخها البحثي والعلمي في مجال المواظنية والثقافة المدنية في مشاركة منسق الابحاث فيها الاستاذ الدكتور انطوان مسره بشكل اساسي وفاعل في وضع برامج التربية المدنية الجديدة في لبنان، التي شكلت فرصة لترجمة هذه الابحاث والاعمال الى مادة تربوية مبسطة وعميقة ووضعتها بين ايادي التلامذة والطلاب.

مستوصف منطقة رحبة

عبدالله الخوري

تشمل تجربتي العمل في المستوصفات الرسمية (لقد عملت لثلاث سنوات في مستوصف الدولة في القبيات قبل الأحداث) وفي المستوصفات الخاصة على نوعيها السياسي والاجتماعي.

المستوصفات نوعان:

الرسمي منها، وهو تابع للدولة، وهذا النوع يموت يوم افتتاحه، موظفوه تابعون لبعض الفعاليات السياسية، تصله الأدوية بالقطارة، لا تغني عن جوع، معظم الأحيان خزاناته خالية. يزوره المريض مرة ويندم على مشوار الطريق. يصح فيها قصة اعرابي مرّ على جامع بني في الصحراء فصلّى، وبعد الصلاة طلب بعض الطعام فلم يجد، فكتب على الحائط: "جامع من دون عيش ليش وجودو ليش"، وذهب ولم يعد إليه أبداً. هذا النوع هو هدر أموال ولا خير فيه، يجب اقفاله.

أما النوع الثاني فهو المستوصفات الخاصة وهي ايضا على نوعين:

النوع الاول أنشئ لغاية سياسية ومنها المستوصفات النقالة وهي أسوء انواع المستوصفات فإنها تحقر الطب والطبيب والمريض. فالطبيب الذي يقبل أن يقف في داخل بوسطة على قارعة الطريق ليعاين مريضاً فهو لا يحترم مهنة الطب ويحقر نفسه ويحقر المريض ايضاً، هذا المريض الذي يرى نفسه مجبراً ان ينتظر دوره واقفاً على الرصيف. هذا النوع يجب ان تحاربه نقابة الأطباء وكل من يحترم الانسان رحمة بالعباد واحتراماً لكرامة الناس.

أما النوع الثاني من هذه المستوصفات الخاصة فهو ما أسسته الجمعيات الخيرية دينية كانت أم اجتماعية مدنية.

هذا النوع آخر همه الريح، غايته مد يد العون لمن جار عليه الدهر وأهملته حكوماته. يخفف عن البائس قسماً من بؤسه، يحمل عنه عبء دواء عز عليه شراؤه، يوفر عليه معاينة طبية ليشتري بثمانها حليباً لطفل جف ثدي أمه أو كنزة تقيه برد شتاء قارس. الأطباء العاملون فيه همهم كهم المؤسسة خدمة الفقراء بكل محبة وإخلاص، يكتفون برواتب هي حقاً ثمناً لوقود سياراتهم، أجرهم الحقيقي هو عند الله، صح فيهم قول الإنجيل: "انتم ملح الارض"، يغنون مع سيّد درويش "والفقير لو رب كريم". هذه حال أطباء مستوصف منطقة رحبة "وأظن باقي المستوصفات ايضاً" وهم معنا منذ خمسة عشر سنة ونيف.

***

كلمة عن سعوا في ايجاد هذا المستوصف (اي أباه وأمه). أبوه سيادة المطران بولس بندلي يرعانا بحبته وعنايته وصلواته، ليسدد خطانا لنبقى على الطريق الصحيح طريق من خافوا الله وآمنوا به وعملوا للأخرة قبل الدنيا، أمه وحاضنته منذ تأسيسه أي منذ خمسة عشر سنة، السيدة الفاضلة فوتين عودة نعمة، تتفقدا مرة أو مرتين كل شهر، هذا منذ الخمسة عشر سنة (عمر هذا المستوصف)، تقدم لنا النصح، توفر لنا العون والعناية، ننتظرها كما تنتظر الفراخ عودة أمهاتها.

مؤسسون وأطباء وعمال ومرضى نعيش ونتعامل كعائلة واحدة.

أنشئ هذا المستوصف سنة 1987 والحرب تقصف بالبلاد وتقتل العباد، وكان حاجة ماسة للمنطقة بكاملها.

يخدم اكثر من خمسة عشر قرية وبلدة، يؤمونه مشياً على الاقدام، الأمهات تحمل أطفالها والعجزة نصفهم على عصا، والنصف الثاني يحمله كتف ولد وفيّ أو جار محب. قد فاقت معايناتنا السنوية الستة آلاف مريض، وشبنا فيه وما زال هو في عز شبابه بهمة مديره والعاملين فيه مستمر في نفس النشاط والهمة والصيت الحسن، يخدم دون كلل، ويستقبل دون ملل، الأمانة مبدأه، والعطاء مبتغاه.

من خدماته ايضاً، عدا عن الخدمات الطبية، تأمين الدواء والتلقيح المجاني للأطفال. يقوم به طبيب اختصاصي يؤمن تلقيح اطفال البلدة والجوار، يرعاهم كالأم الحنون، من تخلف

عن الحضور في الوقت المناسب يقصدونه الى البيت، ومن أنعم الله عليهم بالولادة يزورونهم ويلاحقونهم كي لا ينسوا واجباتهم لتلقيح أطفالهم.

هناك أيضًا الخدمات الاجتماعية: دورات محو الأمية - دورات الخياطة النسائية - الطب المدرسي الذي أجريناه لعدة سنوات عملنا فيه عدة عمليات لأطفال حميناهم من كارثة حقيقية، كانوا مصابين بضمور الخصية او الخصيتين، تابعنا عدة أمراض قلبية، وعمليات لتضخم الغدة الدرقية، استشفاء في مستشفى ظهر الباشق لأمراض صدرية، وهناك عدة مساعدات أخرى سيطول مجال ذكرها الآن.

ثم هناك دورات الرعاية الصحية، اذكر منها دورة أجريت في قرية دير عوزا كلفت فيها بتوزيع الشهادات وكان بين السيدات اللواتي تابعن الدورة سيدة جلييلة عجوز تجاوز سنها التسعين سنة وما زالت على قيد الحياة حتى الآن، وهي على ما أظن أمية، وهذا لم يمنعها من متابعة الحضور طوال الدورة، حتى نالت شهادتها، فذهبت وهي تضمها الى صدرها وهي تقول سأعلقها على "الحيط" و"الله يا أم علي عشت وحملت شهادة".

بريكم ألا تترغغ الدمعة في عيونكم عند سماع هذا الإنجاز؟

سأذكر ايضا بعض مصادر الأدوية: استفدنا من برنامج الرعاية الصحية للمطران غريغوار حداد ولسوء حظنا اوقفوها عن العمل. ولا ندري لماذا؟

ثم قدمت لنا كاريتاس لبعض السنوات ثم توقفت لعذر ان المساعدات الطبية قد شحت عنها. الآن نحن برعاية مؤسسة الشبان المسيحيين في لبنان تمدنا بالأدوية المزمنة وتفرض علينا قوانينها التي تفرض علينا إعطاء الأدوية مهما بلغت أصنافها ولفترة شهر كامل وبسعر واحد وهو ثمانية آلاف ليرة نصفها لهم والنصف الثاني لنا. كانت الكميات في البداية تكفي الثلاثة أشهر أما الآن فقد بدأت الكميات تتناقص، لأن الدولة قد خفضت مخصصاتها للمؤسسة. "وذلك لغاية في نفس يعقوب" وما اكثر الغايات في نفس يعقوب، ومن مدخول رسم المستوصف وما يعود لنا من الأدوية المزمنة، نشترى الأدوية، نلبي بها حاجات المرضى وما نقص نعطي به وصفات للصيديليات. نعم هذا غير كاف ولكن "الكحل أحسن من العمى".

هذا غيظ من فيض ما قدمته المستوصفات لأبناء المنطقة. بقي ان نذكر الاتهامات التي نواجهها.

اول تهمة هي: ان الطبيب الذي يعاين اربعين او خمسين مريضًا في اليوم، من المستحيل ان يقوم بعمله بطريق صحيحة. وانا اقول لهم، ان هذا الانسان الخلق الذي يبقى الساعات الطوال يبلمس الجراح ويعاين مريضًا بعد مريض ودون مقابل، هل يستحق اللوم أم يستحق الإكرام والإطراء. ثم أو تعتقدون ان المريض الذي، رغم ألمه، ينتظر طوال هذه الساعات، لا يثق بقدرة هذا الطبيب على القيام بهذا الانجاز؟ لا والى لا؟ نعم إنه يوفر بدل المعايينة وثمان الدواء ولكن ليس هذا هو كل السبب بل هناك ايضا الثقة والكفاءة في العمل.

التهمة الثانية: يقولون إن المستوصفات تنافس الصيدليات في أرزاقها. وانا اقول: ربما الأمر هو العكس، فالصيدلي والطبيب يتعاملان مع نفس البضاعة، والألم، والبؤس والمرض. فعندما يجد فقير دواءه في مستوصف، يكفيه ذلك ذل السؤال متسكعًا على باب صيدلية يشد دواءه، ويحفظ له قسمًا من كرامته. وربما ثانيًا يريح ضمير صيدلي كان سيرفض اعطاءه الدواء مجانًا، او يوفر على خزنته ثمن الدواء اذا تغلبت راحة ضميره على خسارة ماله.

التهمة الثالثة: بوجود المستشفيات الحكومية لا ضرورة ملحة للمستوصفات. نعم هذا يصح في فرنسا او المانيا او اميركا، اما في لبنان خاصة وفي عكار عامة فاسمحوا لنا بها. هذا مستشفى حلبا الحكومي، اطال الله عمر حيطانه كي يرى يوم تشغيله، ولد من سنوات ولم يصرخ بعد صرخة الولادة (عين له اكثر موظفين يقبضون الرواتب على ما يقال وهم في بيوتهم). قالت فيه الحكومات المتتالية ما لم يقله مالك في الخمر، ورأى فيه أبناء المنطقة النبي المنتظر، والنتيجة صفر مكعب. لو وضع في العمل لوفر علينا وعلى الحكومات تكاليف عشرات بل مئات العمليات تذهب اموالها الى المستشفيات الخاصة. ان عكار محرومة من كل الخدمات، الصحية وغيرها، وهي ايضا محرومة من النواب . وهذه هي كبرى مصائبها. فلو كان لنا نواب (وهم سبعة) عن حق وحقيق، لما بقي مستشفى حلبا طوال هذه السنوات قابعا على تلك التلة (يكش دبان كما يقولون) ينتظر من يطرق بابه ليفتح صدره ويستقبل من بني لأجلهم. وهذا أكبر سبب لتعزير المستوصفات وإكرامها وتوسيمها بأشرف الاوسمة.

الامراض المزمنة وارتباطها بنوعية الحياة

عبدالله الخوري

موضوعنا عن الامراض المزمنة والمرض العضال واقعًا وحلولاً. الواقع هو مؤلم وحزين، لقد غزتنا السموم الكيميائية والجراثومية وقضت مضاجعنا وهدت اجسادنا وفتحت فينا جميع الابواب لتدخل الآفات الفتاكة والقتالة. منها المزمّن ومنها العضال.

اما المزمّن فهو مزمّن قديم ومزمّن جديد. لقد ظهرت امراض جديدة، وكثرت امراض قديمة، فالجديد الذي ظهر هو مثلاً مرض الايدز او السيدا حيث يقال انه نتيجة ابحاث لايجاد اسلحة جراثومية اجريت في الولايات المتحدة الاميركية، حيث ان اول وفاة في هذا المرض كانت لمهندس يعمل في هذه المختبرات وبعدها انتقلت الى افريقيا بأمصال ودماء استعملتها الارساليات المنتشرة في القارة السوداء (وعن حسن نية طبعاً)، ومنها عادت الى موطنها الاساسي، دول الحرب والدمار وما يسمى التطور.

اما الامراض التي تكاثرت فمنها اولاً جنون البقر وهو ايضاً من انتاج البلاد المتطورة، اذ استعملت النفايات الحيوانية في تغذية الابقار، مما ولد نوعاً من البروتينات كان سبب في تكاثر هذا المرض. وكان هناك امراض يقال ان في انتقالها عوامل وراثية، واذ بنا نجدها تفتك في جميع الناس دون حساب لعامل الوراثة مثل السكري وامراض القلب على انواعها وامراض اخرى كثيرة لا مجال لتعدادها. فما السبب يا ترى؟ فمن البديهي ان السبب هو كل هذه المتغيرات التي حدثت، والتي نعدها تطوراً.

اولها: التطور النووي المستعمل في الاسلحة وغيرها. منها المخفف ومنها المقوى والاثنين في الموت سواء.

ثانيًا: التطور الكيميائي وعلى جميع الصعد: فقد نسينا الصابون الازرق والابيض، صابون زيت الزيتون، وتهافتنا على مواد كيميائية حديثة. ادخلناها على ثيابنا فكانت الحساسيات المتعددة، وعلى مجلى مطبخنا وارض بيوتنا، فكانت آفة أكزيما الايدي عند ربات البيوت التي عن حق هي اعاقه كبيرة لا يستهان بها ابداً. الدليل ان في طفولتنا هذه الامراض لم يكن لها ذكر ابداً في الكتب ولا على ارض الواقع. وذلك لاننا لم نكن قد اخترعنا كل هذه الموبنات. زد على ذلك ان هذه المواد الكيميائية الفتاكة ذهبت في مجاري المدن الى البحار فلوثت المياه وفتكت بالاسماك واثرت على التوازن البيئي فيها. اما في القرى حيث لا توجد مجاري، فقد ذهبت في مجاري مياه الري وقد ساهمت في ذلك البلديات التي اثرت ان ترضي ناخبها بدل ان تحافظ على صحتهم. ان هذه الكيماويات فضلاً عن ضررها المباشر على المزروعات، تلوث الزرع من الخارج ومن الداخل بعامل الامتصاص، لتعود الى المستهلك مرضاً فتاكاً عضالاً. فما كثرة السرطانيات والتيفويد والزنطارية والامراض الجلدية والمعوية الا نتيجة لذلك.

اما اللحومات التي نأكلها فهي مشبعة بالكورتيزون والمضادات الحيوية وغيرها من الأعلاف الكيميائية. كيف يمكن ان ننسى ضررها المحتم عند أكلها. هذا دون دماءها الملوثة التي تتساب في مجاري المياه تلوث كل ما على طريقها وتحمل في طياتها ما هب ودب من المكروبات والروائح النتنة وهنا حمل البلديات كل المسؤولية عن هذا الاهمال متعمداً كان او غير متعمد.

ثم كان مرض السرطان قديماً يفتك في الشيوخ اما الآن فأصبح يفتك بالشيوخ والشباب والاطفال على السواء، وكلنا ساهمنا في هذا الانتشار السريع ولنا يد في كل مرض عضال اصاب شاباً او طفلاً او عجوزاً.

وهناك ايضاً امراضاً استغللت في هذه الايام وهي الامراض العصبية والنفسية، قديماً ولقلتها، اطلق عليها اسم الجنون، حتى انه في ايامنا هذه عندما تنصح مريضاً ان يتعافى عند طبيب نفساني ينتفض غاضباً ويقول انا لست مجنوناً. ولكن في الحقيقة اصبح نصف الشعب مصاباً بهذا الداء.

ان اعباء الحياة التي زادت عن طاقة الناس هي السبب الاول في تكاثرها فان الانسان يركض ورغيفه يركض امامه. وهذا لا حول لنا في علاجه.
والسبب الثاني هو ما يسمى Stress. ان الضغوط النفسية تولدها عدة امور منها الضجيج الزائد والمفرقات واصوات البارود في بنادق الصيادين.

***

أتناول هذا الامر الاخير فقط لان علاجه سهل وميسور على ما اظن. ان الحكومات سمحت بالصيد وانني لا اطلب ايقافه وكل ما اطلب هو تنظيم هذا الصيد، وبتنظيمه توفر للناس الصحة وللمواسم الازدهار فترفع الضرر وتسمح للاعصاب ان تهدأ والنفوس ان ترتاح. ليسمح بالصيد في الاحراج فقط، ولبعض الطيور التي كثر عددها واصبح تكاثرها يؤثر على التوازن البيئي.

اليكم الحلقة المفرغة التي وقعنا فيها: قتلنا الطير حتى خف عدده، فكثرت الديدان والحشرات فأكثرنا من رش السموم والمبيدات التي حتمًا وحسب تعليمات كتب عليها تحذر من السرطان الذي يسببه استهلاكها. وعادت الينا هذه السموم في الاطعمة والخضار والفاكهة وعلى عدة سنين تراكمت وترسبت، وحدث المنتظر وهو السرطان المحتم، كما ان هذه المبيدات فتكت بالاعداء الطبيعيين تلك الحشرات المضرّة.

يقولون ان هذه الطيور تحط رحالها في بلادنا لانها تجد مرعًا لها فتأكل الحشرات المضرّة. ثم ترحل لانه لم يعد هناك من غذاء لها لتعود في الموسم القادم تأكل مما تكاثر من جديد.

ثم هناك الصيد بين البيوت وهذا آفة الآفات، يصطادون فيها طير السنونو وهذا الطير المقدس الذي ابقى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب عليه السلام فسطاطه منصوبًا وتحت الحراسة حتى طارت الفراخ الصغيرة التي كانت في عش بنته الام على احد الاعمدة، هذا الطير الذي يتغذى فقط على البرغش وهذا ما يجعله يمر دائمًا فوق البيوت لان من هناك يتطاير البرغش، فوقف له الصيادون بالمرصاد بين البيوت وعلى السطوح يقتلون منه الآلاف المؤلفة تاركين البرغش يمص دماءنا ويقض مضاجعنا، فاستعملنا الكاتول والفاب ويلي برش ويلي ما

برش، "وخاد" على الامراض الصدرية من ربو وازما والتهاب حنجرة عند الاطفال وكثيرًا من الضربات السخنة الاخرى مثل السعال الليلي "وشخرقة الزلاعيم".

اما الضرر الاكبر من هذا الصيد اللعين بين البيوت، فهو حرمان الطفل لذة النوم والمريض السكينة والامهات راحة البال من قلقهن على اولادهن من طلقة طائشة (الم يقتل المرحوم ابن ايليا رفته والمرحوم ابن الياس بربر والمرحوم ابن يعقوب البايغ وغيرهم ممن اصابوا ولم يموتوا ولكنهم فقدوا عينًا او يداً او قسمًا من كبد فجره الرصاص او مترًا من مصران اصبح كالمصفي من الخردق.

اما عن تهيج الاعصاب توتر النفوس فقد امتلأت عيادات اطباء النفسانيين واطباء القلب من زيادة الذبجات القلبية والموت الفجائي لمن قلوبهم ضعيفة وحساسة. وهنا ايضًا احمل البلديات الواعية قسمًا من المسؤولية لانها لم تقم بواجبها بردع هذا النوع من الرعب الفتاك.

ثم ان الحكومات قامت بجر مياه الشفة الى البيوت، دون ان تتفحص نوعية هذه المياه ان كانت صالحة ام لا. ومنذ ذلك الحين وعلى اقله في بلدتنا رحبة حل في رقابنا تضخم الغدة الدرقية، والذي لم يكن عندنا في الماضي، انني اذ اقول لكم ان في بلدتنا التي تعد خمسة آلاف نسمة مقيمة فيها، هناك اكثر من الف حالة تضخم الغدة الدرقية، سوف تقررون معي ان هذه كارثة صحية اقتصادية هائلة. قمنا بعدة مراجعات لتدارك هذا المرض، بفحص مياه الشفة، ولكن كل المراجعات باءت بالفشل. اكتفي بهذا القدر من المصائب والكوارث وانتقل الى اقتراح بعض الحلول الممكنة، هذا اذا كان للمسؤولين من آذان سامعة.

***

اول حل: هو ان ينوب عنا نواب صالحون يطالبون بحقوقنا ولذلك علينا يا ابناء عكار ان نسعى كي يحرم انتخاب كل نائب مرشح لدورة لاحقة يوافق على ميزانية للزراعة اقل من خمس بالمئة وينادى على ذلك في الجوامع والكنائس، فاللبنانيون 50% منهم مزارعون وعكار 100%. وعند توافر المال لوزارة الزراعة سوف يباشر بارشاد زراعي يحرم استعمال المبيدات ذات السمية المرتفعة، ويحدد للمزارع كميات الاسمدة الكيماوية اللازمة، ويعزز المضادات الطبيعية، ويدعم الاسمدة البيولوجية الطبيعية وهذا يتطلب ارشادًا ومساعدات من قبل الوزارة.

والنواب الصالحون يطالبون بأقل قدر ممكن من الرعاية الصحية، كفحص مياه الشرب ومعالجتها اذا لزم الامر، او انتقاء الينابيع الصالحة تجر الى بيوت الناس. وبالتعاون مع البلديات يسعون لانشاء شبكة مجارير، مع مصافي للمياه المبتذلة، حتى لا تتقل الضرر المباشر عنا ونضعه اما على غيرنا او نلوث به المياه الجوفية. وهذا انبه الى خطر غض النظر عن حفر الآبار الارتوازية عشوائيًا دون حسيب او رقيب وعلى انظار المسؤولين في الدولة او البلديات حيث تساهم هذه الآبار حتمًا بتلويث المياه الجوفية الى حين تنفيذ شبكات المجارير، على البلديات ان تفرض الجور الصحية المنصوص عنها في القوانين والتي اثبتت فعاليتها بنسبة اقلها 70%، لا ان تساهم في تلوث البيئة والمياه الجوفية بالسماح والمشاركة بتصريف المياه المبتذلة عبر مجاري الري والينابيع، ثم منع الصيد بين البيوت او على مسافة تقل عن مايتمي متر عن اقرب بيت.

ايضًا ايجاد مسالخ لذبح الحيوانات تحت اشراف مراقب صحي.

ايضًا وايضًا منع مسالخ الدجاج من رمي نفاياتها في السواقي، من ريش ودم واوساخ جوفية، ثم هناك الخلل الكبير الذي اوجده المجتمع الاستهلاكي بتكاثر البيوت البلاستيكية لتلبية حاجات السوق.

***

أختم كلمتي برسالة بل بصرخة استغاثة الى العالم اجمع.

حكمة الله جعلت اليوم مكونًا من نهار وليل يساويان اربعة وعشرين ساعة، وجعلت الجنين يعيش في بطن امه تسعة اشهر يولد بعدها وتثبت اسنانه في اول سنتين، ويبلغ سن الرشد في الثامنة عشر من عمره، ويتزوج وولد ويموت قبل المئة سنة والقليل منهم اكثر بقليل. وفرخ الدجاج كان يولد في ايار ويبلغ الكيلو وزنًا في ايلول. فأصبح يولد ساعة نشاء ويصبح 3 كيلو في اقل من شهر.

والمزروعات تغرس وتثمر اطنانًا في البيوت البلاستيكية لا ترى الشمس لتعقيمها وتغنيها بالمواد (Antioxydants) المعروفة بفعاليتها ضد تصلب الشرايين وامراض القلب.

لقد لعبنا كثيرًا بالطبيعة، خالفنا انظمتها وخلقنا مزروعات جديدة بتغيير جيناتها (Organismes génétiquement modifiés) واستنسنا البشر والحيوان، واختصرنا عمر كل شيء.

ولكن اليوم ما زال 24 ساعة والفصول ما زالت 4 ومعدل شروق الشمس ما زال 12 ساعة في اليوم والانسان ما زال يخلق الحدث كما في السابق فكيف يا ترى عملنا ما عملنا؟ واخترنا ما اخترنا واستنسنا ما استنسنا، هذا لا يتفق مع ذلك! أناشذكم ايها العلماء "رحمة بأولادكم أولادنا والأجيال القادمة، كفى تشويهاً وتلاعباً بما خلقه الله فانتم كبراقش، ستجنون حتمًا على أنفسكم وعلى الجميع، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم؟

ان الطباية والاستشفاء ادنى حقوق المواطن على الحكومات وصحة الانسان حق شرعي اقرته شرعة حقوق الانسان ونصت عليه منظمة الصحة العالمية وهذا ما اكده المؤتمرون في الماتا عام 1978 حين اقرروا مبدأ الصحة للجميع. منذ ذلك الحين وحتى يومنا لا يوجد في لبنان اية سياسة صحية رسمية معتمدة وهذا ما اشارت اليه تقارير التنمية البشرية منذ العام 1995 بل على العكس هناك سوء تخطيط وعشوائية في السياسة الصحية. مثلاً يوجد مرسوم اشتراعي صدر في العام 1983 يحمل الرقم 159 ينص على انشاء مجالس ومراكز صحية. بناء عليه يجب على الدولة انشاء مستوصفات صحية ومستشفيات حكومية بمعدل مستشفى لكل 100 الف نسمة ومركز لكل 35 الف مواطن.

منذ ذلك الحين وحتى يومنا لا يوجد اي مستشفى حكومي يعمل في عكار. المستشفى الوحيد الذي انشئ في الجومة سنة 1987 اصبح بحاجة الى ترميم، علماً انه لم يبدأ استعماله والاستشفاء فيه. بالمقابل نرى الكثير من المستشفيات الحكومية في مناطق اخرى بدأ تشغيلها منذ سنوات ومناطق اخرى تكتظ بالمستشفيات. أين مبدأ الانماء المتوازن الذي نصت عليه وثيقة الطائف؟ اما المركز الصحي الوحيد في الجومة فقد تخلت عنه الدولة للقطاع الاهلي. بالمناسبة اتوجه بالشكر لمديرية الصحة الاجتماعية في مؤسسة الحريري التي اهلت هذا المركز في عكار العتيقة ولي الشرف ان اكون احد العاملين فيه. وقبل الدخول في الكلام عن هذه التجربة لا بد من توضيح الظروف الصحية التي تعيشها منطقة الجومة خصوصاً وعكار عموماً.

***

لا يعتبر غياب المراكز والمستشفيات الحكومية العائق الاوحد ولا التقصير المنفرد من قبل الحكومات بل هنالك ايضاً غياب الرقابة على المستوصفات الحكومية العاملة وعدم تطويرها مما ادى الى عدم تطبيق الرعاية الصحية الاولية واهمال الطب الوقائي الذي من شأنه تخفيف الفاتورة الصحية الاستشفائية عن المواطن الذي يدفعها مرتين مباشرة وغير مباشرة. حين تدفع الدولة للمستشفيات الخاصة الفاتورة الصحية والتي تعتبر الاعلى في العالم نسبياً، عندها يدفع المواطن بصورة غير مباشرة عبر الضرائب. وفي المرة الثانية يدفع المواطن مباشرة هذه الفاتورة حين يدفع على صندوق المحاسبة كلفة الاستشفاء مئة بالمئة بدل 10%. اعطي مثلاً على ذلك. اذا اراد المريض ان يدخل الى مستشفى خاص لاستئصال الزائدة، عليه ان يدفع مبلغاً مقطوعاً وقدره 350 الف ليرة قبل الدخول وهذا المبلغ هو تسعيرة الدولة لاجراء هذه العملية فحسابياً الـ 10%. هي 35 الف ليرة وليس 350 الف. فهل تستطيع الدولة ان تفرض على المستشفيات الخاصة وضع التعرفة الرسمية للاستشفاء على صناديقها ليتثنى للمواطن معرفة العشرة بالمئة؟

اضف الى هذه العشوائية في السياسة الصحية غياب الترشيح في الانتشار الجغرافي للاطباء وعدم اعتماد قانون مزاوله المهنة في الارياف لمدة سنتين. واين الصحة المدرسية التي الغيت بدل ان تفعل. فأصلاً كان يوجد في المدارس مرشدين صحيين فأين هم الان وهل هذا هو التخطيط في السياسة الصحية؟

العوائق والاهمال اكثر من ان تذكر في ندوة واحدة. ولعل عنوان ندوتنا اليوم "الحكمية المحلية" لدليل على غياب الحكمية الرسمية. اننا اليوم في مركز عكار العتيقة نحاول تطبيق بعض نواحي التقصير عند الدولة اذ اننا نعتد على مبدأ الرعاية الصحية الاولية الشاملة والمستمرة من خلال تقديم خدمات وقائية وعلاجية بالاضافة الى التشديد على التنقيف الصحي لما في ذلك من اهمية في تخفيف العبئ المادي على المواطن من جهة والمحافظة على صحته من جهة اخرى.

المركز اليوم يقدم الخدمات الطبية التالية: طب العائلة، الاطفال، القلب، الطب النسائي وطب الاسنان، مختبر طبي لاجراء كافة التحاليل اضافة الى قسم الاشعة والصيدلية. وما يستحوز الاهتمام هو الملف الصحي الذي يعتمد على التطور التكنولوجي في المعلوماتية والحصول على احصاءات حيوية تعطي فكرة نوعية عن الامراض السائدة في الجومة وبذلك

نتمكن من تطبيق مبادئ الطب الوقائي ومفاهيم الرعاية الصحية الالوية. اصف الى ذلك وجود عاملة اجتماعية واقامة دورات التدريب المستمر للاطباء العاملين في الرعاية الصحية بالتعاون مع دائرة طب العائلة في الجامعة الامريكية في بيروت بهدف مواكبة التقدم العلمي. ففي فترة تسعة اشهر يوجد اكثر من 1500 ملف صحي واكثر من 4500 خدمة صحية بالاضافة الى تصنيف الامراض المزمنة وتحديد الامراض الوبائية الاكثر انتشارا في الجومة والتحضير لندوات تثقيفية لرفع مستوى الوعي الصحي لدى المواطنين.

علينا نحن في المجتمع الالهي ان نرتقي باداننا الى اعلى مستوى ليصبح اداونا اداء دولة وان نخدم مجتمعنا وذلك عبر العمل والجد وتصحيح المسار السياسي بالنقد البناء والعمل الهادف.

تجربة مستوصف بينو رياض نادر

استعرض بصورة موجزة نشأة مستوصف ميشال عصام فارس في بينو والذي افتتحه دولة الرئيس عصام فارس في العام 1983 بتمويل مباشر منه لتلبية حاجات اهالي المنطقة. إن خدمات هذا المستوصف تطورت على مراحل خاصة بعد انشاء مؤسسة فارس في العام 1987 التي تولت مسؤولية ادارة شؤونه فنظم المستوصف وشارك في العديد من الندوات والمحاضرات حول مضار التدخين والكحول والمخدرات وحول امراض القلب والسكري والسيدا وغيرها، كما شاركت في جميع حملات التوعية والتلقيح التي نفذت على مدى السنوات السابقة وذلك بالتنسيق مع وزارة الصحة العامة والعديد من المؤسسات العاملة في هذا المجال، كما يتابع تلقيح الاطفال باستمرار وذلك يوم الاثنين من كل اسبوع، ولقد نفذ المستوصف كذلك وعلى مدى سنوات عديدة الكشف الطبي المدرسي للعديد من المدارس الرسمية.

كل ذلك الى جانب عمله الاساسي في معاينة المرض (فحص سريري) واعطاء الدواء المناسب لهم لقاء مساهمة رمزية من قبل المريض هي ثلاثة آلاف ليرة لبنانية باشراف عدد من الاطباء باختصاصات مختلفة، ولقد أقرّ مبدأ المساهمة الرمزية في العام 1989 من باب اشراك المريض في الجهد العام لان مجموع هذه المبالغ تستعمل لزيادة حجم التقديمات التي تؤمنها صيدلية المستوصف مجاناً.

يستفيد 693 مريضاً حالياً من برنامج الادوية المزمنة في المستوصف وذلك حسب قوانين واجراءات محددة كما يعاين في المستوصف شهرياً ما بين 600 و 750 مريضاً من

مختلف القرى يأخذون الادوية الموصوفة لهم من صيدلية المستوصف والتي تحوي ما يزيد على 450 نوعاً من الادوية.

يتعاون المستوصف مع العديد من المؤسسات العاملة في الحقل الصحي وخاصة جمعية الشبان المسيحية.

لا تكمن اهمية المستوصف فقط في الذي تحدثنا عنه بل وتبرز في خلق التلاقي والتواصل بين ابناء المجتمع الواحد لأن العلاقة التي تبني بين المرضى والادارة وبينهم وبين الاطباء وبين المرضى انفسهم او من يرافقهم تخلق جوًا من التشاور والحوار يصب في أغلب الاحيان في اطار المصلحة العامة.

***

هنا نصل الى السؤال التالي: هل حقق المستوصف الهدف من إنشائه؟ نسعى دائماً الى تطوير الهدف بما يتناسب مع حاجات ابناء المنطقة بشكل عام ولتحقيق هذا الهدف نعمل جاهدين ضمن رؤية عامة تركز الى مشروع تنمية المجتمع المحلي لتعريف المواطنين على اوضاعهم العامة وتحديد احتياجاتهم اولويات هذه الاحتياجات بالتنسيق مع مؤسسات المجتمع الاهلية وقياداته المحلية وأبنائه المبادرين وهذا ما تعمل عليه مؤسسة فارس حالياً وكانت اول نشاطاته دورة تدريبية لتأهيل العاملين في تنمية المجتمع المحلي جرت بالتعاون مع الاسكوا على مدى تسعة ايام ضمت 24 متطوعاً من العديد من قرى منطقة الجومة يمثلون مؤسسات اهلية ومحلية مختلفة، ومن بينهم بعض العاملين في القسم الطبي في المؤسسة واقسام اخرى ليكونوا النواة لمشروع تنمية محلية ينطلق من منطقة الجومة ليشمل جميع مناطق عكار. يقوم هذا العمل على أسس علمية حديثة وسوف تظهر بوادره في القريب وخاصة في المجال الصحي (مجال عمل المستوصف) وغيرها من المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياحية والبيئية وغيرها وذلك من اجل تحسين نوعية الحياة المحلية مادياً ومعنوياً ودفع أبناء مجتمعنا المحلي الى المبادرة والمشاركة والتعاون في اطار المصلحة العامة.

الخصوصية البيئية لمحور الجومه في عكار

محمد عرابي

في الواقع لم أكن أفكر في يوم من الأيام التعاطي بمسألة البيئة، ولا أن أكون من الناشطين المتشددين في الدفاع عنها، وأن أكون جزءاً من الجمعيات التي تعنى بقضايا البيئة، لولا هذا التطور الزائف للمدنية والحضارة ونمط الاستهلاك الغذائي المتخلف وطريقة تعاطينا مع مواردنا الطبيعية التي تشكل في تنوعها من ماء وهواء ونبات وكائنات حية أساساً لتوازن الحياة ولسلامة نوعيتها وديمومتها للأجيال اللاحقة، حتى غدت هذه البيئة حقاً أساسياً من حقوق الإنسان ولكونها باتت توازي في نوعيتها الحياة برمتها، إذ لا صحة ولا عمل ولا تعليم ولا حرية ولا سيادة ولا ديمقراطية ولا استقلال ولا من يحزنون إذا كان كل شيء ملوث أو عرضة للتلوث وللنفاذ. والحق يقال أنه إذا ما استمر هذا الشكل من التطور المزيف فسوف لن نورث أبنائنا وأحفادنا إلا المزيد من الحيف والتعثير، حين لا ينفع الندم، إذ أن عملية التجدد التلقائي الطبيعي للموارد التي تستنفذ يوماً بعد يوم سوف تتطلب أجيالاً لا بل قروناً حتى تتم.

لم يعد ممكناً القول: "تعيش كما عاش أجدادنا ويعيش أولادنا كما عشنا" فلكل زمان ولكل جيل متطلباته وظروف عيش مختلفة، خاصة مع ازدياد عدد السكان وازدياد متطلبات الحياة في ظل محاولات الرأسمال المتوحش الاستثثار بمقدرات وموارد العالم واحتكارها أملاً في زيادة الأرباح وفي المزيد من الاستغلال والإمساك بخناق الشعوب والفقيرة منها، تارة بحجة الإرهاب وتارة أخرى بحجة صراع الحضارات والثقافات.

المطلوب وعي وثقافة بيئية ترضع مع حليب الأم وتعلم مع الألف باء وتمارس كما فرض الصلاة وواجب التعبد والخدمة الإلزامية.

لكل شيء حدود، أما التلوث فلا حدود له ولا حراس حدود، إلا في عقل الإنسان وفي نمط تربيته وطريقة عيشه، ففي وعيه وثقافته يبدأ إدراكه لمخاطر التلوث وعواقب نفاذ الموارد الطبيعية، لذا لا يمكن فصل وعينا لبيئة منطقة "الجومة" عن بيئة باقي المناطق اللبنانية وبيئة العالم حتى، فالهواء الملوث مثلاً من جراء حرب الخليج وجدت آثاره في جبال الألب في أوروبا، كما لا يمكن بالمقابل فصل الوعي والإدراك البيئي لابن "الجومة" خاصة عن الوعي والإدراك البيئي للمواطن اللبناني عموماً.

لكن، أن أكون مواطناً لم يعد يكفي أن أحمل الهوية والجنسية وأمارس الانتخاب بل باتت المواطنة تقاس، إضافة لما سبق، بنوعية العلاقة بين الإنسان والإنسان من جهة وبين الإنسان وبيئته ومجتمعه ومؤسساته وممارسته لواجباته ومشاركته في الحياة العامة من جهة ثانية وبنوعية العلاقة بين الإنسان والدولة ومؤسساتها من جهة أخرى، وذلك في علاقة ترابط لا مجال للفصل بينهما.

إن الدور المنتظر من البلديات اليوم كإدارة و نظام حكم محلي، يجمع بين السلطتين التقريرية والتنفيذية المنتخبة مباشرة من الناس، هو كبير بحجم الصلاحيات الممنوحة لها رغم ندرة الإمكانيات المادية، حيث بات العمل البلدي يتعدى هو الآخر النظرة التقليدية للبلدية كونها جابية مسققات ومتعهدة أعمال تنظيفات وجمع نفايات وشرطي سير... بل باعتبار أن للبلدية دور اللولب والدينامو لأعمال التخطيط والتطوير، والبحث والتحريك، والفعل والتنفيذ، والرقابة والمشاركة في كل كبيرة وصغيرة تهتم المجتمع وإنسانه وبخاصة بيئة الإنسان الطبيعية لما لها من خصوصية تنفرد بها منطقة الجومة على وجه التحديد. لذا سيكون الأمل أكبر والدور أعظم إذا ما اجتمعت القدرات والطاقات التي تتمتع بها كل بلدية لتتكامل فيما بينها وتعمل فعلها بمشاركة مواطنيها في إطار اتحاد للبلديات، للحفاظ على هذه الخصوصية البيئية للجومة ولأجل تنميتها ؟

لن أطيل الحديث بتفاصيل حول خصوصية بيئة "الجومة"، فأهل مكة أدري بشعابها، لكن من المفيد الإضاءة على أهم الموارد غنى والمشاكل التي تهددها أو التي قد تهددها مستقبلاً. أملاً باستشراف الحلول الوقائية و أشدد هنا على الوقائية لا العلاجية لأن هناك موارد طبيعية كالمياه مثلاً لا تحتمل التجربة و الخطأ أو الانتظار.

يتميز محور "الجومة" بغنى ووفرة الموارد التالية: الغابات، المياه، التربة والأرض.

على صعيد الغابات، قلما يجد المقيم أو الزائر مساحة جرداء على امتداد مساحة الجومة من بلدة ايلات صعوداً إلى مرتفعات تاشع و عكار العتيقة وبزينا، فهي على امتدادها تمتاز بكثافة الصنوبر الحرجي والشوح والسنديان والأطلب والعفص وغيرها من الأشجار المعمرة والنباتات العطرية.

على مستوى المياه، تتمتع الجومة بوفرة المياه وبأهم خزان جوفي لها لتغذي بذلك قراها وبلداتها إضافة لما يقارب 100 بلدة وقرية في عكار من محطة الضخ في خراج بزينا والمعروفة بالعيون، إضافة للينابيع التي يتجاوز عددها كما هو الحال في بلدة رحبة، عدد أيام السنة، مع العلم بأن هذه الينابيع وهذا المخزون الجوفي يتوفر لسببين: الأول، كثافة الأشجار التي تلعب دوراً في ضبط المياه وعملية التخزين، وطبيعة التربة والتضاريس الطبيعية من جهة والسبب الثاني، هو الارتباط المباشر لهذا الخزان وهذه الينابيع مع الخزان الأم في سهلات القموعة التي تظل الجومة وعكار من جهة أخرى.

أما التربة فهي الأخرى تمتاز بخصوبتها وغناها نتيجة الترسبات المتشكلة تاريخياً على ضفاف الأنهر والمجاري المائية في جزء منها وبطبيعة تكوينها الصلصالية والكلسية التي تساعد في تنقية المياه و تخزينها في جزء آخر.

***

هذا على مستوى الغني أما على مستوى المخاطر فيمكن أن نورد الآتي:

أولاً: على مستوى الغابات، لا تمر سنة وتسلم فيها من حرائق أو تعديات متمثلة بالقطع لأغراض التدفئة وبيع الفحم إضافة للرعي، هذا عدا عن الآفات الطبيعية التي تقتك بالغابات وخصوصاً الصنوبر، كدودة الصندل والصدأ الصنوبري كما هو الحال في جبرائيل.

إضافة لفقدان بعض أنواع الطيور الذي يرتبط وجود الغالبية منها بأنواع شجر معين أو بحجم الغابات. إضافة للاقتلاع العشوائي للنباتات العطرية.

ثانياً: وعلى مستوى المياه، فحدث ولا حرج، بدءاً من الأعمار بمحاذاة السهلات في القموعة وفي وسطها، وصولاً لأصغر نبع أو عين ماء في "الجومة"، فيمكنني هنا جرد لائحة بالأسباب التي تلوث مياهنا أو تهددها، مثل:

المياه الآسنة التي لا تجد مصرفاً مناسباً لها، المجاري الصحية هي الأخرى التي لا تجد طريقاً لها رغم بعض المشاريع التي نقلت المشكلة من مكان إلى آخر.

الجور الصحية المتلاصقة ببعضها في بعض الأماكن وغير المعدة وفق شروط ومعايير هندسية بيئية، و التي تجاور حيناً مصادر المياه و الينابيع. التسميد العشوائي و الأدوية الزراعية.

بالمقابل، يتهدد مياهنا، الانخفاض الملحوظ لمخزونها الجوفي، لأسباب عديدة أهمها: تراجع نسبة الهطل السنوي بسبب التغييرات المناخية الحاصلة هي الأخرى بفعل تأثير انحسار نسبة الغابات، الضخ المتواصل من محطة العيون في خراج بزينا، للعديد من القرى والبلدات من دون تنظيم أو التفكير بمصادر مياه بديلة أو احتياطية، الآبار العشوائية التي فتحت في كل مكان لأغراض خاصة ومن دون تنظيم أو دراسات علمية، أو مراعاة للحاجة والمخزون وطبيعة المجاري المائية الجوفية، عدم الإفادة من مياه الأمطار خلال فصل الشتاء لا على مستوى السودان ولا على مستوى آبار التغذية، الهدر الذي تسببه بدائية قنوات الري وشبكات المياه القديمة في بعض البلدات، الزيادة في نسبة الاستهلاك المنزلي للمياه دون ترشيد أو ضبط أو رقابة.

ثالثاً: تعاني التربة والأرض هي الأخرى من ارتفاع نسبة ملوحتها وعقمها نتيجة الاستخدام العشوائي للأسمدة الكيماوية والمبيدات الزراعية، وإرهاقها بالمواسم المتكررة، أو إهمالها وهجرها، نتيجة ضعف مردود الأرض الاقتصادي، إضافة لعامل التعرية والانهيارات نتيجة السيول وتراجع نسبة الغابات، والامتداد والزحف العمراني الأفقي العشوائي.

لا بد من الإشارة لحجم المعاناة والنقبات التي يتكبدها المواطن والبلديات من جراء حجم وكمية النفايات المنزلية والصناعية الخفيفة والتي ترهق موازنة البلديات والمواطن من جهة والتي

تشكل مصدر نقمة و كارثة على منطقة أو بيئة أخرى في نفس الوقت، دون لحظ أي جهد أو إمكانية لخفض النفايات في المصدر أي في المنزل.

***

لم أرد الدخول أكثر في تفاصيل الفرادة البيئية لمحور الجومة أو المشاكل والمخاطر التي تهددها فالعديد منكم يدرك حجم تلك المخاطر، ولكن أخطر ما في الأمر هو سيادة مفاهيم اللامبالاة عند الغالبية، مثل: "حيد عن ظهري بسيطة"، "ومن بعد حماري ما ينبت حشيش"، بسبب اللامبالاة الرسمية حيناً وتسييس القضايا البيئية حيناً آخر وحجم الضغوط والحاجات المتزايدة للأسرة التي تدفع الإنسان للتبرير لنفسه و لغيره. لذا من المهم أكثر التفكير بكيفية الحفاظ على هذه الخصوصية، لأن الأرض التي نمتلكها حالياً هي ليست ورثة من الآباء كما نعتقد بل هي أمانة يجب إعادتها لأحفادنا سليمة معافاة يوم لا يعد ينفع لا مال ولا بنون.

لذا أبدأ بالمطالبة بحماية القموعة أولاً من كل تعدٍ ومن كل أسباب التلوث المحتمل من جراء الأعمار المتزايد وزراعة السهلات كذلك بتنفيذ قرارات الحماية المتعلقة فيها، كما أتوجه للبلديات واتحادها بالقول، بأن الرأسمال النقدي مهم للقيام ببعض المشاريع، لكن الأهم هو الرأسمال البشري الذي وحده يمكنه الحد من التدهور و تأمين المال اللازم لذلك.

كما أتوجه للنساء أصحاب الدور الأساسي في التربية فتبدأ الأم باستبدال كيس "التشبيس" المؤذي لصحة ولدها وتستغني عن قنينة المشروبات الغازية بسندويش اللبنة والزيتون والمصحوبة بحبة الفاكهة أو العصير الطبيعي، على سبيل المثال وليس الحصر، وتسهم في التقليل من كمية النفايات، وأن تبدأ أن تتعلم الأم وتعلم أولادها أبسط الأشياء في طريقة استخدام المياه في الجلي والشطف للتخفيف من الهدر، و التقليل من استخدام مواد التنظيف. بالمقابل يكون للمدرسة دور المكمل في التربية البيئية وتشجيع إنشاء النوادي والأنشطة البيئية. يكون للبلدية في كل ذلك دور المشرف والمشجع بتقديم المنح الدراسية والمكافآت التشجيعية لأفضل مسابقة أو مشروع بيئي وصاحبة المبادرة في الادعاء لدى النيابة العامة البيئية، فينشأ بذلك جيل مسؤول عن مصيره وعن حياته ومشارك في صنع مستقبله.

مع ذلك يبقى الدور الأهم يلقى على عاتق الحكومات، ليس فقط على مستوى استصدار القرارات والتشريعات بل على مستوى الملاحقة والتنفيذ أيضاً، فمثال قضية المازوت ما

زالت شاهدة، أي عندما يتوفر القرار السياسي المنسجم مع مصالح الناس، لا أحد يمكنه الوقوف في وجه التنفيذ .

المطلوب إذن قرار سياسي، وإدارة بيئية لمعالجة مصادر التلوث و أسبابه والفوضى في استعمال الأراضي والتعديت على المياه والغابات وغيرها، بالاستناد إلى المعطيات الإحصائية الصحيحة والدقيقة لتبنى عليها السياسات الملائمة والإجراءات والقرارات اللازمة.

من بداية تحركنا للدفاع عن بيئة الجومة وحماية مصادر مياهها على الأخص في القموعة راهنا على هذا العهد. تحققت بعض الأشياء ولا زال أماننا الكثير، لن نفقد الأمل وسنستمر في رهاننا، لكن هذه المرة على الإنسان المواطن ومؤسساته البلدية أولاً وعلى دولة المؤسسات والقانون.

اقتراح مشروع تنظيم وتأهيل منطقة القموعة للسياحة البيئية

محمد عرابي

يندرج هذا الاقتراح في إطارين: الأول هو تأهيل منطقة القموعة للسياحة البيئية وبطريقة حضارية، و الثاني هو الرد العلمي والمنطقي على بعض الدعوات لوضعي اليد على القموعة و الممعنين في الاعمار على تخوم سهلاتها، بحجة إنماء المنطقة سياحياً، في حين أن اراضي القموعة هي اراض أميرية، وتمتاز بغنى وبتنوع بيولوجي قل نظيره في منطقة الشرق الأوسط.

1

البيئة والتنمية المحلية

لأجل تنمية محلية مستدامة في المناطق الريفية المهملة والمحرومة، تفترض التنمية المستدامة إدخال اعتبارات بيئية في استراتيجيات التنمية الاقتصادية. فالتنمية المحلية بالنتيجة هي إبراز أو إظهار القيمة لكل مكان يحتوي على طاقات وموارد كامنة إنسانية، وطبيعية واقتصادية.

في غياب السياسات العامة المتعلقة بتنظيم العلاقة بين الطبيعة والإنسان والبناء والاستثمار الأمثل للموارد الطبيعية، وفي غياب السياسات المنتجة على الصعيد الاقتصادي التي تستند على تنمية الموارد المحلية الطبيعية، يبدو التفتيش عن مصادر دخل ثابتة وإضافة بمستوى الأهمية التي تفرض الانتباه على ما تبقى من موارد ومواقع طبيعية لتشكل مورداً من موارد الدخل الوطني من جهة ومنتجاً طبيعياً للضغط اليومي ومصدراً للحياة من جهة أخرى، وفي وقت تبدو الطبيعة في لبنان منسية و مهملة مقابل الاعتماد على الخدمات والريح السريع، وفي ظل غياب الاعتمادات والموازنات اللازمة للصناعة والزراعة والسياحة، ليكون لدينا اقتصاد منتج ومتوازن ومنافس إذا أمكن مع عولمة الاقتصاد واستعداد العالم لرفع الحواجز الجمركية، تتحدر نسبة المساحات الخضراء من 22 % كحد أدنى من مساحة لبنان لتبلغ حالياً حوالي الـ 6 % لا أكثر. وتزداد الحرائق وعمليات التخريب للطبيعة، وتكثر المهل الإدارية للكسارات وتختلف أنواع وأشكال ومبررات الرخص التي تمنح للكسارات فتزداد الطبيعة تشوهاً وتصحراً ويتضاءل الأمل أكثر فأكثر في أن تشكل طبيعتنا مورداً مهماً جمالياً وطبيعياً وسياحياً واقتصادياً.

لما تقدم، يأتي الحديث عن إعداد وتنظيم منطقة القموعة لأجل السياحة البيئية. يأتي اقتراح الاهتمام بمنطقة القموعة في عكار بسبب التنوع والغنى الطبيعي الذي تتمتع به هذه المنطقة الواقعة في منطقة هي الأخرى مهملة على مر التاريخ اللبناني، وتشكل مادة هذا الاقتراح / المشروع، في مجال تأهيل الأراضي المأهولة وغير المأهولة- دون أن يصنف في خانة الاحتراف، لذا لا يمكن أن يأخذ طريقه إلى التنفيذ إلا من قبل مختصين، وضمن فريق عمل متكامل- أساساً لأي عمل يقضي بتطوير السياحة في عكار وتنمية المنطقة، فتكمن أهميته في الغاية المتمثلة بإعادة ربط التأهيل والتنظيم المدني والبيئة بالتنمية المستدامة

وتنشيط السياحة البيئية المنتجة والتي تحافظ على الثروة الطبيعية وتضعها في موقع يوازي أهميتها.

تقع القموعة في عكار شمالي لبنان، إلى الشرق من بلدة فنيديق وجنوب بلدة عكار العتيقة ويحدها من الجنوب الغربي قرى تاشع وبزينا، ومن الجنوب الشرقي القبيات والرويمة وكرم شباط على طريق آل جعفر الهرمل، وهي في موقعها في أعلى نقطة من محور القيطع على ارتفاع 1400 متراً في سهلتها وصولاً إلى 2250 متراً في قاعة عارومة أو عروبة، فتتكامل طبيعياً مع كرم شباط ليشكلا معاً حداً طبيعياً يفصل الشمال عن البقاع إدارياً.

تصل إلى القموعة من بيروت العاصمة التي تبعد عنها حوالي 146 كلم عبر طرابلس التي تبعد هي الأخرى عن القموعة حوالي 60 كلم، فتجتاز البداوي فالمنية، العبدية، برج العرب، برقايل، بزال، حرار، بيت أيوب، القرنة، ممشش، ففنيديق، أو من طريق آخر متجاوزاً برج العرب مروراً بعرقه فحلبا، ثم صعوداً مروراً بقرى محور الجومة وصولاً إلى حي الشقدوف العليا التابع لعكار العتيقة، فالحفة والشير لتبلغ من الجهتين السهلات التي تنبسط على مساحة 50 هكتار وتشكل بالتالي بحيرة طبيعية لتجميع مياه الأمطار والثلوج الذائبة حتى بداية فصل الصيف. تغذي بمخزونها الجوفي كل أنهر وينايع عكار من وجهة النظر الجيولوجية. ومن جهة التضاريس تتوسط القموعة سلسلة هضاب وغابات تتجاوز بمجملها 300 هكتار، لتضم أهم الغابات وأندرها في لبنان والشرق الأوسط من حيث التنوع فيها، والتي تحوي على غابات العذر، والأرز والشوح الكليكي والشربين، والبروة، واللزاب، والصنوبر، والطنوب والعرعر... حيث يصل عدد الأشجار فيها إلى 42 نوعاً، عدا عن 1600 نوعاً من النبات والزهر، إضافة للحيوانات والطيور، مثل الهدهد والحجل والقنبر البري.

في القموعة أيضاً آثار متنوعة تمعن في القدم من الفينيقيين وصولاً إلى العرب، فهناك نقوش ترمز إلى أن القموعة كانت إحدى المعابر التي عبرها نبوخذنصر في حملاته العسكرية، إضافة للإمبراطور الروماني هادريانوس أوغسطس، ومدافن حفرت في الصخور، بالإضافة إلى آثار لقلعة طبيعية تعرف بعروبة أو عارومة في أعلى قمة فيها.

كذلك في القموعة عدد من الينايع التي تمتاز بموقعها وبنقاوتها وبأهميتها الطبيعية

والصحية.

2

المخاطر التي تحيط بالقموعة

يتهدد القموعة أكثر من أي وقت مضى، محاولات وضع اليد عليها من بعض الأشخاص المتنفذين من بلدة مجاورة، واعتبارها خراج طبيعي لتلك البلدة، فيتم توزيع الأراضي على العائلات فيما بينها لتوريثها في أي نزاع محتمل مع الحكومات لكون الأراضي أميرية، وتتم عمليات البيع والشراء فيما بين الناس، من دون أي مسوّغ قانوني، هذا من جهة. من جهة ثانية يتهدد القموعة الرخص التي تعطى للبناء من بلدية تلك البلدة المجاورة، وبحسب إفادة مختار لأن المنطقة غير ممسوحة. أما الخطر الأبرز و"الشرعي" وهو وضع القموعة على جدول أعمال مشروع السدود والبرك الاصطناعية التي تعدها وستنفذها وزارة الموارد المائية والكهربائية، في خطتها التسعية. وخطر من ذلك فإن بحيرة القموعة هي معدة لأن تكون للسياحة والري كما هو وارد في الخطة وجاهزة للتنفيذ ابتداءً من 2002 - 2003 وعلى مرحلتين، علماً أن هناك دراسة كان قد أعدها الخبير الجيولوجي عطا الياس بناء على طلب بلديات محور الجومة في عكار، تشير إلى خطورة التعرض للتكوين الطبيعي للتربة والموقع لكونهما خزان طبيعي لجميع مصادر المياه والأنهر في عكار وبحسب دراسة لوزارة الموارد نفسها معدة منذ العام 1995. كما يشار لوجود خطر رابع وهو لا يقل أهمية عما سبق، وهو تعاطي الناس مع تلك المنطقة بالأخص الوافدين إلى تلك المحلة بقصد الترفيه والترويح عن النفس، والتمتع بالطبيعة فتدوس السيارات كل شيء وتصل إلى أي مكان بعدما تسابقت البلديات والنواب والوزارات المعنية بإيصال الزفت إلى كل شبر فيها يمكن أن يصله الزفت.

3

اقتراحات الحماية وإعادة التأهيل

بانتظار جميع المراجعات والتحركات التي يقدر لها أن تسفر عن حماية للمنطقة بموجب قانون ومراسيم وقرارات تطبيقية، نقترح التالي للتمكن من إضفاء طابع تنظيمي مساعد للإفادة من هذا الموقع اقتصادياً وبيئياً وسياحياً وترفيهياً:

ينشأ لهذه الغاية مؤسسة تحمل أسم "شركة الاستثمار السياحي البيئي في القموعة"

عكار .

- إعداد منشورات و "مطويات" سياحية تحمل خريطة المنطقة وتسمية المواقع التي يمكن للزائر أن يقصدها مع دليل بطرق السير ومحطات الاستراحة وتناول الطعام إضافة لبعض الارشادات السياحية و البيئية الضرورية.

- يتم عند المدخل الجنوبي الغربي للقموعة من جهة بلدة فنيديق إيجاد مواقف للسيارات التي تقصد القموعة ومنها ينتقل الناس سيراً على الأقدام أو بواسطة باصات خاصة معدة لنقل الزوار بأسعار بسيطة، كذلك يتم تأهيل بعض العربات التي تجرها الأحصنة أو البغال للنقل أيضاً ويترك الخيار لقسم آخر من الناس بالانتقال سيراً على الأقدام من هواة السير في الطبيعة.

- من الجهة الشرقية للسهلات، يتم إيجاد معرض دائم للمنتجات البلدية البيولوجية، من خلال اشتراكات شهرية أو موسمية للمزارعين وبأسعار تشجيعية، لترويج المنتجات البلدية وتنويع المنتجات عل أكبر عدد من المزارعين لإتاحة الفرصة أمام أكبر عدد ممكن من المزارعين أو الراغبين بالاشتراك. والأولوية هنا للناس الذين يدعون أنهم يستثمرون الأرض للزراعة منذ زمن طويل.

- تحديد الممرات التي يسمح فيها بالتجوال سيراً على الأقدام بدءاً من غابة العذر الواقعة جنوب القموعة، وصولاً حتى أعلى قمة في المنطقة وهي قلعة عارومة أو عروبة، مروراً بغابات الشوح والشربين على الجهة الغربية والشرقية من القموعة والجهة الشمالية الغربية من جهة عكار العتيقة، ويستخدم في تلك الممرات أخشاب وفروع الأشجار اليابسة أو الناتجة عن حملات التشحيل السنوية المفترضة، إضافة للحبال الليفية.

- تحديد الأماكن التي يمكن ان تشكل إطاراً للتزلج في سفوح قلعة عروبة أو

عارومة

- يتم تشغيل رعاة الماعز من المنطقة كنواطير للمحمية أو يكون لهم الأولوية في استثمار "ستانادات" لبيع المنتجات البيولوجية تعويضاً لهم عن تخليهم عن الماعز.
- يتم إنشاء بعض المطاعم من الجهة الشرقية، والشرقية -الشمالية ومن ثم استثمارها لتقديم وجبات الأطعمة الطبيعية السريعة أو الوجبات الكاملة، وتعتمد في معظمها على الإنتاج الطبيعي، دعماً للإنتاج المحلي.
- تحديد المساحات القابلة للزراعة بيولوجياً من دون مواد كيميائية من الجهة الغربية، والجنوبية- الغربية، لجهة بلدة فنيدق، والجهة الشرقية والشرقية - الشمالية لجهة عكار العتيقة، ومن الجهة الغربية لجهة بلدة تاشع لإشراك المزارعين والمستفيدين من كل البلديات المجاورة والمعتمدة تاريخياً على استثمار هذه المنطقة في سبيل الزراعة، وإطعام المواشي.
- فتح بيوت خلاء متنقلة ومؤقتة، حسب شروط صحية بيئية التي لا تسمح بتلويث المياه الجوفية، ويجري شطفها وتفريغها في أماكن خاصة، وذلك من جهة المواقع التي ستنشأ على الجهتين الشرقية-الشمالية والجهة الغربية والجنوبية - الغربية.
- بناء مساكن ذات طابع تراثي تقليدي من أحجام لا تتعدى الطابقين انسجاماً مع بيئة المنطقة ومن الحجر الصخري، في المنطقة التي تقع في سفح نبع فنيدق، وفي سفح نبع الشوح من جهة عكار العتيقة، أي المنطقة المسماة "الحقة" على مشارف عكار العتيقة. وذلك لمن يرغب في قضاء أيام الفرص ونهاية الأسبوع هناك، من الأجانب أو غيرهم.
- يتم إيجاد مقاعد خشب للراحة كل 1 كلم ، في أماكن لا تتمتع بتنوع نباتي مهم.
- ينشأ بجانب أماكن الطعام والتسوق، ملاهي خشبية للأولاد، وبجانب مواقف السيارات المعتمدة.
- تنشأ حظائر لوضع الطيور والحيوانات الكبيرة كالغزلان، بجانب أماكن الطعام والتسوق.
- تنشأ برك طبيعية صغيرة بمحاذاة الينابيع المنتشرة في كل منطقة القموعة.

- دراسة إمكانية نصب تلفريك بين نبع فنيديق ويمر فوق غابة العذر نحو أعلى قمة على ارتفاع 2250 متر في قلعة عروبة، وآخر على الجهة الشرقية-الشمالية فوق غابات الشوح، من جهة عكار العتيقة.
- وضع سلال صغيرة للنفايات ومركزين كبيرين لتجميع النفايات.
- وضع تمديدات للمياه والكهرباء تحت الأرض.

***

الشركاء المعنيين في المشروع هم:

1. وزارة البيئة
2. وزارة الزراعة
3. وزارة الاقتصاد
4. وزارة السياحة
5. البلديات المجاورة: بلدية فنيديق و بلدية عكار العتيقة
6. التنظيم المدني
7. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي
8. اليونسكو

الموازنة المقترحة للمشروع: إن أي مبلغ يرصد لتنظيم وتأهيل القموعة سياحياً يتطلب

لحظ التالي:

الأكلاف الاستثمارية:

- دراسات فنية بما فيها دراسة الأثر البيئي.
- تصاميم هندسية.
- دراسة جدوى اقتصادية.
- إنشاءات وتعويضات
- إجراءات المساحة والتحديد.

الأكلاف التشغيلية: إدارة وتشغيل المحمية كلفة سنوية:

- مدير مشروع
- موظفين للحماية والإدارة اليومية
- دراسات وأبحاث وتنمية للموارد الطبيعية

لما تقدم، ولأهمية موقع القموعة في عكار، يأتي اهتمام الفاعلين من بلديات ومخاتير وناشطين ومهنيين بيئيين واجتماعيين، لتسليط الضوء عليه، أملاً في أن يكون التعاطي الرسمي والشعبي مع هذا الموقع بمستوى الأهمية الذي يستحقه لجهة كونه الخزان الرئيسي للمياه في عكار بموجب الدراسات الرسمية والخاصة، وللأهمية التي تشكلها القموعة من ناحية التنوع البيولوجي والتراثي والسياحي ولما قد تشكله من مورد اقتصادي محلي ووطني، ومقصداً لكل من يبحث عن بيئة مميزة ومتنفساً من صخب المدينة وضوضائها. ونموذجاً يحتذى للتنمية البشرية المستدامة.

تقع القموعة في عكار شمال لبنان والى الشرق من بلدة فنيديق وجنوب بلدة عكار العتيقة ومن الجنوب الغربي يحدها قرى تاشع وممنع و بزبينا أما من الجنوب الشرقي فيحدها القببات والرويمة وكرم شباط على طريق آل جعفر الهرمل . وهي في موقعها الذي يعلو محور القيطع في عكار بارتفاع عن سطح البحر يتدرج من 1400 متراً حتى الـ 2250 متراً تتكامل طبيعياً مع كرم شباط ليشكلا معاً حداً طبيعياً يفصل الشمال عن البقاع .

وبإمكان الزائر الوصول إليها آتياً من بيروت- التي تبعد عنها حوالي 146 كلم- فيمر في طرابلس التي تبعد عنها حوالي 60 كلم ثم في البداوي فالمنية، العبدية ، برج العرب ، برقائل ، بزال ، حرار ، بيت أيوب ، القرنة ، مشمش ففنيديق أو عن طريق برج العرب فعرقه فلحلبا مركز القضاء الذي يبعد حوالي 40 كلم فصعوداً حتى شقدوف عكار العتيقة ، الحفة ، الشير ، وصولاً الى سهلاتها ومنبسطاتها التي تتوسط سلسلة هضاب و جبال تمتد على مساحة 50 هكتاراً فتشكل بحيرة من المياه التي تستمر على مدار السنة تقريباً(حسب نسبة الهطل) كمحصلة لذوبان الثلوج و نوعية التربة الحافظة للمياه و لتكون بالتالي رافداً مهماً لمياه الشفة والري لجميع القرى

العكارية التي تتغذى بالمياه عبر محطة الضخ الرسمية لمياه الشفة في العيون خراج بزبينا ، محور الجومة .

تشتهر القموعة بغاباتها الحرجية الكثيفة والعريقة في القدم ليعود البعض منها في التاريخ إلى ألفي عام نسبة لخبراء فرنسيين زاروها في العام 1995 وكانوا قد قدروا عمر شجرة الأرز فيها إلى 2000 سنة تقريباً و يصل قطر بعضها إلى ست أمتار وارتفاعها إلى 25 متراً³، أما غابة الشوح فيها فهي الفريدة في لبنان وتعود في التاريخ إلى حوالي 250 عامًا كما يعيش فيها شجر اللزاب الفريد في لبنان وشجر العذر النادر الوجود الذي يبلغ ارتفاعه حوالي 30 متراً وعمره حوالي 150 سنة ، هذا بالإضافة إلى غابات الصنوبر والطنوب والعرعر حيث أحصي حوالي 42 نوع من الأشجار الحرجية المتنوعة إضافة إلى العديد من النباتات والحيوانات والطيور المتنوعة⁴ مثل الهدهد والحجل والقنبر البري.

في القموعة آثار فينيقية ، كلدانية ، رومانية ، بيزنطية وعربية فقد عثر فيها على نقش لنبوخذنصر في مكان يسمى حالياً شير الصنم ، فالقموعة كما يبدو كانت إحدى المعابر التي عبر خلالها نبوخذنصر في حملاته العسكرية كذلك فيها نقوش تعود للامبراطور الروماني هادريانوس اوغسطس إضافة لمدافن حفرت في الصخور؛ ويروى أن القموعة بقيت مأهولة بالسكان حتى العهد الأموي، كذلك هناك منطقة تسمى بالنبي خالد، إضافة إلى أنه يوجد فيها آثار لقلعة طبيعية تعرف باسم عروبة ويطلق عليها حيناً اسم عارومة .

القموعة من القمع وهو العظم الناتئ من الحنجرة من الخارج. والقموعة هي الرأس ورأس السنام (كتل الشحم المحدبة على ظهر البعير والناقة). اما القميعة فهي الناتئة بين الأذنين من الدواب.⁵

³ راجع مجلة المواهب الصادرة عن خريجي مؤسسة فارس، العدد الأول، آب، 1996، ص 10

⁴ المرجع السابق

⁵ المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1985، ص 789

أما تسمية عارومة (أي عروبة) فهي من جذر روم وهي تعبير سامي مشترك يفيد العلو والارتفاع.⁶

فكيفما كانت الحال ، المتمعن بالتضاريس وجغرافية القموعة وقلعتها ، مقارنة مع المفردات والتعابير المطلقة عليها والتفسيرات اللغوية لها، نجد في ما تقدم التطابق التام مع الواقع.

إن المتتبع لمسار التعاطي و التعامل مع القموعة من قبل إعلان لبنان الكبير وحتى يومنا هذا ، يلحظ وبوضوح جميع المحاولات المتعددة الهادفة وضع اليد عليها والعبث بمكوناتها الطبيعية، عدا عن الدعوات الأخيرة لتحويلها إلى منطقة سياحية حيناً وأثرية ومحمية حيناً آخر، في حين لم يتسن لتلك الدعوات أن تعرف طريقها إلى التنفيذ، حتى باتت موضع شك وتساؤل خاصة إذا ما قوبلت تلك الدعوات مع مسار التعاطي التاريخي مع القموعة و فيما يلي البعض منها:

1. إن أول تعاطي سلمي مع القموعة تسطره لجنة متابعة بلدة فنيديق لموضوع القموعة وفي مذكرتها، غير المؤرخة، المرفوعة إلى محافظ لبنان الشمالي حول ملكية القموعة وتاريخيتها فيذكر في الصفحة 2 البند أ، أنه "حرث أهالي فنيديق كل الأراضي الصالحة للزراعة بالقموعة في العام 1933 في عهد الانتداب الفرنسي" و أثر ذلك "سجن وجهاء فنيديق ورغم ذلك استمروا بحراستها حتى وصلوا إلى منطقة عين الجوزة وكرم شباط، ثم تم معاودة حرثها عام 1965 واستؤنفت الحراثة إبان الحرب الأهلية وتحديداً بعد عام 1981". والكلام دائماً للمذكرة نفسها .
2. ثاني اعتداء على ثروات القموعة كان بواسطة جنود الانتداب الفرنسي والإنكليزي على السواء، بداية الأربعينات، حيث عمدوا إلى قطع الكثير من أشجار الشوح والأرز ونقلوها براً لاستخدامها في مد خطوط النقل العسكرية الحديدية عبر طريق شقت للغاية نفسها عام 1942 وتخرق حي الشقدوف التابع لعكار العتيقة مروراً بمحور الجومة .

⁶ أنيس فريجه، معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية، بيروت، 1985، ص 31.

3. ثالث محاولة يشير إليها نقيب الصحافة الأسبق زهير عسييران في مذكراته التي نشرت تباعاً في جريدة النهار أواخر العام 1998 وفي الحلقة الثانية منها، الفصل الرابع، وتحت عنوان: **الصحافة و الاعتداءات في إسطنبول فرعون**، يقول بأن خلال حياته الصحافية. تعددت محاولات الاعتداء عليه، التي كان ينجو منها بأعجوبة فيذكر منها محاولات الاعتداء عليه التي جرت عام 1944 "على أثر حملة عنيفة في جريدتي الهدف والشرق على القموعة في عكار، التي تقدمت شركات مشبوهة لشراء أحراجها بقصد إقامة مشاريع سياحية عليها ويتابع ليقول أنه قد علمنا أن وراء تلك الشركة أموالاً يهودية و نفوذاً محلياً وأن النافذ المحلي هو المرحوم هنري فرعون وامتداداته حتى القصر الجمهوري، ويضيف بأن الرد الأول على كشف تلك الفضيحة سيارة زرقاء توقفت أمام جريدة الشرق وخرج منها ملثمون ذهبوا بالزميل خيرى الكعكي إلى جهة مجهولة، تبين فيما بعد أنها من إسطنبول فرعون في سباق الخيل...⁷

4. في العام 1961 تم تسجيل عقارات مساحات من القموعة باسم بعض المالكين من قرى عيات وعكار العتيقة وذلك بموجب مباشرة أعمال تحديد و تحرير و يتكرر الأمر عام 1978 ووفقاً للمدون في تلك الوثائق فقد تم التمليك والتصرف العلني والهادئ بصورة مستمرة لمدة تتراوح بين 15 وعشرين سنة، حسب ما هو وارد في إفادة المختار .

5. في العام 1991، يصدر وزير الزراعة محسن دلول وبناءً لطلب النائب وجيه البعيني قراراً يحمل الرقم 1/165 بتاريخ 91/12/22، يقضي باعتبار القموعة "حمى وطني"، حيث الأراضي هي ملك للدولة و ضمن مشاعات بلديات القرى المحيطة، حسبما جاء في نص القرار .

6. وفي العام 1992 وبعد عدة اجتماعات لهيئة الإنماء السياحي في عكار التي دعا إلى تشكيلها النائب وجيه البعيني مع جمع من الفاعليات والجمعيات العكارية فكانت باكورة أعمالها أول مهرجان سياحي في عكار في سهلة القموعة، رغم اعتراض بعض المشاركين في التحضير حينها، أما النتيجة فكان أن المهرجان خلف وراءه كمّاً هائلاً من نفايات الطعام وأعمال التحضيرات، عدا عن كم السيارات التي داست سهلاتها وقد بلغت من الطرقات المؤدية إليها إن

⁷ النهار، 30 تشرين الثاني 1998

من جهة عكار العتيقة أو من جهة فنيديق، أضف إلى أن التحضيرات لذلك المهرجان رافقتها دعوات إثر زيارات متكررة من قبل النائب وجيه البعيريني للرئيس رفيق الحريري لرعاية المهرجان وزيارة القموعة والدعوة لتحويلها منطقة سياحية والاستثمار فيها.

7. إثر ذلك وبعد المتابعة من قبل الهيئة المسماة "إنماء سياحي"، مع وزارة السياحة يصدر الوزير قراراً يحمل الرقم 198 بتاريخ 93/12/16 ويقضي باعتبار القموعة وعرقه في نفس الوقت موقعين سياحيين وذلك بعد عقد المهرجان السياحي الثاني في جوار تلة عرقه.

8. أما في الأعوام 1993 و1994 يقدم بعض من أهالي فنيديق على فلاحه قسم من سهلة القموعة ويزرعونها بنصوب النقاح وحجتهم في ذلك وضع اليد منذ القدم، وفق ما جاء في كتاب محافظ الشمال الأستاذ خليل الهندي الموجه إلى وزير الداخلية بتاريخ 95/11/13 والذي يشرح فيه طبيعة النزاع حول القموعة ومخاطره على البيئة وعلى السلم الأهلي في عكار.

9. أما التعدي الأبرز على القموعة فكان في العام 1995 حين أقدم أحد مواطني فنيديق على إشادة بناء لغرض سياحي في سهلة القموعة وبناء لرخصة من قائممقام عكار، يستند فيها إلى إفادة مغلوبة من مختار بلدة فنيديق، وبعد التحقق من الأمر يعود القائم مقام فيصدر قراراً آخرأ يحمل الرقم 2123 تاريخ 95/6/20 يقضي بنزع الأعمدة التي تم إنشاؤها وبالرغم من مصادقة محافظ الشمال على القرار بتاريخ 95/6/29 وإحالته إلى قيادة الدرك الإقليمية للتنفيذ فإن شيئاً من هذا القبيل لم يحصل بل على العكس فقد تم صب سطح البناء بعد منتصف ليل 17 حزيران من نفس العام رغم تدخل مخفر مشمش المجاور للدرك، حيث أقدم جزء من الأهالي في فنيديق على التظاهر أمام المخفر محاولاً التعرض لعناصر المخفر رداً على استدعاء الشخص المخالف.. إلى أن تدخل الجيش اللبناني وفرق المتظاهرين بالقوة وفق ما ورد في كتاب رئيس دائرة الأمن العام في الشمال بتاريخ 95/6/21 ويحمل الرقم: 295.

على الأثر يرسل محافظ لبنان الشمالي الأستاذ خليل شكري الهندي كتاباً ووجهه إلى وزير الداخلية بتاريخ 95 / 11 / 30 ، يبين فيه أسباب المشكلة ومسألة الملكية والنزاع حول

القموعة وفق ما جاء في كتب لجنتي المتابعة في كل من عكار العتيقة و فنيديق حيث بادرت

الأولى منذ البداية إلى رفع الصوت وجمع التواقيع على الوثيقة التي تعتبر القموعة مشاعاً جمهورياً لا يسمح بالتعدي عليه .. بينما ذهبت الثانية تدافع عن فعلها وتبرره.

ويذهب كتاب المحافظ إلى حد تبيان المخاطر التي قد تحصل بسبب استمرار النزاع الحالي ويحدد المقترحات المنطقية للحل والتي تنطلق مجدداً من التأكيد على ملكية الدولة اللبنانية لكل أراضي القموعة إضافة لاقتراح تنفيذ قرار الهدم للبناء المخالف وإزالة التعدييات ضماناً للاستقرار العام وحفاظاً على البيئة ورغم أن ساكناً لم يحرك منذ ذلك الحين، بقي الموضوع عالقاً في جوانب شكلية في يد القضاء اللبناني بسبب ادعاء بعض أهالي عكار لملكية جزء من أراضي القموعة وبسبب الادعاء المضاد لأهالي فنيديق الذي ينقض قرارات التملك والمسح التي تمت في ظل غياب مختار فنيديق وغياب فريق أساسي من أهالي فنيديق نتيجة الفرار والملاحقة لقسم منهم من وجه العدالة آنذاك والكلام هنا بالطبع للجنة المتابعة فيها، وبين هذه وتلك يبقى المبنى المخالف شاخصاً يتحدى كافة القرارات وقد تمت عملية متابعة تقطيعه في هذه الأثناء بأحجار الطوب تمهيداً لاستكمالها .؟!!

إلى ذلك يستمر السجال حول القموعة ومسألة البت بقضيتها معلقة كذلك أمر تنفيذ القرارات المتلاحقة بخصوصها فيشترط أهالي فنيديق إزالة كل التعدييات على كل أراضي الميري في لبنان كشرط للتراجع عن وضع اليد عليها بينما يطالب أهالي عكار العتيقة بساندهم حوالي 60 مختاراً من مختلف بلدات وقرى عكار باعتبار القموعة مشاعاً بسهلاتها ومياهها وأشجارها وصولاً إلى استعداد المالكين منهم للتنازل عن الأراضي المسوحة باسمهم والتخلي عن سندات المزارعة لتصبح بالتالي أملاكاً عامة، حسبما جاء في تواقيعهم وكتابهم الموجه لمحافظ لبنان الشمالي عام 1995.

أما الذي يزيد الأمر غرابة في طريقة التعاطي مع شأن القموعة، هو التناقض وغياب التنسيق في الوزارات وفيما بينها، فيصدر وزير الزراعة مثلاً قراراً بالقموعة "حمى وطني" عام 1991، ثم تعود وزارة السياحة عام 1993 فتصدر قراراً باعتبارها "موقع سياحي" وبطلب من نفس الجهة ومدعمة "بهئية الإنماء السياحي" في المرة التالية، وفي المقابل يشترط مدير عام وزارة البيئة في معرض رده على كتاب بلدية فنيديق المرسل إليه بواسطة محافظ الشمال بتاريخ 5/ 6

94/ والذي يتمنى فيه إعلان القموعة محمية طبيعية. ضرورة تأمين خرائط للمنطقة وتعداد للحيوانات والطيور والأشجار والنبات فيها بالإضافة لشريط فيديو مصور عنها.⁸

ورغم أن القرار الأول يتطلب إجراءات عملية ومتابعة ميدانية أهمها لجنة تعنى بمتابعة شؤونها ووجوب تأمين مأموري أحراج فيتطلب القرار الثاني لحظها فعلاً في المنشورات والخرائط السياحية، تمهيداً لوضعها في البرامج السياحية الداخلية وبرامج زيارات السياح والأجانب؛ وفي حين أن وزارة البيئة تمتلك العديد من الوثائق المتنوعة عن القموعة بواسطة العديد من الناشطين البيئيين والخبراء وفي مقدمهم ريكاردوس الهبر، فإن الطلب لم يؤخذ بعين الاعتبار، وإن مبادرة واحدة لم تحصل من قبل وزارة البيئة تجاه هذا الأمر، وبقي البناء قائماً في القموعة وحرثة أرضها مستمرة والصيد فيها لم يتوقف كذلك الكسارات والحفريات وقطع الأشجار... !

وحتى تخرج القضية من إطار الفعل والفعل المضاد والتجاذبات السياسية والتي لولاها لم تكن تلك المبادرات والحماس المجتمعي كله دفعة واحدة ولما كان الخلاف لينشأ بين فنيديق وعكار العتيقة رغم امتداده في جذور تكونهم التاريخي.. يبقى التساؤل المطروح: هل يعي الجميع من موقف المدافع أو المعتدي أهمية القموعة بيئياً وتراثياً وسياحياً؟ أم أن الدعوات لاعتبارها مرة محمية وسياحية مرة أخرى هي كذلك في إطار ردات الفعل والهروب إلى الأمام؟! وإذا لم يكن الأمر كذلك فما الذي يقف عائقاً أمام تنفيذ تلك الدعوات أو الرغبات أو القرارات؟! وأين بالتالي موقع الجمعيات البيئية من الأمر؟ وهل أن القموعة شأن عكاري خاص أم لبناني عام؟ وكيف تتجسد فعلاً شهادة الجميع بكونها مجال حيوي طبيعي، سياحي بيئي، واقتصادي لعكار وكل الوطن وحتى المحيط الجغرافي السوري الطبيعي؟ وبالمقابل هل يعي الجميع لماهية الحمى الوطني و العلاقة المترابطة مع مفهوم السياحة البيئية؟

⁸. تحقيق لمخبر الأشقر النهار، 10 كانون الثاني، 1998، باب بيئة وتراث، ص 9.

5

في مفهوم الحمى الوطني و علاقته بالسياحة البيئية

إن فكرة المحميات الطبيعية لا تعني بالضرورة أمكنة مغلقة وممنوعة على العامة ونشاطها⁹ كما راح البعض يروج في فترة الدعوة لتحويل القموعة إلى محمية طبيعية ومن قبل الداعين أنفسهم فانطبق عليهم مثل تكذيب الكذبة ومن ثم تصديقها، فالهدف منها حقيقة هو "منع أذى الناس عن الشواهد الطبيعية النادرة مع الحفاظ على التوازن بين أنشطة الناس التقليدية وبين الإبقاء على ميزة الواقع¹⁰ الأمر الذي يساعد ويشجع من الزراعات الريفية والسياحية والأنشطة الرياضية كأعمال وأنشطة مكملة لفكرة المحميات والتي هي بالنتيجة وسيلة لتقريب الناس من الطبيعة¹¹ وبما أن الناس أعداء ما يجهلون فإن الوعي والمعرفة المتبادلة عن كذب شرط ضروري وطبيعي لأجل عودة الوفاق والتصالح ما بين الإنسان والطبيعة وتبادل الاهتمام والنفع بينهما لذلك نشأ مع الزمن ومع تطور مفهوم المحميات نوعين منها الأول هو المحمية الطبيعية الوطنية parc national والمحمية الطبيعية الإقليمية أي المحلية parc régional، وتهدف الأولى إلى الحفاظ على مجال حيوي من أرجاء الوطن، أي الإبقاء على جزء فريد بسبب أهميته الطبيعية الخاصة.. وهي تشمل منطقة واسعة لتضم جميع المقومات الحيوية للتوازن الطبيعي كمثل إعلان وادي نهر إبراهيم محمية طبيعية، يعني حماية مستجمع مياه ينابيع النهر وضافه وجميع القرى التي تجانبه.. أما المحمية الطبيعية الإقليمية فهي غير مغلقة .. بل هي أشبه بالمتحف الطبيعي حيث يستطيع أي زائر التمتع بموجوداتها بأي طريقة يريد دون القيام بأي نشاط يؤدي للاستقرار الطبيعي .. وهي تنشأ بمبادرة من سكان منطقة يرغبون في المحافظة على خصائص منطقتهم .. ويتقدمون بطلب حماية من السلطات التي تبادر إلى اغتنام الفرصة وإجراء اللازم .. "

⁹ الهبر، ريكاردوس ميشال، بيئة لبنان طبيعة الإنسان، منشورات برنامج التربية على السلام "يونيسف"، المطبعة العربية، بيروت، ص 190.

¹⁰ المصدر السابق.

¹¹ نفس المصدر.

ويتابع ريكاردوس الهبر قائلاً: "إن هذا النوع من المحميات يشجع الزراعة المدروسة والتقريب من الأرض، كما يساهم في تنشيط الأشغال الحرفية والصناعات المحلية ضمن شروط المحافظة على البيئة التي تفرضها ظروف إنشاء المحمية، ولهذه الأسباب تلقى فكرة المحميات الطبيعية المحلية رواجاً متزايداً كونها ترفع بشكل ملحوظ من نسبة إقبال الزائرين والسياح ومحبي الطبيعة، خاصة إذا كانت القرية أو مجموعة القرى الواقعة في نطاق المحمية المحافظة على الطابع البلدي الأصيل في نمط وفي هندستها المعمارية، .. فقد تبين أن الأكثرية المطلقة من زائري المحميات الطبيعية المحلية يفضلون بإلحاح اكتشاف المواقع الطبيعية أو الأثرية حيث سكان المنطقة ما زالوا يحتفظون بطرق عيش أصلية .. دون أي تقليد أو تزييف أو تصنع. كما تبين أن القرى التي تحافظ على طابعها تحظى بفرص أكبر من التبادل التجاري مع الزائرين الذين يرغبون دائماً"شراء كافة المنتجات البلدية الزراعية والصناعية والحرفية".¹²

نجد مما تقدم أن المحميات و السياحة البيئية متلازمتان ويتداخل كل منهما بالآخر فمن دون طبيعة لا محمية ومن دون زراعات بيئية ومنتجات تراثية بيئية وإطار مكاني يحافظ على طابعه القروي الأصيل لا يمكننا الحديث عن سياحة بيئية. أضف إلى ضرورة توفر البنى التحتية الملائمة والأشكال التنظيمية والرسمية وغير الرسمية المشجعة والتي توجه وتحاسب في أن. مثلما يتعلق الأمر بطلب ورغبة يستندان إلى وعي وملف كامل ومعد بالتعاون بين الهيئات الأهلية والحكومية والسكان من جهة وسلطة مدركة لدورها تتلقى الطلب وتنتهز الفرصة للجواب من جهة أخرى للحفاظ على خط دفاع آخر عن البيئة في لبنان إذا لم نشأ الذهاب إلى أبعد وبذلك تخرج المتنازعين من إطار قطعة الأرض أو الملكية الخاصة والحدودية، فلا تراعي خواطر هذا المسؤول أو رغبة تلك الجماعة فتضع لذلك نظاماً وشروطاً ومعايير تسهم في توفير الحماية والرعاية اللازمتين ودونهما لا حديث عن بيئة أو زراعة ولا سياحة بيئية ولا تنمية بشرية مستدامة ولا من يحزنون.

¹² نفس المصدر.

***

يمكن التفكير و العمل وفق ما يلي :

- تشكيل فريق عمل نواتي أساسي لإعداد الملف والطلب والدفاع عن القموعة حتى إعلانها محمية طبيعية فعلاً وفق الشروط اللازمة.
- إعداد وثيقة تعبوية إعلامية مدعمة بالصور والوسائل المختلفة لإبراز أهمية القموعة كمجال حيوي طبيعي و تراثي ، ذلك لخدمة حملة التوعية التي ستليها.
- تنظيم حملات توعية وتحسيس مع وفي المدارس والجمعيات والجامعات ومختلف التجمعات و الأطر الرسمية وغير الرسمية عن الأهمية التي تمثلها القموعة.
- تشكيل فريق عمل موسع من المهتمين وممن تظهرهم حملات التحسيس والتوعية لتوزيع المهام والمسؤوليات فيما بينهم فيما خص على سبيل المثال وليس الحصر: التنظيم لحملات التوقيع الشاملة، إعداد الملف وتدعيمه بالوثائق وتنظيمه، تنظيم حملات التوعية وتنفيذ البعض منها، متابعة الطلب لدى المؤسسات الرسمية والوزارات المختصة، تسويق المشروع لدى الهيئات والمنظمات الدولية، الإعلام، والاتصال بالنواب والفاعليات السياسية المحلية لاتخاذهم كشركاء ولتبني المشروع في إطار لجان المجلس النيابي.

أما على المستوى الإقليمي فان إبراز أهمية القموعة الطبيعية ويكونها مجال حيوي بيئي ليس للبنان فقط ولسوريا أيضاً بالتعاون مع الوزارات المختصة فيها ومن خلال أطر العلاقات الرسمية والاتفاقات بين البلدين، أمر من شأنه المساعدة في خلق شركاء وحلفاء مساندين لما نطمح.

ومن جانب آخر وجب العمل سريعاً لأجل:

- الوقف الفوري والتصدي لكل أنواع الإساءات في القموعة ورفع الغطاء السياسي عن المعتدين .
- فتح مراكز الأبحاث في القموعة وتكليف المأمورين القيام بمهامهم .

- توسيع الطرقات الموصلة إلى القموعة وتأهيلها وإزالة التعديات عن حرمها خصوصاً في بلدات ممش وفنيدق كذلك الطرق الموصلة إليها عبر محور الجومة.
- تنفيذ حملات تحريج سنوية متتالية ومنظمة فيها مستفيدين في ذلك من إمكانات مجندي خدمة العلم وتشرك فيها المدارس والجامعات بشتى الطرائق .
- التعاون بين بلديات القرى المحيطة والتنظيم المدني للعمل على تجميل المباني والمخالفات وتصنيف المباني التراثية فيها بالتعاون مع وزارة الثقافة لإعادة تأهيلها.
- الحد ومراقبة كل الأسباب والملوثات لمياه نبع فنيدق .
- تنظيم حملات إرشادية من قبل النقابات والتعاونيات الزراعية ووزارة الزراعة لأجل الحد والترشيد لعملية استخدام الكيماويات في الزراعة في محيط القموعة ودعم وتشجيع استخدام المواد العضوية والزراعات البيئية كالصعتر البري مثلاً.
- تنظيم دورات تدريب حرفي ومهني لاستغلال وإعادة استعمال الفضلات الزراعية ولأجل إحياء منتجات وأشغال حرفية مثل السلال المصنوعة من قش القمح واللبن والقصب وغيرها.
- تشجيع الثروة الحيوانية من أصناف الدواجن والأبقار والنحل وفتح فرص وسبل الاقتراض لاقتنائها أضف إليها تخصيص وزراعة مساحات للرعي. وزيادة منتج الحليب والأجبان والألبان والبيض البلدي والعسل والحد بالمقابل من حملات اجتثاث القصعين والصعتر البري.
- تنظيم معارض دائمة للمنتجات البيولوجية والطبيعية لتسويقها وتشجيع المؤسسات التعاونية للاستثمار في هذا المجال.
- استصلاح الأراضي الزراعية والقابلة للزراعة والتوجيه نحو الزراعات الملائمة وتحسين شبكة الطرق والمواصلات فيما بين القرى المتجاورة للإفادة القصوى من إنشاء البراد الزراعي الوحيد في عكار في بلدة بزينا.

***

إن الأهمية البيئية والسياحية التي تمثلها منطقة القموعة في عكار، تفرض لزماً على مؤسسات المجتمع المدني ومؤسسات الدولة وفي مقدمها وزارتي البيئة والسياحة من جهة ووزارة

الزراعة والطاقة والمياه من جهة أخرى وكل في مجال اختصاصه متحدين ومنفردين التدخل، وفي المقدمة وزارة الداخلية الواجب تدخلها لحمايتها من التعديات كونها أراض أميرية، ولحماية التراث الثقافي والسياحي من ناحية والحفاظ على مورد رئيسي للمياه في عكار وللحفاظ على الثروة الحرجية أملاً في الحفاظ على ما تبقى من الموارد الطبيعية الغنية، وعلى مورد مهم للدخل والتنمية خاصة وأن تلك المنطقة باتت معروفة للقاصي والداني، للمواطن والمغترب بأهميتها من النواحي البيئية والثقافية والاجتماعية. ولضرورة إخراج المنطقة من إطار النزاع العقاري حول أحقية الملكية لمشاعات البلديات في البلدات المجاورة الأمر الذي قد يؤدي في ظل سيادة الجهل ومحاولات السيطرة ووضع اليد إلى ضياع أهميتها وتخريب نوعيتها البيئية و السياحية.

القموعة في قلب التنشيط الاجتماعي-السياسي-البيئي

خلاصة تجربة في ميدان التنشيط الاجتماعي-السياسي

محمد عرابي

A Coller

الثروة الحرجية بين المخاطر التي تهددها وحسن ادارتها وحمايتها غازي الكسار

عاش الانسان عبر القرون على توافق مع بيئته وكانت ولا تزال الغابات والاشجار تلعب دورًا اساسيًا في حياته. وبما ان الانسان مجبول على حب تحسين وضعه وتسخير الظروف والامكانيات من حوله لصالحه، فإنه ظل يجري التعديلات التي يراها مناسبة لمصلحته في اطار تعامله مع الموارد الطبيعية المتاحة له. فبدلاً من الاعتماد على البيئة الطبيعية حيث كان الانسان الاول جامعاً للمنتجات النباتية والحيوانية، بدأ الانسان استزراع المحاصيل، وعبر الزمان استمر يدخل التغييرات في النظم الزراعية والتي غالباً ما كانت على حساب الغطاء النباتي الطبيعي. هذا بالاضافة الى ان الانسان بدأ التعرف على المزيد من فوائد الاشجار وتطورت مجالات استخدام الاخشاب والاشجار مما ادى الى ازالة المزيد من الغابات. وهكذا فقد أحدثت البشرية العديد من التغييرات في الموارد الحرجية بقصد منها: أو بدون قصد. وقد شملت هذه التغييرات: التركيبة النباتية، كتلة الغابات، درجة اعتماد الأشجار على الظروف المناخية والتكيف معها.

***

خصائص الموارد الحرجية: تتميز الغابات بخصائص جعلت منها مورداً ذا سمة خاصة تحتم على الانسان ان يتعامل معها بحكمة ودراية:

1. ان فوائد الغابات وآثارها تمتد عبر الأجيال ولا تقتصر على الجيل الواحد.
2. تعتبر الغابات من الثروات الطويلة المدى استثمارياً ولا بد في أغلب الاحيان من الانتصار سنوات عديدة قبل الحصول على المحصول الرئيسي (مثلا الاخشاب).

3. ان الأثر البيئي للغابات يتعدى الحدود البيئية المحلية ليؤثر على المستوى الاقليمي بل قد يمتد الاثر للمستوى العالمي.

4. مقدرة موارد الغابات على التجدد علمًا ان هذه القدرة على التجدد تتوقف على طبيعة المورد، الظروف البيئية، الظروف الاجتماعية...

5. ترتبط الموارد الحرجية بمواقع جغرافية محددة لأن الغابة مقترنة بقطعة ارض محددة ولا يمكن الحديث عن المورد بمعزل عن الأرض.

6. شمولية وتكاملية الموارد وارتباط الموارد ببعضها البعض. فلا يمكن الحديث عن استغلال اشجار الغابات دون وضع كيفية صيانة الحياة البرية في الاعتبار وذلك ان فقدان الاشجار يعني بالضرورة فقدان الحيوانات لمساكنها كما ان ازالة بعض الاشجار قد يعني اننا ندعم نوع من أنواع التعاقب الثانوي والذي يقود الى التصحر. ومن كل ذلك نخلص الى اهمية تضامن جهود كل المؤسسات ذات الصلة عند التفكير بالادارة والتنظيم والابتعاد عن النظرة القطاعية.

تتميز الموارد الحرجية بأهمية اقتصادية واجتماعية حيث ان الانسان ينظر الى الموارد الحرجية كسلع، وهو يختلف عن سائر الكائنات الاخرى في تفاعله وتعامله مع الكائنات الحية والعوامل الغير الحية ولا يكتفي باستغلال ما هو موجود ولكنه يسعى لتعديل واعادة تصميم النظام البيئي الغابوي لخدمة مصالحه الآتية. من هنا ساد الاعتقاد ان الانسان هو عدو وأداة تدمير للغابة ومن هنا نشأت فكرة فصل المورد عن الناس وصدرت التشريعات التي تمنع البشر من التعدي على الغابات. لكن في الحقيقة ان الانسان من خلال تعامله مع افراد مجتمعه (تعاون، تنافس...) والذي يضع قيمة للموارد ويحدد فوائدها. المورد الذي لا يرغب فيه احد ليس بمورد وعلاقة الانسان بالمورد وطريقة تعامله معه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعلاقته باخوته من بين البشر فهو ينظر الى الغابة باحد عينيه ويرصد بالعين الاخرى سلوك بقية البشر تجاه نفس الغابة.

من هذا المنطلق لا بد من مراعاة المعاني والقيم الاجتماعية التي منحها الناس للموارد الحرجية ووضعها في الحسبان عند اتخاذ القرارات بشأن الغابة لجهة الادارة والتنظيم.

ملكية الغابة: ان موارد الغابة ترتبط بالموقع ولا يمكن الحديث عن المورد بمعزل عن الأرض ومن هنا يبرز جانب آخر من جوانب التعقيد فيما يختص بإدارة وتنظيم الغابات اذ انه

في أغلب الاحيان لا يكون مالك الارض هو نفسه مالك الغابة او ان مالك الارض ليس لديه الحق او المقدرة على حجب حق الانتفاع عن بعض او كل الفئات الاخرى الموجودة معه في المنطقة. هنا تنشأ اشكال مختلفة من اشكال ملكية الغابات مما يحتم علينا مراعاة ودراسة موضوع ملكية الموارد عند التفكير في الادارة المستدامة للموارد الحرجية.

تأثير النشاط البشري على الموارد الحرجية: ان الانشطة البشرية تسفر عن نتائج ضارة

بالموارد الحرجية قد يستحيل تداركها ومن هذه النشاطات:

1. الاستغلال غير الرشيد للغطاء النباتي الطبيعي او القطع الجائر للغابات
2. قطع الغابات لتحويلها الى اراضي زراعية.
3. حرق الغابات.
4. الرعي الجائر في الغابات.
5. التوسع العمراني وفتح الطرق.
6. السياحة غير المنظمة.
7. التلوث بالغازات والمخلفات الكيماوية والنفايات.
8. استبدال الغابات الطبيعية بغابات اصطناعية نقية.
9. اتباع نظم ادارة وتنظيم دون مراعاة صيانة المصادر الوراثية (القطع الانتخابي القطع الكلي او الابداء).
10. عمليات استجلاب انواع الاشجار المدخلة.

***

وبالرغم من اننا لا نحتاج الى الكثير من البراهين للتأكيد على تأثير الموارد الحرجية بالنشاطات البشرية الا انه في نفس الوقت يصعب اثبات ان النشاط الانساني هو السبب الوحيد. وذلك لتداخل العلاقات والعوامل التي تتكامل لتؤثر على التنوع والتركيب الوراثية. عند تناول القيم الاجتماعية للغابة فان الوحدة الاساسية التي تنشأ هذه القيم على اساسها قد تتباين بتباين المجموعات التي تتعامل مع المورد ففي حين ينظر المهتمون بالغابات والبيئة الى الغابة كوحدة او نظام بيئي كامل نلاحظ ان المجتمعات المحلية تركز اهتمامها

وحديثها حول الشجرة ذلك لان الغابة في نظرهم هي مجموعة من الاشجار منها النافع ومنها غير المفيد ومنها الضار ومن هنا تتبع اهمية مراعاة هذه النظرة ففي كثير من الاحيان يهتم السكان ببعض الاشجار بينما الغابة نفسها لا تعني الكثير بالنسبة لهم وبالتالي لا تعنيهم. نورد فيما يلي بعض المفاهيم التي ترد في مخيلة السكان عند رؤية غابة او شجرة:

1. الاشجار تعني الحياة.
2. الاشجار مصدر للدخل.
3. الاشجار تعني الظل.
4. الاشجار تعني الحماية من الرياح والحرارة بالنسبة للبشر وللزراعة.
5. الاشجار تعني مواد البناء والاثاث.
6. الاشجار تعني الثمار والغذاء والعلاج.
7. الاشجار تعني المرعى.
8. الاشجار تعني البيئة الصحية والجمال والتروية.
9. الاشجار تعني الطاقة والوقود.
10. الاشجار هي هبة الله وهي البقرة الحلوب.

وهناك الكثير من الناس يرون الشجرة او الغابة كعدو يسبب لهم المشاكل:

1. الاشجار تأوي الطيور والآفات الضارة بالمزروعات.
2. الاشجار تنافس المحاصيل الزراعية على الماء والشمس والغذاء.
3. الغابة تحتل ارض جيدة كان من الأفضل الاستفادة منها في أغراض اخرى.
4. وجود الأشجار وسط المزارع يعيق عمليات استخدام الآليات.
5. الغابة مأوى للصيادون ومكان للذبيحة.

ان تناولنا لهذه الميول والاتجاهات لا يعني بانها سليمة واننا نتفق معها ولكن من الضروري جداً معرفة هذه الافكار التي يحملها الناس تجاه الغابة التي نريد ان نديرها ونسعى لحمايتها دون اهمال الهيئات المحلية في ظل الفجوة الحالية حول الغابات.

لا يحتاج المرء الى الكثير من الجهد لاثبات حقيقة ان الموارد الحرجية تتميز بدرجة من الخصوصية والتي تدعو الى التعامل مع الغابات بنوع من الحرص والرقه.

مصادر ومخاطر تلوث المياه وحسن ادارة الموارد المائية

منذر حمزه

اعطى الله لبنان ثروة مائية كبيرة جداً، ولا يظن احد انها اقل اهمية من الثروة البترولية. لو اثرنا موضوع المياه في الستينات ربما لما قدّرت الناس اهمية الموضوع، ولكن من المؤكد هناك مؤتمرات تعقد اليوم حول موضوع المياه، وكل اصحاب القرار في العالم يتوقعون في مؤتمراتهم ان تكون الحروب القادمة في العالم حول قضايا المياه، وخير دليل ما شاهدناه في الجنوب، ذلك اللغط حول نهري الوزاني والحاصباني وكيف ان شارون استشاط غيظاً لأن لبنان يحاول اخذ حقوقه الطبيعية الشرعية في مياهه والتي ترعاها كل القوانين الدولية.

من المؤسف اننا لم نحافظ على الثروة المائية في لبنان ولا بد من الاعتراف بهذه الحقيقة. مشاكلنا في لبنان كبيرة جداً وعلى كافة المستويات الصحية والبيئية. يعتبر لبنان من اكثر الدول في المنطقة التي لديها قوانين تحمي البيئة والصحة، انما مشكلتنا هي في عدم تطبيق القوانين وعدم احترامها، لا بل وعلى العكس يتفنن اللبناني في اساليب تجاوز القانون وعدم تطبيقه، وهذا من اكبر الأمراض التي يعاني منها المجتمع اللبناني، بحيث يسعى المواطن للتحايل على القانون ولعدم تطبيقه. ظنينا لفترة طويلة انها شطارة اللبناني اذ يقال انه شاطر، ولكن في النتيجة قمنا بتخريب الأسس التي تقوم عليها الدول والشعوب الحضارية، فالتآكل عندنا يحصل من الداخل الى ان وصلنا في النهاية اليوم الى مرحلة بات فيها كل شيء يتحمل كل الاحتمالات.

هناك مليار نسمة في العالم يشربون مياهًا ملوثة، بينهم 68 مليون عربي. يُجمع عدد من كبار العلماء على ان لبنان هو من الدول التي لم تعرف كيف تحافظ على ثروتها المائية بمنأى عن الملوثات الناتجة عن الالهال وعدم المسؤولية الفردية والرسمية. يؤكد الخبير

جونسون فورتس: " ان ما تبقى من مياه عذبة على الأرض وفي جوفها لم يعد كافيًا لامتناس السموم التي يتسبب بها الانسان، وهذا هو مصدر المخاطر المقبلة التي تهدد جميع الكائنات الحية". نجد في الدول النامية نسبة عالية من الأمراض لها علاقة بتلوث المياه، فممنظمة الصحة العالمية تعتبر انه يموت سنويًا حوالي 2.5 مليون فرد خاصة من الاطفال وذلك بسبب الاسهالات الحادة التي لها علاقة بالمياه، بسبب قَلَّتْها او بسبب نوعيتها السيئة.

ادى تلوث المياه وانتشار اخبار التلوث الى زيادة الطلب على المياه المعبأة وبشكل كبير، ما يشكل مشكلة في الدول النامية من الناحية الاقتصادية، وعلى سبيل المثال لو قصدنا في لبنان اية مدينة من المدن وحتى في القرى، نجد ماركات لا تعد ولا تحصى من شركات المياه، منها الجيد ومنها السيئ. فمن المؤسف أيضًا في لبنان ان المواطن يدفع احيانًا ماله ليشتري مياهًا لا تراعى فيها المواصفات المطلوبة، وذلك بسبب غياب الرقابة. ونعود هنا أيضًا الى نفس الدوامة الا وهي " التظبيطات " والتذاكي وتمير الامور بالواسطة ودون اهلية. فهذه الامور لا زالت غير مراقبة في لبنان (فالتة) وبكل ما تعني الكلمة من معنى، وصحة المواطن واقتصاده تطغى عليها مصلحة عدد من الافراد .

ان علاج الامراض الناتجة عن تلوث المياه يكلف الدول اموالًا طائلة . تتكبد الدولة اللبنانية سنويًا ملايين الدولارات فقط لعلاج امراض الاسهال والامراض الناتجة عن تلوث المياه.

1

كيف يحصل التلوث؟

صحيح ان لبنان بلد غني بالمياه بفضل ثلوجه وبفضل طبيعته الكلسية ولكن نحن اليوم في منتصف تشرين الاول، اي ان القسم الاول من فصل الخريف انقضى، ونستطيع القول من حيث نسبة المياه المتساقطة، لا شيء. لم يكن الامر كذلك من عشرين سنة. تعاني مصادر المياه في لبنان، والتي تشكل الخزانات الطبيعية لكل ثروتنا المائية، من الرمي العشوائي للنفايات المنزلية، حيثما ذهبنا في لبنان نجد ذلك وخاصة في الشمال. هناك على الكرة الارضية العالم المتقدم في الشمال والعالم النامي في الجنوب، بينما في لبنان الشمال هو العالم الثالث

وعكار هي العالم الثالث في العالم الثالث على صعيد لبنان ككل. كيفما تنقلنا في عكار نجد النفايات مرمية يمنا ويسارًا. هناك مناطق في عكار يجب ان تكون محميات طبيعية لأنها تحتضن انواعاً من الأشجار لا نجدها في هذه المنطقة، كما انها خزانات طبيعية للمياه ، فهناك قصور مائية هائلة موجودة في منطقة عكار ، وباتت فوهتها في الواقع مكبًا للنفايات.

***

ننتقل الى موضوع آخر الا وهو المزارع، مزارع الدواجن والأبقار والخنازير والأغنام ... هناك نفايات تنتج من هذه المزارع وتحوي براكماً فترمي دون معالجة في الطبيعة وتلوث المياه الجوفية. يعتبر لبنان من اكثر الدول استهلاكاً للمبيدات والنيترات، وأخطر ما في الأمر ان العديد من المبيدات التي تدخل للبنان يحظر استعمالها في بلاد المنشأ التي تصدّرها والعديد منها يباع في السوق السوداء، واحياناً عديدة تكون هذه المبيدات فاقدة الصلاحية، والعديد منها يسبب امراضاً عديدة وخطيرة، كل ذلك بسبب غياب الرقابة والمتابعة، والعديد من المزارعين يرش المبيدات عشوائياً وبكثافة وفي نهاية المطاف يهطل المطر ويجرف معه كل هذه المواد السامة الى جوف الأرض فتتسرب الى المياه الجوفية ونشربها، ثم نسأل لاحقاً متعجبين عن سبب ارتفاع نسبة الأمراض السرطانية. في الواقع من غير الطبيعي الا تكون لدينا نسبة عالية من الأمراض السرطانية في لبنان. يستعمل النيترات في تسميد الأرض بهدف زيادة نسبة خصوبتها، وهذا النيترات يرشح خلال الري الى المياه الجوفية ثم نشربه وتشربه الأسماك وغيرها من الحيوانات وترسبه فيعود الينا.

قمنا ببرنامج في سهل عكار دام اربع سنوات، قامت به الجامعة اللبنانية بالتعاون مع جامعة "ليل" في فرنسا ضمن برنامج Cèdres. تناول دراسة لمصادر المياه في عكار. تبين في الدراسة ان ساحل عكار على الأقل، اي كل منطقة السهل تحوي كوارث بكل ما تعني الكلمة من معنى. لسنا في سويسرا في سهل عكار كما يتوهم البعض، خاصة وان المواطنين فيه يشربون مياهًا محرمة دوليًا. تعتبر منطقة "شيخ زويد" على الساحل، منكوبة بيئيًا بنسبة مهولة وبشكل مخيف. سمح لنا البحث الذي امتد على اربع سنوات ان نتجول في مناطق عكار وان نشاهد كل ذلك، فما ذكرته عاينته ولم اقرأه في صحيفة. يشعرونا هذا الوضع بالخجل، اصبحنا في القرن الواحد والعشرين ولا زالت الناس في لبنان تنقل المياه على ظهر الحمير ولا تعرف ماذا تشرّب.

***

انتقل الى مسألة المطاعم والمقاهي والشاليهات في الجبال خاصة ، هناك فضيحة في لبنان - واعتذر لهذا التعبير - اذ يمكن لأي شخص في حال كان " مدعوًا " ويعرف كيف " يظبط اموره " يفتح مطعمًا في افضل واحسن الأماكن التي من المفترض ألا يدخلها الانسان، وبعد فتح المطعم يفتح جورة صحية لا يلبث ان يتسرب محتواها الى جوف الأرض وتعود الناس لتشربه مع مياه الشرب. أدت هذه الأمور في لبنان الى تلوث مصادر المياه جرثوميًا بنسبة 70 الى 75 % . النسبة هي 70 % في سهل عكار وتخفض هذه النسبة كلما ارتفعنا. ليس لأن المواطنين في تلك المناطق يتعاملون بشكل افضل مع الطبيعة انما لعدم تمكن الناس من الوصول اليها. وصلنا اليوم الى مرحلة باتت فيها عملية الترميم والتصحيح لهذا الواقع تكلف جهودًا ومبالغ كبيرة جدًا، هناك عمليات تخريب مبرمجة، عشوائية، فوضوية، لا مسؤولة ولا اخلاقية احيانًا ، قد تمت عبر عشرات السنين ، وخاصة خلال الأحداث وبعدها. تستهلك الناس في غالبية المناطق اللبنانية وخاصة في عكار مياهًا ملوثة، يوضع القسطل في النبع وتجّر المياه مباشرة الى البيت، وقد شاهدنا مئات القساطل موضوعة عند النبع وموصولة مباشرة الى المنزل، ولا احد يُعلم هؤلاء القوم المساكين ماذا يشربون. حتى مياه النبع الطبيعية ليس مسمومًا ان تشربها الناس دون ان تخضع ولو لمعالجة اوليّة. لو حافظنا على ثروتنا المائية لكنا حافظنا على مياهنا وأمانها بأقل كلفة ممكنة . الحاصل اننا نستهلك المياه مباشرة من النبع ودون معالجة - كما الحال في عكار - وكل شخص وحظّه! الناس تشرب مياهًا ملوثة، ونحن كأطباء نعرف ان نسبة اصابات الأطفال بالاسهال، وخاصة خلال فصل الصيف تكون هائلة جدًا ، وذلك ناتج عن تلوث المياه.

في احسن الأحوال نقول ان مصادر المياه ملوثة. لو تناولنا منطقة طرابلس الأقرب لعكار فهي تشرب من نبع هال ونبع ابو حلقة والنبعين ملوثين بشكل مرتفع ، تدخل المياه الى محطة التكرير وتعالج. ومنذ سنوات قليلة بدأت المحطة بضخ المياه المعالجة بالكلور لكي تعطينا مياهًا صالحة للشرب نظريًا، وتضخّها في الشبكة. هناك مشكلة التهريب في الشبكة، لذلك تقام اليوم في طرابلس هذه الورشة الكبيرة لتغيير الشبكة. كثيرًا ما سمعنا بحوادث كحوادث التبتانة البيئية، وسببها ان معظم شبكة طرابلس بدائية ومضى عليها سنوات طويلة. حتى ان شبكة

مياه مدينة طرابلس القديمة تعود الى ايام العثمانيين، ولا زالت تعمل مع انها بدائية . تختلط مياه هذه المجاريير مع مياه الشرب، فالتلوث يحصل داخل الشبكة بعد معالجة المياه، بسبب اهتراء القساطل ، فتبرز الحوادث الصحية كمثل الحادث الذي حصد حوالي 800 حالة منذ سنتين في منطقة التبانة.

2

مراقبة المياه

هناك مجموعة ميكروبات نستعملها كدالات indicateurs تكشف لنا ان كانت المياه صالحة للشرب ام لا، وغالبية المياه في منطقة عكار لا تخضع لهذه الفحوصات.

بيّنت منظمة الصحة العالمية ان هناك ستة امراض جرثومية مسؤولة عن وفاة من اصل وفاتين عند البالغين الشباب الذين هم بعمر العطاء ، وهذه الأمراض هي السيدا (واكثر فئة تصاب بالسيدا هي فئة الشباب) ثم الملاريا وهو منتشر خاصة في افريقيا وكان موجودًا سابقًا في بلادنا ، ويقول بعض الباحثين اللبنانيين ان بعوضة الملاريا شوهدت في مكان ما في لبنان ، فمعنى ذلك اننا لسنا بمنأى 100 % عن الملاريا . مشكلة السل كبيرة في لبنان كما الحميرة والاسهالات والالتهابات الحادة للجهاز التنفسي. لا بدّ من مراقبة المياه.

عام 1997 وبحسب منظمة الصحة العالمية توفي في العالم 52.5 مليون نسمة، والوفيات الناتجة عن الأمراض الجرثومية 17.3 مليون وفاة، واطخر الاصابات التي سببت الوفاة هي الاصابات التنفسية الحادة 3.7 مليون ، والسل 2.9 مليون، والاسهالات 2.5 مليون وفاة. تُظهر هذه الأرقام مدى خطر هذه الأمراض، واكبر نسبة وفيات فيها تكون عند الأطفال بسبب الجفاف والملاريا 1.5 الى 2.7 مليون.

والمفاجيء اننا سنة 2003 ليس لدينا دراسة وبائية صحية محترمة تتناول منطقة عكار، لذلك اطرح عبر التوصيات ان يكون هناك نوع من التنسيق بين الجهات المعنية في لبنان ، وخاصة الجامعة اللبنانية مع اساتذتها وخبرائها، وحتى الجامعات الخاصة، مع وزارة الصحة ، يتم بنتيجته انشاء فرق عمل. ان ما نقترحه مباشرة على رئيس اتحاد البلديات، ان

يتوفر نوع من التنسيق الدائم، وما نسميه مستشارون لدى البلديات من الخبراء الموجودين في منطقة عكار، يكونون على اطلاع عن هذه الدراسات ومعنيين فيها.

اخترت دراسة جرت في كينيا في افريقيا لاتخاذها كنموذج نقوم به ونشارك فيه. اجريت هذه الدراسة على اطفال تحت سن الخمس سنوات. أخذت عيّنة من 862 طفلاً مصابين بالاسهال، فوجدوا عند 239 منهم بكتيريا، اي 27.7 % منهم كانوا مصابين ببكتيريا واهمها الشريشاكولي عند 119 مصاباً والسالمونيلا المسؤولة عن التيفوئيد 63 حالة، والشيجيلا المسؤولة عن الديزنتيريا 56 حالة، اضافة الى الطفيليات والفيروسات. ان دراسات مماثلة تسمح لنا بمعرفة الأوبئة المنتشرة في منطقتنا، وتساعد بالتالي في عملية العلاج وتشخيص الأمراض عند الأطفال. الرقم في هذه الدراسة مهم جداً، فقد اظهر تحليل مياه الشفة ان 98 % منها كانت تحتوي على الكوليفور، وهي البكتيريا التي تنبئنا ان كانت المياه ملوثة ام لا. هناك علاقة وطيدة اذاً بين تلوث المياه وانتشار الأمراض.

ورد في تقرير لمنظمة الصحة العالمية سنة 1998 ان ثلاثة مليارات شخص لا يستفيدون من تنقية المياه المبتذلة. اكبر مشكلة نعاني منها في لبنان حالياً هي قضية معالجة المياه المبتذلة وخاصة في القرى. اذا ما قصدنا اي مسكن او مطعم او منتزه وسألناه عن اتجاه تصريف مياه المجور، نجد انه مفتوح على الطبيعة ولا احد يعلم الى اين يصل، والمواطن لا يهتم ولا يتحمل مسؤولية ذلك. لا نجد هذا المشهد سوى في الدول الأكثر تخلفاً في افريقيا، ومع ذلك لا نزال نجده منتشراً في لبنان، وهو من اكبر مسببات تلوث المياه الجوفية. يقول التقرير ان "الف مليون من سكان الأرض الأكثر فقراً عندهم سبع مرات حظ اكثر للموت بالأمراض الجرثومية ومشاكل صحة الأمومة والولادة والأطفال الرضع. ان حجم الأمراض المتعلقة مباشرة بنقص النظافة مخيف، هناك حوالي 2.5 مليون شخص يموتون سنوياً بالأسهالات ومنها الديزنتيريا، و 60 الف حالة وفاة بسبب حمى التيفوئيد"، ونعرف ان التيفوئيد لا تنتقل الا عن طريق المياه والطعام الملوث، واذا تلوثت المياه فالطعام سيتلوث حكماً لأن تحضيره يحتم علينا استعمال المياه للغسل وللطهي...". ان وجود نظام غير ملائم للتخلص من المياه المبتذلة في اميركا اللاتينية كان سبباً في الوباء الجديد للكوليرا. الكثير من شبكات الصرف الصحي في الدول النامية قد اصبحت بالية، حيث ان اكثرها انشئ منذ قرن تقريباً، وبعضها لم يحظ

بالصيانة الدورية اللازمة. ان زيادة الكثافة السكانية واستهلاك المياه ادى الى عدم استيعاب الشبكات، وفي غالب الأحيان لا توجد محطات للتكرير عند مصارف الشبكة. ان معالجة المياه المبتذلة يمكن ان تساهم في خفض نسبة الاصابة بالأمراض الجرثومية من 20 الى 80 % (انها ارقام مهمة جدًا وملفتة). ان اعلى نسبة وفيات بين الأطفال تقع في الدول التي فيها شبكات صرف صحي ومعالجة مشكوك فيها ". هذه كلها تقارير منظمة الصحة العالمية. من الأمراض الشيشيزوما وهو منتشر في افريقيا، وكان منتشرًا في لبنان في منتصف القرن الأوّل وهو ينتقل عن طريق براز المصابين وبولهم وخاصة في المياه الراكدة.

قمنا بدراسة في شمال لبنان عن نسبة الاصابة بالطفيليات، وكان المرضى من كل مناطق الشمال تقريبًا. كان ذلك من سنة 1997 وحتى 2001 (لن ندخل في تفصيل السنوات) تمّ تحليل 17126 مريضًا كان من بينهم 5713 مصابًا، اي ان نسبة الاصابة كانت 33.35 %، اي كلما اخذنا 100 مواطن شمالي تقريبًا نجد بينهم 33 مصابًا بالطفيليات او بالديدان او باسهالات .... وكلها ناتجة عن تلوث المياه والأغذية . تعتبر هذه النسبة من اعلى النسب في العالم.

قمت بدراسة في بيروت مع زميلي الدكتور جورج اعرج في الجامعة الأميركية ونشرت، وكان بنتيجتها ان نسبة الاصابة في بيروت 8%، بينما كانت نسبة الاصابة في الشمال 45%، وكان ذلك مطلع التسعينات، وهذا ما قصده في البداية حين قلت ان الشمال في لبنان هو العالم النامي، وعكار وضعها أسوأ. الفرق أذاً كبير جدًا بين الشمال وبيروت، وقد تدنى الى 33% ولكن لا زال الوباء موجودًا. ليست المشكلة في اللحم النيء كما نكر ادهم، انما المشكلة الأساسية هي في المياه والخضار، فالبعض منها يتم ريّه في الشمال بمياه المجاري. بقدر ما غسلنا الخضار في المنزل فهي في النهاية تحوي الوباء بداخلها.

حمى التيفوئيد معروفة بخطورها، فعادة حين يتمنى ادهم الشر لعدوه، يدعو له بالاصابة بحمى التيفوئيد فهي لعينة جدًا . هذه الحمى لم تعد موجودة في اوروبا، واذا اصيب بها احد الأوروبيين فلا شكّ انه كان في زيارة لاحدى الدول النامية. كم حاولنا التوعية في هذا المجال! فجوبهنا بمقولة ان البلد ينتظر السواح، ولا يجوز ايهاهم اذ يعدلون عن المجيء الى

لبنان، وهذا يؤثر سلبيًا على اقتصاد البلد، وأمور مماثلة. بعدما انهيت دراستي ومارست المهنة في الخارج، قررت العودة الى لبنان، وسألت عما يجب ان افعله قبل ذلك، فقدمت لي لائحة طويلة بكل الأمراض الموجودة في لبنان وباللقاحات الواجب اتخاذها، فهم يعون الوضع هنا تمامًا. حمى التيفوئيد غير موجودة اليوم في اوروبا وذلك بفضل نظام معالجة وتعقيم المياه وعلى اعلى مستوى، فقد توصلوا اليوم الى تقنيات مرتفعة جدًا .

قمنا بدراسة حول انتشار حمى التيفوئيد في شمال لبنان، اخذنا حوالي 7391 مريضًا وكانت الدراسة بين سنة 1992 و 1999 اي على مدى سنوات طويلة، وكانت نسبة الاصابة 15.3% عند اشخاص يعانون من ارتفاع بدرجة الحرارة. هذا لا يعني طبعا انهم يعانون جميعهم من التيفوئيد. ان نسبة الاصابة هذه بالتيفوئيد تعني مباشرة ان المياه التي يشربونها ملوثة وغير صالحة للشرب.

3

الموارد المائية

تقدّر الهواطل من امطار وثلوج ب 8600 مليون متر مكعب سنويًا. قبل ان عصفت الأحداث الأليمة بلبنان كانت هناك عدة محطات لقياس مياه الأنهار والأمطار والثلوج، ولكنها تعطلت بمعظمها وجرى العمل مؤخرًا على تجهيز هذه المحطات، وخاصة في مصلحة الطيران المدني.

نسبة المياه التي تتبخّر هي 4.500 مليون متر مكعب سنويًا. مياه الجريان السطحي التي تذهب الى سوريا عن طريق العاصي والنهر الكبير 510 مليون متر مكعب سنويًا.

مياه الجريان السطحي التي تذهب باتجاه فلسطين المحتلة عن طريق نهري الوزاني والحاصباني تقدر ب 160 مليون متر مكعب سنويًا.

المياه الجوفية التي تذهب هدرًا الى البحر والبلدان المجاورة 685 مليون متر مكعب

سنويًا.

يبقى لنا حوالي 2745 مليون متر مكعب سنويًا.

***

هناك العديد من الدراسات التي تقدّر ما يلزمنا من المياه في المستقبل . نحتاج حاليًا للشرب وللحاجات المنزلية 368 مليون متر مكعب سنويًا، ونحتاج 50 مليون متر مكعب سنويًا للصناعة، و875 مليون متر مكعب سنويًا للري. مجموع حاجة لبنان للمياه حاليًا تقدّر ب 1293 مليون متر مكعب سنويًا.

يجب ألا ننسى ان المناخ تغيّر في لبنان، وكميات الأمطار والثلوج تتراجع وللاسف، وبالتالي اذا ما استمرينا في لبنان بالتعامل مع المواضيع بذهنية متخلفة، فسنكون على شفير ازمات كبيرة جدًا في المياه، اذ لا زلنا متخلفين جدًا في المحافظة على ثروتنا المائية ومتخلفون على كافة المستويات، وهذه الحقيقة لا بدّ من قولها.

اقترح ما يلي:

1. تأهيل المحطات المناخية ومحطات قياس المطر وكيل الأنهار. هذه الخطوة عصا، اي بدونها نعجز عن التحرك في هذا المجال.
2. تحديث طرق الري (تنقيط، رش ...): في العديد من الأحيان يفتح المزارع سكر (قفل) المياه ويسرف في استعمالها بشكل مخيف، لا زلنا بدائين في عملية الري ونهدر المياه.
3. معالجة المياه المبتذلة واعادة استعمالها للري ، فالعديد من الدول الصناعية والمتطورة تعالج المياه المبتذلة وتروي بالمياه الناتجة عنها فهي تكون صالحة للري .
4. انشاء السدود للري وللشرب وتشجيع التخزين (بحيرات طبيعية او اصطناعية).
5. توعية المواطنين الى عدم الافراط في استعمال المبيدات والأسمدة الكيماوية، فهي تشكّل مشكلة كبرى.
6. معالجة النفايات الصلبة والكيميائية لحماية المياه، ووضع قوانين صارمة وتطبيقها بالنسبة للجور الصحية التي لا قعر لها (العميقة الغور)، فالجور الصحية ترابية وترشح مياهها الأتنة نحو المياه الجوفية ويتوزع التلوث على كل اهل المنطقة.

تعتبر القموعة من اهم خزانات المياه في منطقة عكار، ويعتبر جبل القموعة تحفة طبيعية وفيه اشجار نادرة جدًا وقد ذكرتها في مطلع حديثي. سنصل الى مرحلة في لبنان نقول فيها " فالج لا تعالج " فالمسؤولون ميؤوس منهم ولا احد يستمع او يجيب. مرّت سنين عديدة ونحن نطرح هذه المواضيع، ولكنهم يقولون: القطار يسير ولا احد يسمع، ولكن لا نعرف في اية هاوية سوف نسقط على الصعيد البيئي. وبالتالي هناك جريمة ترتكب بحق عكار وبحق البيئة في لبنان وهي ان تصبح منطقة القموعة مزيلة، في حين كان الوضع مختلفًا تمامًا من خمس او سبع سنوات، باتت اليوم هذه المنطقة مفتوحة "للبيك نيك" وانتشرت المطاعم فيها، حيث توجد اكبر خزانات مياه طبيعية.

***

لا بدّ من تحديد المشاريع من مثل تحويل القموعة الى محمية طبيعية كما بقية المحميات في لبنان. واجبنا رفع التعدي عن منطقة القموعة بالقانون، على ان يكون الجميع تحته، في حين لا نعرف حاليًا من هو فوق القانون ومن تحته.

نجد صعوبة في تحديد كافة اشكال وابعاد الحكمية المحلية، فهي تحمل ان تكون جزء من اللامركزية الادارية، بما تمثل من استقلالية وادارة محلية، تعمل بمنأى عن القيد والرقابة المركزيين - وايضًا، تحمل ان تكون حاضنة لكل مفهوم الادارة الذاتية، بما تشمل من تطوير لمفهوم الادارة في العائلة والاسرة، والوسط الاجتماعي، الى كافة مؤسسات وجمعيات المجتمع الاهلي، وصولاً لبلورة اهداف كبرى للمجتمع بكل نسيج افراده وهيئاته ومنتدياته وفعالياته، فتكون الحكمية المحلية بهذا المفهوم بمثابة عنصر الربط بين المتفرقات، وعنصر التنسيق والترتيب بين المتشابهات.

مفهوم الحكمية المحلية ايضًا هو شكل من اشكال السلطة، وبالتالي فهو معرض من حيث النظرة ومن حيث الاداء الى التعرض لسوء استعمال وتعسف وتجاوز، وذلك مهما كان شكل ممارسته سواء في القطاع الرسمي او في القطاع الاهلي دونما فرق.

وايضًا هو مفهوم يصعب حصره نظرًا لابعاده الواسعة، ولهذا يخطئ من يحصر الحكمية بالاجهزة الرسمية ولاسيما البلدية بقدر من يخطئ من يحاول ان ينزع ويقصي المؤسسات الرسمية ولاسيما البلدية عن اطار ومفهوم الحكمية المحلية.

وبقدر ما تتمتع هيئات المجتمع الاهلي وافراده بالوعي، والنضج لمفهوم السلطة وحسن ممارستها، واحترام التعددية الاجتماعية، وتعزيز فرادتها، بقدر ما يتجلى مفهوم الحكمية المحلية وينعكس رؤى ونهوضًا وانماء وتطورًا.

***

وبالعودة لتحديد موقع البلدية في واقع الحكمية المحلية، لا بد من التوقف عند الامور

التالية وهي:

ما هي البلدية: تشكل البلدية سلطة محلية منتخبة، تتصف باللامركزية اي انها تمثل سلطة المدينة او البلدة التابعة لها وليس السلطة المركزية، وهي تتمتع قانوناً بالشخصية المعنوية والاستقلالين المالي والاداري، وهي اذ تدير شؤونها بنفسها تعلم اكثر من غيرها بحاجات اقليمها، من كافة النواحي ولاسيما الانمائية منها، ولكن تقف في وجه تحقيق اهدافها ومشاريعها ضعف مواردها المالية.

اوجه علاقة البلدية بالمواطن: يحصر البعض اوجه العلاقة بين المواطن والبلدية بما

يلي:

على المواطن تأدية واجبه تجاه البلدية ولا سيما المالية منها، وتطبيق القانون بالمحافظة على النظام والنظافة وعدم التعدي على الملك العام وعدم المساس بالمصلحة العامة، وعلى البلدية ان تقمع المواطن المخالف عند مخالفته لانها بذلك تطبق القانون وايضاً عليها ان تسعى الى تحقيق مشاريع تنموية وانشائية تهدف الى تحسين واقع الخدمات العامة في نطاقها. ولكن في حقيقة الامر فان التعريف المذكور من شأنه ان يمسح العلاقة بين البلدية والمواطن لانه يعتمد على القمع لا على الاداء، على الوصاية وليس على الوعي، لانه يكرس الشخصية الاجتماعية السلبية مما ينسف روح المبادرة الجماعية.

وانطلاقاً من مفهوم التفاعل الطبيعي الذي يرعى حسن نمو اي علاقة او رابطة اجتماعية وعامة، فان آفاق العلاقة بين المواطن والبلدية هي ارحب واوسع بكثير من اية تحديدات قانونية او نظامية، ذلك لان الاركان النظرية التي تقوم عليها البلديات والصلاحيات المعطاة لها على سبيل المثال لا الحصر تتجاوز بكثير مفهوم الادارة الشرطي او الناطور، او عامل التنظيمات، الى دور الادارة الام والمنظر والمهندس نظراً للاهداف الكبرى المدعوة لتجسيدها وتحقيقها او المساهمة فيها معنوياً ومادياً وضمان حسن استمرارها تحقيقاً للصالح العام ومواكبة لحركة النهوض والتطور التي تتجاوزها بمسافات هائلة.

فبناء المراكز للرعاية الصحية والاجتماعية، او للاهتمام بالمسنين، والعناية بالمعاقين وتعزيز الدور الثقافي وتعميقه من خلال بناء قاعات المحاضرات والمسارح وتشجيع الواقع الرياضي والشبابي بانشاء الملاعب وصالات الرياضة والمساح وتوفير الحدائق ودعم المشاريع التربوية للاطفال ووضع المخططات التوجيهية للمحافظة على التناسق البيئي والجمال العمراني، وانشاء المتاحف لحفظ التراث والآثار وتوسيع الطرق وتعبيدها وتجشير الطرقات والاماكن العامة وغيرها وغيرها من المشاريع والاهداف الجوهرية التي لا غنى عنها في عملية النمو، لا تتحقق بقرار او جرة قلم، ولا يمكن ان تستمر حتى ولو تم تأمين التمويل اللازم ما لم تترافق مع حالة وعي جماعية تقدر كل التقدير اهميتها وحيويتها وتعي ضرورة عليها من اجل استمرارها لتحقيق الاهداف التي وجدت من اجلها.

فيطلب من البلدية - وهذا حق - ان تبادر في وضع الاسس لإنشاء هذه المشاريع والمساهمة في تمويلها وادارتها الخ... ولكن المسؤولية الفعلية في توجيه الشباب والمبادرة في بلورة الوعي الجماعي لاي مشروع عام، وتكريسه هدفًا جماعيًا يتعدى اطار المبادرة الفردية والحماس، الى قناعاته بضرورته، يساهم مساهمة فعالة في تعزيز الحاجة اليه وبالتالي الى انشائه وضبط حسن استعماله بما ينسجم مع الصالح العام، والهدف الذي انشئ من اجله هذا المشروع تقع على عاتق الهيئات الاجتماعية من جمعيات وحركات ونواد، فما معنى انشاء مدينة رياضية مثلاً دون وجود حاجة في الوسط الاجتماعي لوعي ممارسة الرياضة او عدم وجود هيئات تهتم بالرياضة وترعى شؤونها وترى فيها رسالة اجتماعية تنقيفية.

ومن هنا يتبدى لنا بوضوح عملية التناغم الطبيعي بين البلدية كمؤسسة وكسلطة وبين كافة هيئات المجتمع الاهلي في سبيل تحقيق المصالح المحلية العامة. مما يجعل تحقيق الحكمة المحلية بالشكل الراقي مسؤولية مشتركة بين هؤلاء جميعاً، ولا يمكن بأي شكل من الاشكال القاء اللوم على واحد دون الآخر.

***

صحيح ان صعوبات عديدة تعترض تحقيق العمل البلدي، وصحيح ايضاً ان ضعف الموارد المالية هو احد ابرز هذه الصعوبات، ولكن لا يمكن القاء اللائمة فقط على هذا السبب في ظل وجود اسباب لا تقل اهمية وتأثيراً ومنها غياب للحياة البلدية استمر 35 سنة على الاقل

دون ان تكون المرحلة السابقة لهذه السنوات قد تخلت ممارسة صحيحة للعمل البلدي وبعد الخروج من حرب اهلية أنشأت اجيالاً عديدة على خلفية غياب الدولة وعدم احترام القانون، وفي ظل اوضاع اقتصادية حالية بالغة السوء على الصعيد الاقتصادي وعلى مستوى الفاسد الاداري، وحالة استرخاء على مستوى الوطن ككل مما ينعكس سلباً وحتماً على الواقع الاجتماعي العام.

ولعل ابرز هذه الاسباب واهمها على الاطلاق هو غياب الوعي الجماعي، الذي ينشئ كيانات مبادرة منطلقة تخرج من شرنقة الوعظ والتمني الى مرحلة المبادرة التي تتغذى بالخبرة والممارسة، فتضيء شمعة بدل ان تكتفي بلعن الظلام، وتتولى كل جمعية اهلية زمام المبادرة بما يخصها ويعنيها، دون ان تلقي اللوم على هذا، والعتب على ذلك وتحول برامجها من ينبغي ويقتضي الى مشاريع واقعية وخلافة.

***

بصفتي عضواً في بلدية رحبة ومرافق لمراحل انطلاق وتأسيس اتحاد بلديات الجومه. فاني اعرض بشكل موجز بعض الانجازات التي تعكس توجهات كبرى للوثوب والنهوض سواء على صعيد رحبة او على صعيد الجومه.

في رحبة تغيير نحو الاحسن يلحظه القاضي والداني، وعلى كافة المستويات والصعد بدءاً من تأمين الهيكلية الادارية للبلدية، وتأمين مبنى عصري وحديث يحتضن العمل البلدي الى شق عدد كبير من الطرقات وتوسيعها، بما يتناسب مع الامكانيات المتاحة، وبما يحترم تحقيق التنمية المنشودة مروراً بتشجيع العمل الفني والثقافي عبر الاصرار لانجاز هذه القاعة الثقافية وتشجيع كافة الجمعيات والهيئات الرياضية والشبابية والتربوية والثقافية وتأمين الدعم المعنوي والمادي لها، واستصدار المخطط التوجيهي للبلدة يؤسس لبناء رحبة مدينة نموذجية ريفية في المستقبل، من انتهاء مراحل تنفيذ تخطيط بطول 10 كلم وآخر داخل البلدة بطول 20 كلم، بالاضافة الى الاهتمام بالاعلام والنشر وحفظ التراث والتشجير والانارة والنظافة العامة. وكلها مشاريع تؤسس للمستقبل وتجعلنا نصعد درجات عدة في سلم قد لا ينتهي. وهذا النفس التأسيسي للمستقبل هو ايضاً حاضر لدى بلديات الجومة التي سعت قبل ان تتضوي تحت لواء الاتحاد الى مبادرة برعاية واطلاق المشاريع التنموية المشتركة وملاحظة القضايا العالقة في ادارات الدولة.

وحسبنا في هذا كله اننا سعيينا ربما في كل المجالات. ونجحنا في العديد من هذه المجالات، واملنا ان يتواصل السعي ويستمر لتكون بلدتنا وقرانا في الموقع التي تستحق، ولتؤمن للاجيال الصاعدة البنية الاساسية ومناخاً ملائماً للعمل يختلف بكثير عن البيئة التي ورثناها، والمناخ الذي نشأنا فيه.

الوظيفة العامة المحلية

رشيد يوسف

الوظيفة العامة خدمة للمواطن وتسهيل لاعماله وضمان لحقوقه القانونية.
الموظف في الحقل العام خادماً للمواطن، للشعب، للوطن.
الوظيفة العامة، مهما كان مستواها اسهام في خدمة الموازنة العامة.
ان اية وظيفة امنية او علاقات داخلية او خارجية هي الحد الادنى لتأكيد وجود الدولة والحكومة،

واي الغاء لها يعني الغاء لوجود الدولة او لوجود الحكومة.
ان الموظف المسؤول في وظيفة عامة هو أخ، صديق، خادماً لذلك هو مساعد على انجاز حق واحقاقه وليس عدواً للمواطن.
ان الموظف في القطاع العام هو ممثل للدولة في رعاية شؤون المواطن ودليل على وجودها.

لذلك عليه ان يكون بمستوى هذا التمثيل وان يكون ايضاً "دولة":

يعرف القوانين

يمثل القوانين

يحترم القوانين

ان يكون قانوناً.

***

ان تربية وطنية تسود فئات المجتمع كافة لا بد ان توجه لوعي علاقة المواطن بالموظف في الوظيفة العامة ووعي حقوقه وواجباته فمثلاً الهاتف اصبح من الضروريات فلماذا

يدفع المكلف رسوم الهاتف المحمول ولا يدفع رسوم الهاتف الكابت الذي يخص الدولة مائة بالمئة؟

لقد رأيت ادارة الهاتف منذ اعادة تحديثها على وضع تعديلات في عملها لتسهيل عمل المواطن واستفادته من خدماتها، كما تسهل لها من انجاز مهامها وخاصة، طريقة الدفع للرسوم في مراكز متفرقة وموحدة في كل المناطق اللبنانية، فبإمكان المواطن دفع رسوم الهاتف في الجنوب كما في الشمال والبقاع وفي اي مركز يختار.

بإمكان المواطن الاستفادة من خدمات الهاتف الثابت كما يشاء وبرسوم اقل من السابق. بإمكان المواطن الاستفادة من الخدمات الرسمية دون العودة للزعماء والمسؤولين او لذلك السؤال وانما حقًا محفوظًا له المكان اقول مقدسًا.

الوظيفة العامة والخدمة العامة ليستا منة على احد او لاحد.

وليس المواطن طرفًا آخر في المعادلة اننا جميعًا في المسؤولية سواء، تكمل بعضنا بعضًا ونساعد بعضنا بعضًا.

فاعلية القوانين*

انطوان مسرة

أُتوقّف عند فكرتين وردتا في كلمتي كلّ من ممثّل نائب رئيس مجلس الوزراء الدكتور كميل حبيب، ورئيس اتحاد بلديات الجومة السيّد سبيع عطية، إذ أنّها افكار اساسية في مشروع المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم وهي: معرفة الحاجات والمتطلّبات وجعل المواطن مؤثراً وليس فقط متأثراً. أي تحفيز الفرد على المشاركة. وهذا كما قال رئيس اتحاد بلديات الجومة مشروع اصلاحي بامتياز، لأنّه يدخل في عمق مشكلة كبيرة جدّاً في لبنان ولم نتطرّق اليها بشكل عملي وفعلي.

إنّ المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم التي نشأت سنة 1987 ونظّمت أكثر من أربعين ورشة عمل، وصدرت وقائعها في 18 جزءاً عملت على ثلاث قضايا اساسية:

1. الثقافة المواطنية.
2. السياسات الاجتماعية.
3. الديمقراطية والسلم الاهلي.

ننشر كلّ سنة تقريراً سنوياً حول حالة السلم الأهلي الدائم. هذه القضايا مرتبطة جدّاً بدور لبنان العربي في المنطقة، ودوره في ترسيخ السلم الأهلي، ودوره كنموذج في ادارة التنوع.

---

*. ان النص هو موجز مداخلة شفوية ونقلًا عن آلة تسجيل.

ما هي الحكمية المحلية ؟

قد تبدو الكلمة صعبة باللغة العربية، وتم استعمال كلمة "حاكمية"، ولكن درج الأمر في ادبيات الأمم المتحدة *gouvernance locale*, *local governance* من حوالي عشر سنوات وتعني حسن الاداء. نركز اكثر الأحيان على القوانين والتشريعات والسياسات العامة، وإذا لم تتجح كثيرًا هذه القوانين وهذه التشريعات والسياسات العامة نلجأ الى تأليف لجان والى تغيير القوانين او تعديلها وندخل في تحديث القوانين. لكن المشكلة لا تكون احيانًا في القوانين وفي السياسات العامة وفي التشريعات، انما تكون في تطبيق القوانين وفي مدى ترجمتها في الواقع وفي ما اذا كان الناس قادرين على تطبيقها.

يشدّد الفكر القانوني الشكلي على الناحية القانونية، ولكن هناك ناحية اخرى يجب اخذها بعين الاعتبار وهي فاعلية القوانين اي تطبيقها الفعلي، والأمر يتطلب شيئاً آخر غير القانون، انه يتطلب ممارسة ويتطلب حسن اداء كما يتطلب مراقبة ومشاركة ومبادرة وثقافة، وهذا البعد مهم وهو ما تسميه ادبيات الأمم المتحدة *local governance* و *Gouvernance locale*، اي حسن الاداء بمعنى من يقوم بتنفيذ هذه القوانين وكيفية مراقبة القوانين وإذا ما كانت الناس تشارك في صياغة القوانين وفي تطبيقها وفي مراقبة حسن تطبيقها .

***

نتمتع كلبنانيين بصفات عديدة كالابداع والقدرة على التكيف وتقاليد راسخة في الصمود المدني، ونوع من الذكاء لديه قدرة عالية على التكيف، ولكن هناك قضايا لم يحصل اهتمام جدي فيها في لبنان، اكان على مستوى علماء الاجتماع وعلماء السياسة او على مستوى العاملين الاجتماعيين وهي انه على المستوى المحلي لم يجر احد نقاشاً محلياً.

في البلدات التي قصدناها في برنامجنا لم يجمع احد الناس لمناقشة قضاياهم المحلية. اكثر الامور مسيسة بشكل سطحي، اي اذا دعت العائلة الفلانية ابناء قريتها لاجتماع تمتع عائلات اخرى عن المشاركة بسبب الحزازات والخلافات الانتخابية والسياسية والعائلية. هناك قضايا ليست لزاماً مسيسة كقضية الشارع العام والتشجير والمجارير والبيئة... وفي نفس الحي من القرية هناك ناس من كل العائلات ومن كل الانتماءات السياسية. استغرب كيف لا يقوم شخص ما بجمع هؤلاء الناس لمناقشة القضايا المحلية، علماً ان هذه المسألة باتت جزءاً من التقاليد في بلدان عديدة حيث نجد لجان احياء وديمقراطية القري *Démocratie de*

proximité. امر خطير للغاية ان تكون كافة الامور مسيسة ودون استثناء فحتى الامور الحياتية اليومية مسيسة. اوافق ان يكون العديد من الامور مسيسا اذ ان لها ابعادا سياسية وتتطلب سياسات، ولكن هناك امور عديدة وحياتية يومية وهي بالفعل مشتركة وتتطلب نقاشا عاما وتحتاج ابعادها عن الصراعات السياسية.

لا نقاش محلي جدي. كانت المجالس البلدية معينة ثم اصبحت منتخبة ولكن في غالبية الأحيان لم يتغير شيء في العمق ، يفترض بالمجالس البلدية المنتخبة ان تكون في علاقة مع الناس لأنها منتخبة وهدفها الأساسي الاستماع الى الناس ومعرفة حاجاتهم. كم كان سروري كبيرا في منطقة الجومة بشكل خاص لأن اتحاد بلديات الجومة تعاون بشكل وثيق ومباشر بهذا الموضوع، بينما عانينا في مناطق اخرى من صعوبات جمّة.

على البلديات ان تدخل في هذا السياق من النقاش المحلي. لا نقاش محلي جدي ولا نقاش محلي حول قضايا مشتركة، كم نتحدث عن ميثاق العيش المشترك. المشترك موجود على الأرض ولكنه غير موجود في ادراكنا وفي ثقافتنا وفي ممارستنا اليومية. وهنا اتى برنامج الحكمة المحلية لكي يشرك الناس في العمل المحلي. عندما نتحدث عن اللامركزية فاللامركزية ليست فقط اطارا قانونيا انما الاطار القانوني يسهلها جدا.

نجد عمليا ان كل مشاكل السلطة المركزية موجودة على مستوى السلطة المحلية، اي ان هناك مركزية السلطات المحلية بشكل كبير ، وهذا يعود الى الثقافة السياسية وعدم اجراء برامج لكي يكون الناس بالفعل مستقلين اي يؤثرون ولا يتأثرون ، ولمناقضة مفهوم التبعية.

***

يسعى برنامج الحكمة المحلية الى استنهاض الناس وهذا ليس شعارا . الكلمة الأكثر تداولاً في لبنان وفي المنطقة العربية عامة هي "مش طالع بايدي شي" (عجز عن القيام بشيء ما) علماً انها لا تنطبق على احد اذ انه في اقصى الظروف لا يمكن اعتبار ذلك ، في اقصى الظروف ومنها الأكثر مأساوية، في حال لم يقد المرء بفعل شيء فهو وعلى عكس ما يظهر يكون فاعلاً شيئاً ما عملياً، ألا وهو تسريع الكارثة. لا نستطيع ومهما كانت الظروف ان نقول "مش طالع بايدي شي". خلال سبعين سنة جرى تخطيط مبرمج في الاتحاد السوفياتي القديم من خلال كتب مدرسية ومؤسسات لأدلجة الناس (من ايديولوجيا) وتعبئتهم على الالحاد وعلى النظام

الشيوعي، ولكن الجدة التي كانت تخبر احفادها عن الايمان وعن تراث الاتحاد السوفياتي ربما كانت تعتقد انها عاجزة عن فعل شيء حيال نظام طاغٍ ، ولكن وبعد سبعين سنة هذه الجدة التي ثابتت على اخبار احفادها عن الايمان وعن تراث الاتحاد السوفياتي لا تقل قدرة عن لينين وستالين.

سلسلة تحت عنوان Chers Parents نشرتها جريدة *Le Monde* تضمنت مقابلة مع غورباتشيف تحدّث فيها عن جدته وجدته اللذين زوّدها بهذا الفكر الاصلاحى في الاتحاد السوفياتي. لا يستطيع اي كان ان يقول "مش طالع بايدي شي" فهو حين لا يفعل شيئاً انما يقوم بشيءٍ فظيع الا وهو تسريع الكارثة.

اثناء جولة في سويسرا كنت على مقربة من "بحيرة كليمان". اعتدت على الخروج والتجول صباحاً ، كنت احاول ايجاد نافذة مكسرة او باب غير مطلي او شجرة غير مشدّبة او كيس نفايات غير مقفل بشكل جيد ولكن لم اجد اية غلطة. لا شك هناك شوارع فقيرة في سويسرا ولكن هذا الشارع العام لم اجد فيه اية غلطة. لا يستطيع احد ان يقول انها السلطة المركزية او البلدية تحضر يومياً وتراقب الناس، انه الاعتماد على النفس عند كل مواطن.

هناك ايضاً مثل جديد في شمال لبنان وهو حي الدراويش، افقر احياء لبنان الذي قصده جمعية "فرح العطاء"، ولكنها لم تقدّم له اعانة او مساعدة ولم تطرح مشروعاً عابراً، انما استتهضت الناس لكي يقوموا هم بالمشروع ويشاركوا به ولكي يغيروا في سلوكياتهم. هذا هو مفهوم التنمية الفعلية. لدينا في اللغة العربية كلمتي "انماء" و"تنمية". والتنمية تنبع من الذات. نشأت في افريقيا وآسيا انظمة دكتاتورية على اساس انها تسعى للتنمية ولتحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ولكن كل تجارب الأنظمة الدكتاتورية في العالم وكل الخطط السياسية منذ الخمسينات والتي كانت تهدف الى التنمية الاقتصادية فشلت .

في اساس ادبيات الأمم المتحدة اليوم انك لا تستطيع القيام بتنمية بمعزل عن مشاركة الناس. تستطيعون اليوم مشاهدة حي الدراويش وكيف تم استنهاض الناس وكيف حسّن الناس اوضاع حيّهم، فلم يقتصر العمل على استحضر المشاريع. قال لنا مواطنون في مناطق لبنانية

اخرى: "تنزل علينا المشاريع ولا نعرف كيف". من الضروري ان يشارك الناس في صياغة المشاريع وان يعرفوا اهدافها وكيفية حمايتها والمحافظة عليها والمساهمة فيها.

***

كل سياسة بعيدة المدى هي محلية لأن كل ما هو على المستوى المحلي يدخل في سلوك الناس ويشاركهم بشكل فعلي. اذا قيل لنا ان الاوتوستراد الفلاني ستكون كلفته 50 مليون دولار، لن ندرك معنى ذلك، في حين اذا قيل لنا ان طريقاً محددًا في القرية ستكون كلفته عشرة ملايين ليرة ندرك معنى ذلك، ونستطيع معرفة ما اذا نفذ ام لا وما هي فائدته واذا ما تميزت الممارسة خلال التطبيق بالشفافية، واعرف كم تطلب وقتًا في تنفيذه. اذًا على المستوى المحلي ندخل بالعمق في سلوك الناس وهم يستطيعون فعليًا المراقبة والمشاركة وان يكونوا فاعلين، ويستطيعون ايضًا رؤية التغيير الحاصل وعندما يرونه تتشأ عندهم الحوافز.

حصلت ورشات عمل عديدة في لبنان على الصعيد المحلي، ولكن يمكننا ترسيخ العمل المحلي اكثر ولسنا مبتدئين في هذا المضمار. هناك تجربة قديمة للرئيس شهاب في الستينات بواسطة الـ Equipes Polyvalentes التي كانت تعمل من هذا المنطلق وبنفس الذهنية، ثم جرت اعمال عديدة بعد ذلك. المطلوب هو اعادة احياء هذا التراث في العمل التتموي الجماعي المحلي المباشر.

***

لبرنامج الحكمة المحلية اربعة مرتكزات:

- الاصغاء، ان يتم الاصغاء والحوار على المستوى المحلي. هناك قضايا حياتية مشتركة.

- بلورة الحاجات والاولويات.

- تنمية النقاش المحلي في القضايا الحياتية المشتركة.

- عدم الاكتفاء "بينبغي ويقتضي ويجب"...، انما ان يقوم الناس بتنفيذ مشروع صغير او بمبادرة تصب في اطار الشأن العام، ويكون ذلك تطبيقًا لما يقوله نيتشه: حيث انت انقب بعمق L'ou tu es creuse profondément. لا بأس من طرح السؤال حول قضايا سياسات عامة ومشاريع كبرى، ولكن الذي يسأل: من اين نبدأ: من القمة ام من القاعدة؟ فهو

غالبًا ما يكون كسولاً. رجل العمل يستغل كل الامكانيات ليبدأ من حيث هو ويعمل: حيث انت انقب بعمق.

ان الجزء الأول من الحكمة المحلية والذي صدر في كتاب يصب في هذا المفهوم. قمنا بالورشة نفسها في عشرة مناطق لبنانية في مزيارة وراشيا الوادي وترشيش وحمانا والقبيات ... وبما ان لبنان بلد صغير نسبياً فاذا استنهضت عشرة بلدات في السنة الاولى وعشرة اخرى في السنة التالية يمتد ذلك على كل لبنان ، فلبنان ليس الولايات المتحدة او اوستراليا ، القضية تبدو صعبة في البداية ولكنها عملياً سهلة اذا ما تراكمت الخبرات المحلية وتعممت.

دراسة الواقع الصحي في الجومه

حاتم العلي

أُتُوِّقَ عند ما ورد في كتاب الحكمة المحليّة حول برنامج الحكمة المحلية : " يهدف البرنامج الى تفعيل القدرات الذاتية المحلية من خلال تعريف المواطنين على اوضاعهم العامة في البلدة، سكنية، صحية، اجتماعية، اقتصادية، سياحية، تربية، بيئية، والتشاور حول سبل تحسين نوعية الحياة المحلية مادياً ومعنوياً، والعمل على تنفيذ مشروع مبادرة تصب في اطار المصلحة العامة، ومن خلال المبادرة والتعاون. ينطلق البرنامج من المبدأ التالي : فُكْر شمولياً واعمل محلياً."

انّ الوصول الى تحقيق اهداف هذا اللقاء، هو في اعتبار هذه الجلسة مدخلاً لطرح فكرة الحكمة المحلية من اجل انضاجها. بما ان الموضوع يتمحور حول الواقع الصحي في منطقة الجومة، اطرح على السادة المتكلمين المساهمة في صياغة الأسئلة المتعلقة بالواقع الصحي، فتشكّل هذه الأسئلة العناوين العريضة لورشة العمل الصحيّة، وتكون مادة للنقاش في مؤتمر صحيّ خاص بمنطقة الجومة، باشراف المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم، على ان تشارك في هذا المؤتمر البلديات والمستوصفات والأطباء ووزارة الصحة.

لا بدّ من ان يصل النقاش الى نتيجة وان تكون الأسئلة محدّدة وان نخرج على الأقل بصيغة اسميتها على سبيل المثال "مؤتمر صحي لمنطقة الجومة"، يشارك فيه كلّ الناس. نضع خطة عمل ونسير في اطارها، بحيث تحدّد الأولويات والخطة الشاملة والمتكاملة لمشاركة الأفراد والأشخاص المعنيين، في سبيل وضعها موضع التنفيذ. هكذا يجب ان تشكّل الجلسات مدخلاً للمواضيع المدرجة ولمواضيع اخرى. المطلوب ان يكون الشق الاجتماعي عند اتحاد البلديات هدفاً ومحوراً اساسياً للمستقبل، وتأهيل كادرات تكون مؤهلة للعمل مع الشباب على الأرض.

تطوير البنى الانتاجية كمال خزعل

المحور الصحي مهم للغاية وأساسي. نشكر المستوصفات والهيئات المحلية التي تساهم في مساعدة الناس في القطاع الصحي. انّ الصحة والتعليم هما من مهام الحكومات الأساسية، اي انها اساسيات وعلى الحكومات تأمينها لكل مواطن لبناني.

انّ واقع التخلف الاقتصادي في عكار يدفع الناس الى التوجّه نحو المساعدات الصحية التي تقدّمها المستوصفات او السياسيين. ان استمرار هذا الواقع المتخلف اقتصاديًا في عكار (والجومة جزء من عكار) سوف يؤدّي مستقبلاً الى زيادة الطلب على مزيد من المستوصفات والمزيد من الخدمات الصحية.

الناس لا تجد عملاً وليس لديها دخل معيشي يؤمّن لها الخدمات الصحية او التعليمية الضرورية، او حتى ضمان صحي. من هنا يجب ان يكون توجّه التفكير في المستقبل عند اتحاد بلديات الجومة أكثر استراتيجية ويتّجه الى تحريك اقتصاد المنطقة، بمعنى تطوير البنى الانتاجية الموجودة في المنطقة والتي تعتمد على الزراعة.

ثم ان الافادة عندنا من السياحة هي شبه معدومة مع ان تنشيط القطاع السياحي مهم جدّاً في عكار كما تطوير الواقع الاقتصادي، اي ان يطال التفكير البعيد المدى هذه المجالات، فنحن بذلك نخفّف الضغط وبطريقة غير مباشرة، اي نخفّف حاجة السكان لطلب مساعدات صحية سسياسية تتم المتاجرة بها بكل صراحة، ويقوم السياسيون بذلك في غالبية الأحيان، فتكون لهذه المساعدات في النهاية أهداف سياسية اكثر مما هي انسانية بحتة.

لا بدّ من ان يكون التوجّه عندنا نحو خلق فرص عمل جديدة وتطوير المشاريع الموجودة حالياً، فهذا يساعد كثيراً في تخفيف الضغط، ويعطي الناس القدرة والامكانية بأن تعيش بكرامتها وتكون منتجة، وان تكون قادرة على تأمين هذه الخدمات.

الباب الثالث

القبيات

بالتعاون مع الجمعية التعاونية الزراعية وشبكة الحكمة المحلية في القبيات
قاعة المحاضرات في الكرمل ومدرسة السلام لراهبات المحبة، عين النمر

تنسيق رلى مخايل

المخطط التوجيهي العام لبلدة القبيات

فؤاد الضاهر

بصفتي نقيباً للمهندسين في الشمال يشرفني ان أرعى هذه الندوة استجابة لدعوة المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم وشبكة الحكمة المحلية في القبيات، وأرى من الضروري، بل من الواجب مشاركتي العملية في مسألة أضحت اليوم تتجاوز الى حد كبير الأطر التي رسمتها لها القوانين، مسألة المخطط التوجيهي العام لبلدتي القبيات، والذي يندرج مع بقية المخططات الاخرى ضمن اطار المخطط التوجيهي الشامل الذي هو حالياً موضع دراسة من قبل الحكومة بغية وضع تصور متكامل لكل لبنان.

ان مواكبة النقابة لهذا الموضوع الهام يكتمل بمساندة وتفاعل وتجاوب مؤسسات المجتمع المدني والمجالس المحلية لاسيما نظرة البلدية الشاملة ورؤيتها لمستقبل البلدة، وتعاون المديرية العامة للتنظيم المدني في وزارة الأشغال العامة، ووزارة البيئة وبقية الوزارات والادارات والهيئات الاخرى الممثلة في المجلس الأعلى للتنظيم المدني، بهدف ان تأتي هذه المخططات متلائمة ومنسجمة مع الواقع الطبيعي والديموغرافي والعمراني والاقتصادي والسياحي لترسم حاجات المناطق والتنسيق بينها مراعاة للتكامل الاقتصادي المستقبلي للبنان، بعد الأخذ بعين الاعتبار جميع العناصر الضرورية والمكونة لدراسة ووضع مخطط توجيهي عام، ومن أجل التوصل الى تحقيق هذا الهدف الرامي الى:

***

- أ. السيطرة على تكوين الكتل العمرانية القائمة والمستقبلية.
- ب. انماء المناطق والتكامل فيما بينها حتى بلوغ الاكتفاء الذاتي من مدارس وتجارة وصناعة وزراعة ومستشفيات وسكن الخ...
- ج. الحفاظ على التراث العمراني والبيئي والطبيعي.
- د. زيادة فرص العمل.
- هـ. تحسين وتأمين البنى التحتية والمواصلات لتبني النمو العمراني.
- و. تفعيل خطط جذب سياحية مع الجوار بغية إنعاش المناطق اقتصادياً.

***

لتطبيق مضمون المخطط التوجيهي العام لا بد من وضع آلية تنفيذية:

1. تشكيل هيئة مكونة من أعضاء في المجلس البلدي بالتعاون مع نقابة المهندسين واخصائين وممثلين عن الجمعيات الاهلية ومؤسسات المجتمع المدني، لوضع الاولويات وفق جدول زمني.
2. اصدار القوانين والمراسيم الضرورية بناء على تفهم وتبني المرجعيات والادارات والفعاليات لهذا المخطط.
3. تفعيل اجهزة الرقابة المعنية في حسن تنفيذ وتطبيق هذه المراسيم.

ان دراسة اي تشريع وتنظيم مستقبلي لا بد ان يركز الى دراسة الواقع وأخذ اسبابه بعين الاعتبار، حيث شهدنا خلال الفترات السابقة التي مر بها لبنان من فوضى عمرانية وكتل حجمية من الباطون، وغياب وتقاعس اجهزة الرقابة عن القيام بواجباتها، وتدخل النافذين لمصالح لا تمت الى المصلحة العامة بصلة، والفوضى في التشريع بقصد أو بغير قصد، حيث غيب دور المهندس ودور النقابة وبعض الادارات المعنية، وأدت الى الفوضى وعدم تطبيق القوانين وبالتالي عدم مراعاة عنصر اساسي، ألا هو السلامة العامة، والحفاظ على طابع البلدات والقرى البيئي والتراثي والسياحي والصحي.

من هذه التشريعات، القانون رقم 453، الذي يجيز البناء في عقارات لا تستوفي كافة شروط قانون البناء وفق نماذج معدة سلفاً غيبت مسؤولية المهندس في المراقبة وسلامة الانشاءات، ولم تؤمن متطلبات المواطن والأسباب الموجبة له، حيث أجاز سلفاً بالمخالفة عبر السماح له بتسوية أوضاعه وفق القانون 324، بمفعول رجعي.

أضف الى ذلك تعدي البلديات لصلاحياتها وللقوانين المرعية الإجراء عبر اعطائها تصاريح تخالف مضامين تلك القوانين.

كما لا بد من الاشارة الى ان بعض التشريعات الصادرة لا تتلاءم مع الطبيعة اللبنانية والامتداد السكاني، والحفاظ على البيئة والسلامة العامة، ناهيك عن أسباب أخرى ساهمت في هذه الفوضى.

كل ذلك يدعونا الى مناقشة المسؤولين، كل المسؤولين، لمزيد من التعاون والتشاور لإعطاء البلديات صلاحيات أوسع، وتفعيل دور أجهزة المراقبة والنقابة وتحميلها المسؤوليات الناجمة عن سوء التطبيق. كما نناشد المسؤولين الى تنظيم جميع المهن العاملة في مجال الدراسة والتنفيذ عبر وضع الشروط والأطر الآيلة الى رفع المستوى الذي لا يتحقق الا من خلال نظرة واقعية للأمر ترمي الى الحفاظ على الملكية الفردية وحقوق الدولة والمواطن وتسهيل المعاملات الادارية بتأمين اللامركزية الادارية.

كما نتمنى تدخل الفعاليات ايجابيا لعدم حماية المخالفين وبالتالي زيادة المخالفة، مع تأييدنا لصدور تشريعات تسهل وتساعد المواطن على احترام القوانين دون حاجته للجوء الى المخالفة، ومسح كافة الاراضي اللبنانية وتعديل قانون انتقال الملكية مع مراعاة الوضع الشائع للملكية، كما الإسراع في اقرار قانون البناء الجديد، ومراعاته لشروط السلامة العامة والصحة والبيئة وحقوق المعوقين.

***

لا بد من توجيه شكر خاص الى معالي وزير الاشغال العامة والنقل الاستاذ نجيب ميقاتي الذي لم يأل جهداً في هذا المضمار وبإعطاء النقابة الدور الذي تستحقه واهتمامه عبر تبنيه بنظرة واقعية لكل التشريعات والمنكرات.

كما نشكر مديرية التنظيم المدني عبر سعادة المدير الصديق المهندس جوزيف عبد الأحد، في اصدار المذكرات والتعاميم الضرورية التي ساهمت وتساهم في تصويب التقيد بحسن التطبيق.

كما لا بد من الاشارة الى التعاون الايجابي والمثمر مع وزارة البيئة، خاصة سعادة المدير العام الدكتور برج هاتاجيان، كما سائر الوزارات والمديريات المعنية الاخرى. لا بد من التوجه الى رئيس واعضاء المجلس البلدي في القبيات أملين المزيد من المشاركة الفعالة في انجاح وضع وتطبيق المخطط التوجيهي العام.

كما أتوجه بشكل خاص لمهندسي القبيات، أهل الاختصاص وأصحاب الرأي الفني، في المبادرة الى وضع خبراتهم وعلمهم في خدمة بلدتنا، وإننا على استعداد، كقنابة، لوضع كامل امكانياتنا العلمية والبشرية في تصرف المعنيين من اجل انجاح وانجاز هذا الهدف الذي يساهم في نمو ونهضة البلدة بشكل منظم، ثمرته قدوة للبلدات الاخرى. كما نتوجه الى جميع مؤسسات المجتمع المدني والفعاليات للتعاون لما فيه المصلحة العامة.

***

لبنان الذي نريده درة الشرق، وراية العلم والمعرفة، حامي الحريات والكلمة، حاضن حضارات، جامع ثقافات شرقية وغربية، بلد الجمال الطبيعي، بلد الحرف، لا بل بلد الانسان. كل ذلك لا يمكننا الحصول، لا بل الحفاظ عليه إلا بوعينا وبتكاتف جهودنا وتغليب لغة العلم والاختصاص، لأن المصلحة الخاصة تأتي نتيجة تفضيل المصلحة العامة، ولأن استقرار السكان في قراهم وبلداتهم دونه مقومات اقتصادية وعمرانية وثقافية وبيئية نسعى من خلال الانماء المتوازن، والتنمية المستدامة، والاكتفاء الذاتي والتفاعل والتكامل مع الجوار في اطار خطة شاملة تكاملية في لبنان. الى تشبث المواطنين بأرضهم، وتوقف الهجرة الداخلية، وربما الخارجية، لأن أهم ثرواتنا هي فكرية، وثقافية، وجمالية، وسياحية، وبيئية. فبقرارنا الصحيح ووحدتنا القومية، ووعينا الراسخ، وحرية قرارنا باختيار الأنسب، يجعلنا نذلل العقبات ونرقى الى سلم التقدم وال عمران. هكذا نستحقه وطننا للفكر والعلم والقلم والحرية، وطن الانسان.

دور البلديات ومسئوليتها في التنظيم المدني*

جوزف عبد الأحد

ان العديد من البلديات مسؤولة عن الخلافات القائمة بين رؤساء البلديات والأعضاء وبين الأعضاء في ما بينهم ، نتيجة الرموز السياسية التي دخلت على البلديات ، وتبين في النهاية ان هذه البلديات ليست فعّالة . نتمنى ان تكون البلديات على مستوى المسؤولية وتتمتع بالرؤية والكفاءة، لكي تأخذ عنّا حملاً فتقوم هي بالتنظيم ونكون نحن مرشدين او مشاركين معها. نعتبر نفسنا كتنظيم مدني، حتى في ضوء السلطات المحدودة للبلديات، نعتبر اننا اجهزة بديلة للبلديات، وكل عملنا هو للبلديات . نتمنى ان تصل البلديات الى المستوى الذي يؤهلها لأن تقوم هي بأعمالها كما نفعّل نحن . لسنا مع السلطة المركزية السلطوية ولا نسير بهذا المنطق ، كما ان عملنا لا يتّصف بهذه الصفة على الاطلاق .

1

المخالفات

هناك أخطاء كثيرة في البلديات ناتجة ربما عن رئيس البلدية والأعضاء . لمن نشككي وكيف نوقفهم عند حدّهم ؟ لا شك ان كل مواطن خفير . نحن نقول : الدولة الدولة . ولكن الدولة هي جزء منا ، ونحن كمواطنين اتينا بالدولة ويجب ان نكون كلنا خفراء . كل مواطن خفير . في حال تعرّضتُ كمواطن للأذى من رئيس البلدية ، من الممكن ان ألتجئ الى المسؤولين المولجين باعطائي حقي. في حال اساءت البلديات معاملة المواطن ، فما عليه الاّ التوجّه الى ادارة التنظيم المدني لتعيد له حقه. في ما يتعلق بالمخالفات، انا ضد وضع اشارة

* ان النص هو موجز مداخلة شفوية ونقلا عن آلة تسجيل تولت تفريغها السيدة ارليت سعاده ابي نادر.

مخالفة اذ ان ذلك يكبل المواطن. يكفي ان يعلمني المواطن بالمخالفة، حتى عبر الفاكس وبدون توقيع وانا اقوم بالتحرك واثقق من الشكوى ؛ فأضع اشارة مخالفة حيث يجب ، وفي حال وصلتني شكوى ضد البلدية أرسل التفتيش وأعلم وزارة الداخلية والبلديات بشخص مدير الشؤون المحلية المسؤول عن البلديات . وشخصيًا انا موجود كل يوم اثنين في مكنتي اتلقى الشكاوى جرياً على العادة منذ تسلمي مهامني في المديرية كمدير عام ، استقبل المواطنين دون موعد مسبق . حتى اني مستعد خلال الأسبوع لاستقبال كل مواطن لديه شكوى ، وأتمنى مراجعتها والتحقيق بها لأصوب الأمور كما يجب وفقاً للقوانين . ومن لا يتمكن من المجيء الى مكنتي بإمكانه ارسال فاكس على الرقم: 01 / 606309 ، فأتحرك وفق ما يجب ، على أمل ان نكون على مستوى المسؤولية، وأن نكون عند حسن ظن المواطنين في تحركنا وفي تصويب الأمور. لا يعقل ان نترك شخصاً في موقع المسؤولية يستبد بأمر الناس ويكون الحاكم المطلق، يلبي اقاربه واصحابه ويعيق تحرك من لا يعجبه فيحول دون تطبيق القانون. خاصة وانه بإمكان رئيس البلدية التدخل في الرخصة وفي الأمور القانونية وتعطيلها . لذا نحن على استعداد للتجاوب مع كل مواطن.

2

فرز الأراضي الزراعية

نحن نشدد في ما يتعلق بالافرازات في المناطق الغير منظمة التي ليس لها مخططات تنظيمية، وذلك كي لا نحول المناطق الزراعية والحرجية الى مناطق عمرانية. ان مجرد السماح للمالك بافراز عقار كبير الى قطع صغيرة ، يعني السماح له بتحويل هذه المنطقة الى منطقة عمرانية . لذلك نشدد كثيراً حتى وان لم تكن المنطقة حرجية او زراعية ، وان كانت بعيدة عن القرية نقوم بتخفيض عامل الاستثمار بشكل لا يسمح للمواطن ببناء اكثر من مستويين (طابقين). هناك اشخاص يسعون للتهرب من تصنيف مناطق معينة منطقة حرجية، فيلجأون الى احراقها او يقومون بمعادلة... وقد حصل ان قصدنا شخصاً مهم جداً لهذا الغرض فرفضنا طلبه ، موضحين انه عليه ان يقوم بافراز زراعي . فعمد الى احراق بستانه ، وحين قصدناه لاحظنا

انه كان مزروعًا كما كل محيطه ، فرفضنا افراز الأرض إلا افرازًا زراعيًا . ويقضي الافراز الزراعي بالأقل مساحة كل قطعة تنتج عن الافراز، عن 10 آلاف متر مربع، ويكون عامل الاستثمار فيها 5 % فقط، اي ان هذه الأراضي ليست للاستثمار العمراني انما تبقى زراعية. بمعنى انه مهما فعل نستطيع ضبطه في اية معاملة اذ سوف تمر حكمًا عبرنا. وعلى ضوء الصور الجوية والفيوتومونتاج التي نطلبها، وعلى ضوء الكشف المحلي نستطيع وضع اليد عليها.

لكن من يجازي الذي حرق البستان؟ هناك سلطات مختصة تلاحق هذا الأمر ، نحن كتنظيم مدني لسنا سلطة امنية ، هناك وزارة الداخلية فيمكن توجيه شكوى اليها لكي تقوم بما يجب . ولكن ذلك لا يعني انه متى أحرق المواطن ارضه حولها بذلك من منطقة خضراء الى منطقة عمرانية .

هناك تشديد في عملية الافراز في المناطق الغير منظمّة ، فالحرش لا نفرزه ، والمنطقة الزراعية تخضع للافراز الزراعي . اما المنطقة البعيدة عن محيط القرية فلا نفرزها لأنه بمجرد فرزها سوف يطلب احد مالكي الأرض من البلدية تأمين طريق الى عقاره وشقّه وتعبيده ، وتُصرف بذلك كل اموال البلدية لمتمول واحد هو الذي يملك هذا العقار .

3

قانون المباني

بالنسبة للبناء ربما نتعامل بقسوة وتحصل مراجعات ، ولكن ضميرنا مرتاح . من عشر سنوات كنت اقول للمدير القديم لو اننا نتمكن من ايقاف الافرازات في المناطق الغير منظمة ، لكي نحد من فرز الأراضي بشكل عشوائي ، والذي ينتج عنه خلق مناطق مبنية داخل مناطق لا تصلح للعمران . ان مقولة الأرض ضيقة ولا مجال فيها للعمران غير صحيحة ، هناك مناطق شاسعة صالحة للعمران. المناطق الخضراء هي متنفس ضروري لنا، وقد جرى الحديث عما نتكبد من اموال لحماية البيئة ولمعالجة الأمراض الناجمة عن انتهاكاتنا للبيئة. نحن مع البيئة الطبيعية ومع البيئة العمرانية المميزة ونشجعها على ألا تتجه باتجاه الأحرار والمناطق الزراعية.

في ما يعود لقانون المباني رقم 453 وحين كنت رئيس مصلحة في التنظيم المدني تمّ تلزيم عدة مكاتب هندسية معمارية لاعطائنا نتائج. لا اعرف ماذا حصل حينها فصدرت النتائج على الشكل الحالي . نحن نحافظ على جمالية المباني , وحددنا ان كل مشروع بمساحة اربعة آلاف متر مربع وما فوق لا تسجله نقابتي بيروت والشمال الا بعد حصوله على موافقة من المديرية العامة للتنظيم المدني، موافقة من الناحية المرحلية، اي انه على صاحب المشروع تقديم تصميم ترتيبى Avant-projet et maquette d'étude وتدرس الناحية المرحلية للمشروع وتأثير المشروع على المحيط ، واذا لم يكن منسجماً نُطلع صاحب المشروع على النواحي التي نراها غير منسجمة مع الناحية المعمارية ومع المحيط، فيصحّحها مرة وأثنين وثلاث والعديد يصحونها اكثر من ذلك، ليس لأننا تعسفيين انما لأن المهندسين الذين يقومون بالدراسة ليسوا على المستوى المطلوب وللأسف، او يكون المهندس المهتم مهندساً مدنياً فنطلب منه العمل بالتنسيق مع مهندس معماري.

العديد منهم كان يشتكي ويصل بعضهم في شكواه الى رئيس الوزراء ، فنقول لهم اننا لا نسمح بهذا المشروع كما هو عليه ، فيعودون بعد تعديله ليشكرونا اذ يرون ان المشروع اتى مميّزاً بعد تعديله.

تهمنا الناحية المعمارية جداً. نتمنى ان يتوقف العمل بالقانون 453 لأنه يفتح الطريق للمخالفات. هناك بلديات لا زالت تعمل مع بعض القائممقامين والمحافظين على قانون 42 الذي كان يسمح بالمخالفة وقد الغيناه لأن نتائج تطبيقه كانت سلبية، والمواطن معتاد على التفكير بمصلحته الخاصة فقط بمنأى عن كل شيء. في حال قبلت السلطة المحلية بمشروع ما، فمعنى ذلك انها تعتبره جميلاً. ان لم يعجبني المشروع ارفضه من الأساس واكّلف شخصاً يمتاز بالحس المعماري ليعيد لي مشروعاً مميّزاً . انا ضد قانون 453 للمباني .

قدّم العديد من النواب مشاريع قوانين بهدف أحداث ثغرة لفتح باب التشريع . نحن كتنظيم مدني وبالمشاركة مع نقابتي بيروت وطرابلس نقف ضد اي تعديل او مشروع لقانون التسويات . نحن لسنا سلطة تشريعية ، وربما يستطيع مجلس النواب ان يفعل ما يشاء ، ولكن نستطيع على الأقل ان نقول رأينا بالصوت المرتفع: نحن ضد التسويات . فاما ان تكون هناك دولة تطبّق فيها القوانين او فليترك المواطن على مزاجه يبني كما يشاء ثم نعد الى تسوية ذلك . نتهم المواطن الذي يحترم القانون بالغباوة لأن مواطناً آخر خالف ولم يحاسب. واليوم نتحدّث عن قانون تسويات ونسمح بطوابق جديدة، وتتم المطالبة بطوابق جديدة على اساس ان هناك ما يسمى قانون تسويات يمكن ان يصدر، ولكن لا يصدر كل 5 أو 6 سنوات قانون تسويات.

نجحنا خلال ثلاث سنوات بتسكير ما يسمى فتح نافذة على قانون التسويات، ونحن مستمرين على هذه الفكرة، وعسى ان نحظى دائماً بالنتيجة نفسها في ايقاف كل ما يسمى قانون تسويات المخالفات. ان قانون تسويات المخالفات الحالي رقم 324 الذي يسوي المخالفات الحاصلة قبل 1994/1/1 يجيز لرئيس البلدية اعطاء تاريخ الانجاز الذي يتغير بتغير الأحوال الجوية لتخفيف المدفوعات ... رغم ذلك يسمح القانون 324 بالتسوية حتى لمن يخالف حالياً. وانا آتية بمرسوم ليحصل على التسوية لكل مخالفة حصلت بعد 1994/ 1/1 وهي تلزم صاحب المعاملة بدفع الغرامات والرسوم مضاعفة عشر مرّات، اي اذا كلف الطابق 400 تكلفه التسوية اربعة ملايين. لا احد اذاً يطلب تسوية بموجب قانون 1994. فيطالب بقانون جديد ونحن ضد صدور قانون جديد , كما نحن ضد الطابق الاستثنائي 6/ 80 وملحقته (طابق المر) ولكننا اقنعنا الباقيين بأن هذا العمل ليس عملاً تنظيمياً ان من ناحية السلامة العامة او من ناحية الصفة الحتمية او من الناحية التنظيمية. عسى ان نتمكن من ضبط الأمور وهذا ما سنسعى اليه دائماً، فهذه قناعتنا وفي حال لجأوا الى الضغط فكل يتحمّل مسؤوليته ، انما نكون قد قمنا بواجباتنا وفق قناعاتنا.

التعاون مع القطاع الخاص في قضايا البيئة*

برج هتاجيان

نشكر المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم على ما تزودنا به من معلومات قيّمة، وأود ان اتطرق الى الموضوع الذي ذكره وهو تفاعل الانسان مع الجغرافيا. هذا الموضوع جوهرى وأساسى في التعايش مع البيئة.

ان تنظيم استعمال الأراضي هو اداة للمحافظة على سلامة البيئة . تكمن المشكلة الأساسية في عدم تواضع الانسان . الانسان ككائن حي هو غير متواضع ، ويعتقد انه مسلط على كل الكائنات الحية الاخرى ، يتصرف بها ويديرها كما يشاء وبما يتناسب ومصالحته الشخصية والجماعية.

الانسان هو اضعف الكائنات الحية . لو عدنا الى تاريخ الكرة الأرضية نجد ان الانسان هو آخر كائن حي خلق على الأرض بعد كل المخلوقات الحية . واذا تحدثنا عن انتشار الانسان على الأرض نلاحظ انه الأقل انتشاراً على الكرة الأرضية مقارنة مع باقي الكائنات الحية . نتحدث عن موضوع العولمة وعن قدرة الانسان على الانتقال من نقطة الى اخرى على سطح الأرض، فنلاحظ ان كائنات حية كثيرة ، منها الطيور ، قد قامت بهذا العمل قبله بألوف السنين. اذا توقّفنا عند القدرة على التحمل نلاحظ ان الانسان هو اقل الكائنات الحية قدرة على التحمل. اذا تحدثنا عن طول الحياة والعمر، فربما نجد ان الانسان هو من الكائنات الحية التي تعيش اقل من غيرها. الأرزة تعيش ثلاثة آلاف سنة والسلفاة تعيش 140 سنة. واذا نظرنا الى موضوع الأمراض فالانسان هو من الكائنات الحية التي تتعرض الى أكبر عدد من الأمراض مقارنة مع باقي الكائنات الحية . واذا نظرنا الى تأثير عناصر البيئة نجد ان الانسان هو اكثر كائن حي

*. ان النص هو موجز مداخلة شفوية ونقلًا عن آلة تسجيل.

مدمر للبيئة . وفي موضوع الاعتماد ، يعتمد الانسان على الكثير من الكائنات الحية بما فيها النبات الذي لا يعتمد على الانسان . والانسان هو الأقل انتشارًا في العالم ، فاذا نظرنا الى الكائنات الحية الأخرى وتحديدًا النبات نجد انها اكثر انتشارًا منه. ونحن نصعد الى القمر والى المريخ بحثًا عن وجود البكتيريا والكائنات الحية الأخرى. ونعتمد في الطب وفي الاختراعات كلها على ما ورد في الطبيعة من نماذج.

حان الوقت لأن يتبع الانسان مسيرة التواضع، مسيرة المسيح، ليتمكن من التآلف مع نفسه ومع الطبيعة. وفي القرآن الكريم ايضًا آية تقول: اما الكائنات الحية الأخرى فهي امم مثلكم. هناك دعوة في كل الأديان السماوية الى التواضع والى الانخراط في البيئة وفي الطبيعة، والافتتاح بأننا نحتاجها اكثر مما نحتاجنا.

وإذا ما ربطنا هذا الموضوع بموضوع تصنيف البلاد عامة في ما يعود للتنمية الانسانية ، فلأن كل محاولتنا هي بهدف تأمين بيئة أفضل ونوعية حياة افضل للانسان. في خطاب القسم تطرّق فخامة رئيس الجمهورية لموضوع أساسي فقال : لا يجوز ان يكون الفقر مانعًا للعلم، لا يجوز ان يكون الفقر مانعًا للصحة ، لا يجوز ان يكون الفقر مانعًا للعمل ، ولا يجوز ان يستمر الاجرام البيئي . هذه الامور هي اذا: التربية، الصحة، العمل (وهو مؤشر اقتصادي) والبيئة التي هي من مبادئ ومن اسس المواضيع التي ذكرت، ولا اقتصاد من دون بيئة، والاقتصاد العالمي بأجمعه ينطلق من الموارد الطبيعية.

***

ما علاقة هذا الموضوع بموضوع بحثنا ؟ سأحاول ربطه لاحقًا. لبنان هو الرقم 62 من 162 دولة في التصنيف الدولي لتنمية الانسان . ورقم 17 من 78 دولة من الدول ذات الدخل المتوسط . ورقم 7 من 22 دولة عربية . هذا التصنيف لا بأس به ، ولكنه يُبنى على المحاور التي ذُكرت في خطاب القسم ، اي مستوى التربية والصحة والاقتصاد ونوعية البيئة. لو دخلنا في تفاصيل الترتيب الدولي نلاحظ ان لبنان هو الرقم 106 من 142 ، مما يعني ان العنصر او المؤشر البيئي هو من المؤشرات التي تخفّض معدل تصنيف لبنان بين الدول ككل. وقد اوضح مؤشر دافوس للاقتصاد سبب تصنيف لبنان في المرتبة 106 من 142، وقد قال ما يلي: قد اخفق لبنان في المواضيع التالية:

1. استعمال الأراضي وإدارة المياه.

2. تلوث الهواء.

3. التعاون مع القطاع الخاص.

وعلى ذكر التعاون مع القطاع الخاص، هناك سبب سأطرق إليه بصورة وجيزة. من الواضح ان موضوع استعمال الأراضي هو موضوع محوري في حياة الانسان وفي نوعية حياته. وما يقوم به التنظيم المدني بالشراكة مع كل الادارات ومع مجلس الانماء والاعمار وفريق عمل دار الهندسة ... هو امر اساسي لتحسين نوعية الحياة في لبنان والتخفيض من تدهور البيئة وتدهور الموارد الطبيعية ، وبالتالي تدهور صحة الانسان ونوعية الحياة.

***

في لبنان ومن جراء غياب استعمال جيد للأراضي، ومن جراء تلوث المياه الناتج عن الاستعمال العشوائي للأراضي؛ اي الجور الصحية والمجارير التي تتدفق في اتجاه واحد وتترك في منطقة واحدة و700 مكب عشوائي للنفايات المنتشرة على كل الأراضي اللبنانية، ان كل ذلك يلوث البيئة ويؤثر على صحة الانسان.

في دراسة وضعتها وزارة البيئة تحت عنوان: " واقع البيئة في لبنان " تبين ان هناك في لبنان ما يقارب الـ14 مليون دولار انفاق على صحة الأطفال بين عمر سنة وخمس سنوات وعلى مشاكل الجهاز الهضمي عندهم، و7 مليون دولار ايضاً لشراء مياه معلبة نظيفة. حجم هذا الانفاق كبير جداً على الاقتصاد اللبناني. وهكذا دواليك بالنسبة لتلوث الهواء الذي تبلغ كلفته على الصحة العامة في المدن، وتحديداً في بيروت الكبرى، ما يقارب الـ10 ملايين دولار كحد أدنى لمعالجة المشاكل الرئوية فقط دون ذكر المشاكل الصحية الاخرى التي تنتج عن هذا التلوث. حان الوقت لتنظيم هذا الموضوع ولمعالجة مشاكلنا بطريقة موضوعية وبطريقة تؤمن استدامة الانسان وتؤمن استدامة اللبناني في ارضه الجميلة.

***

انّ التعاون مع القطاع الخاص اساسي وسوف اعرض لموضوعين يؤثّران كثيراً على نوعية حياتنا: المياه المبتذلة والنفايات. ليس من حل لهتين المعضلتين الا بالشراكة (كما ذكر احد المشاركين). لا تستطيع منطقة القبليات حلّ مشاكلها دون ان تتشارك مع الجيران والعكس

صحيح. كل قرية ترفض استقبال نفايات ومجارير جيرانها وهذا التفكير سوف يؤدي الى خراب جميع القرى في لبنان.

لننسى الأمور قليلاً. نقوم ببناء محطة تكرير ونزودها بالمجارير. لكنها تحتاج للتشغيل فمن سيقوم بهذا الأمر؟ الادارات المركزية عاجزة عن التوظيف، والبلديات عاجزة عن الانفاق على هذه المحطات بطريقة دورية، وكلما صغّرنا المحطة كلما اتت الكلفة مرتفعة على الشخص. من سيدفع كلفة التكرير؟ هناك مبدأ اعتمد في اتفاقية ريو في قمة الأرض التي عُقدت في البرازيل سنة 1992، وهو مبدأ الملوث يدفع. اي كل شخص مسؤول عن النفايات وعن المياه المبتذلة التي ينتجها. وفي نهاية المطاف، عند معالجة النفايات هناك كلفة وعلى احدهم ان يدفعها. فمن يكون؟ الحكومة؟ نحن لا نميز في هذه الأمور، ولكن هناك مبدأ يقول بأن الملوث أي من ينتج هذه النفايات وهذه المياه المبتذلة مُجبر على دفع كلفتها. ومن هذا المنطلق يجب ان نُشرك القطاع الخاص.

هذا ما حصل في البلدان المتطورة اكثر من لبنان على هذا الصعيد، حيث تشارك القطاع العام مع القطاع الخاص للتوصل الى خلق ادارات مشاركة. اي نؤسس مصنع نفايات يتقاضى عن نقل نفايات معينة اليه كلفة محددة على كل طن، بغض النظر عن قيمتها، فنحن نتحدث عن النسب، لنقل 10 \$ كلفة طن النفايات. يدخل هذا الطن الى المعمل ويخرج منه على شكل سماد عضوي للتربة له آليات ومعايير محددة ويتم فحصه. من الـ 10 \$ التي أنفقت على المعالجة نستطيع استرجاع 5 \$ عن طريق بيع السماد، ولكن من اين تأتي بالـ 5 \$ المتبقية؟ على القطاع الخاص المشاركة في تشغيل هذه المعامل، لأن القطاع الخاص يمتاز بسرعة التحرك والتوظيف وبسرعة استقطاب الخبرات اكثر من البلديات ومن الادارات العامة. والادارات العامة بشراكتها مع القطاع الخاص تضطر ان تضع تشريعات تؤمن امكانية استمرار هذه المعامل ومراقبة تنفيذ هذه التشريعات.

أخفق لبنان في هذه المواضيع بسبب عدم مشاركته مع القطاع الخاص في تنظيم البيئة كما يحصل في كل بلدان العالم. فنحن لا نخترع اجمالاً انما نحاول استقطاب أفكار من الخارج ونقولها وفق حاجات لبنان وامكاناته.

ورد في المداخلات ان ثروتنا هي فكرية وجمالية وسياحية وثقافية وبيئية. لو امعنا التفكير نجد انه لدينا موردين اساسيين، فان كانت المملكة العربية السعودية تتنبه لبترونها وتحاول ان تقوم باقتصاد بترولي، وجنوب افريقيا يعتمد على المناجم، وشرق اوروبا على الحديد والمعادن بشتى أشكالها، فلبنان يملك المياه والبيئة. وكلنا يعلم من خلال أسفاره ان البلدان الأخرى هي ايضاً جميلة ولديها اخضرار وبيئة جميلة، انما الميزة الأساسية في لبنان هي تركيز بيئتنا على 10452 كلم مرّيع. نستطيع ان نرى قمة جبل كما ساحلاً ونهراً وبحيرة ووادياً وأرضاً خصبة كما سهلاً متصحراً، تتوفر كلها على هذه المساحة الصغيرة.

لدينا تنوع بشكل غريب في لبنان هو اساس ثروتنا البيئية. ويصدر عن هذا التنوع البيئي تنوع ثقافي، لأنّ اهل الجبل يفكرون بطريقة تختلف عن طريقة اهل الوادي، وثقافة الوادي تختلف عن ذهنية الشاطيء والى ما هنالك... . من هنا دور التنوع الثقافي لدى لبنان في موضوع تنوع البيئة وتأثيره على حياة الانسان وعلى كيفية تأقلمه، وجلب أفكار جديدة لمجتمع لم يتطرق لهذه الأنواع في نمط الحياة. بالاضافة الى الثقافة النابعة من تعدد الأديان في لبنان ومن تعدد الثقافات التي توالى على الأرض اللبنانية.

الأمر واضحة أمامنا، يجب الترفّع عن المصالح الشخصية والتفكير بما هو ابعد بقليل من الغد، ووضع مخططات توجيهية في كيفية استعمال الأراضي في لبنان لكي تنظّم عملية التعااطي مع البيئة التي هي أساس حياتنا اليومية.

اطلاق المخطط التوجيهي الشامل للأراضي اللبنانية*

فؤاد عواضه

المخطط التوجيهي الشامل للأراضي اللبنانية قديم نسبياً، كونه ورد في قانونين: قانون مجلس الانماء والاعمار سنة 1977 ، وقانون التنظيم المدني سنة 1983. ورد في قانون مجلس الانماء والاعمار أنّ على مجلس الانماء والاعمار وضع مخطط يكون هو الاطار العام لسياسة التنظيم المدني في لبنان، ويعرضه على مجلس الوزراء للموافقة، وقد تمّ وضع هذا الاطار. اما قانون التنظيم المدني فيقول أنّ المخططات التوجيهية والأنظمة التفصيلية توضع ضمن اطار المخطط الشامل. وهذا امر طبيعي، فحين ننظر الى وضع منطقة اثرية معينة او بلدة او قرية او مدينة ندرك ما يحصل في بلدة اخرى، وما هي توجهات الدولة بالنسبة للمناطق.

ورد اطلاق الاعداد للمخطط التوجيهي الشامل في البيان الوزاري للحكومة الحالية، ولم يطلق العمل في هذا المخطط التوجيهي الشامل لعدة اسباب ، تتعلق في غالبيتها بمواضيع حماية البيئة من جهة، والانتقادات التي تتعالى ضد الانتشار العمراني العشوائي من جهة ثانية. لهذا المخطط وجهان احدهما هو اطار لسياسة التنظيم المدني، اي انه يُترجم في ما بعد عبر نوع من تصنيف عام للأراضي اللبنانية، والوجه الآخر ان يكون المخطط التوجيهي الشامل مرجعاً جغرافياً للسياسات القطاعية في الدولة اللبنانية. عند الدولة سياسات خاصة بالطرق والصرف الصحي والمياه والكهرباء والمرافئ والمطارات ... وكلها تتم على أساس قطاعي. وهذا امر طبيعي، اذ إنّ الدولة منظّمة على اساس وزارات، تعمل بالتنسيق مع مجلس الانماء

*. ان النص هو موجز مداخلة شفوية ونقلاً عن آلة تسجيل.

والاعمار. ولكن هذا المجلس ايضاً يعمل على اساس قطاعي، وسوف تشكل هذه الخطة المرجع الجغرافي الموحد لكي تسيّر الاثنتين بشكل متوازٍ.

بدأ العمل بالمخطّط التوجيهي الشامل في آذار 2002 على أساس ان يتمّ على ثلاث مراحل. المرحلة الأولى هي مرحلة تشخيص الأوضاع الراهنة التي ينتهي العمل بها حالياً. والمرحلة الثانية هي وضع مسودة لهذا المخطّط تُعرض على مجلس الوزراء في صيف 2003. والمرحلة الثالثة تبدأ خريف 2003 وتنتهي مطلع 2004 وهي وضع الوثائق النهائية وقرار المخطّط.

***

سيرتكز هذا المخطّط على توجّهات اقتصادية اجتماعية للبلاد. هذه التوجّهات هي طموحات للبنان، ومن الممكن ان يتفق عليها الجميع. لن أنكرها بتفاصيلها، انما هي تركز ايضاً على معطيات حول التحديات المقبلة، اكانت اقتصادية او اجتماعية، من حيث زيادة السكان، او تحديات عمرانية من حيث زيادة المساحات المبنية في هذا البلد. يقال ان الانتشار العمراني في لبنان خلال الـ 35 او 40 سنة الأخيرة، لم يوازٍ فقط بل ضاهى كل المناطق التي كانت مبنية قبل سنة 1960. في حدود سنة 1960 كانت البقعة المبنية في لبنان منتشرة على مساحة توازي حوالى 250 كلم مربع، وهي التراكم العمراني لكل السنوات ما قبل الفينيقيين وحتى سنة 1960. سنة 2000 وصلنا الى 600 كلم مربع بين باطون واسمنت. وهذه الحركة لا زالت مستمرة، اي ان العمران يأكل سنويًا حوالى عشرة كلم مربع من الأراضي الزراعية والأراضي الطبيعية.

على أساس هذه التحديات والطموحات يتم وضع هذا المخطّط. وهو لن يدخل في تفاصيل حقوق البناء. اي اذا اخذنا منطقة كالقببات، فهو لن يدخل في عوامل الاستثمار والبناء وما شابه في القببات، بل سيكتفي بالمستوى الوطني من المصلحة العامة، اي المصلحة العامة بنظرتها الوطنية وليس بنظرتها البلدية او المناطقية. بمعنى، في موضوع تصنيف الأراضي على مستوى المخطّط التوجيهي الشامل من الممكن ان يلحظ هذا التصنيف - ويرجّح ان يلحظ - مناطق تواصل الغابات والأحراش، وعلى الأرجح ان تطل المنازل. وربما يلحظ مناطق معرضة لأخطار طبيعية، لا يجوز ان يكون فيها انتشار سكاني او سكني اونشاطات، فلا

يشجّعها. اي يمكن ان يلحظ النواحي البيئية، وتوصيات عديدة تؤثر في ما بعد على السياسات المحليّة التي ستوضع. من الممكن كذلك ان يلحظ وجود مناطق وديان عظمى. يقال ان هذه الوديان، ولأسباب متعدّدة سياحيّة وبيئية وزراعية، من المفترض حمايتها من العمران، ويفترض ايضًا ان يتميّز العمران المحازي لها بمواصفات تسمح بسياسة سياحية معقولة، اي ألا يكون البناء عشوائيًا. كما يمكن ان يبحث في بعض المدن بزيادة الكثافات الموجودة في هذه المدينة او تلك. وحتى من الممكن ان تقضي المصلحة العامّة بزيادة وتماسك هذه المدن عوضًا عن انتشارها على طول الطرقات الرئيسية. لذلك لن يحصل تدخّل من المخطط التوجيهي الشامل في الأمور المحليّة التي على أهالي القبيات وبلديتها ان يتعاونوا مع التنظيم المدني لدعمها.

يتم بحث المخطط التوجيهي الشامل بنظرة تستيق المستقبل نوعًا ما، وتأخذ بعين الاعتبار المركزية التي لا بد منها يوماً ما والمبادرة المحليّة. بمعنى انه على الحكومات ان تحدد سياستها بنفسها وان تحدد ماهي متمسكة به. وعلى المواطن ان يساهم اكثر فأكثر في سياسة التنظيم والعمران في لبنان. وهذا الأمر يتم حاليًا بوصاية المديرية العامة للتنظيم المدني.

شبكة الحكمية المحلية

جوزف زيتوني

يسرنا، نحن الشبكة الحكمية المحلية في القبيات، ان نرحب بالدكتور انطوان مسره منسق الابحاث في المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم، وبالمنسقة المحلية للندوة السيدة رلى مخايل اللذين احاطا القبيات باهتمامهما وذلك بتكملة مشروع برنامج الحكمية المحلية التي كانت المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي قد باشرته السنة الماضية في القبيات بالتعاون مع المؤسسات الرسمية والفاعليات السياسية والجمعيات الاهلية حيث تم عرض اوضاع هذه المؤسسات من خلال ممثلها في الندوة بهدف تعريف المواطنين على أوضاعهم العامة وتحسين نوعية الحياة وتنفيذ مشاريع بالمبادرة والتعاون بين مختلف القوى في البلدة. كما نرحب بالاستاذ فؤاد ضاهر نقيب المهندسين في الشمال متمنين له النجاح في مهمته الجديدة.

ونرحب ايضا بالسادة المهندسين الذي لبوا دعوتنا للمشاركة في هذه الندوة متمنين ان يأخذوا موضوع "نحو مخطط توجيهي عام لبلدة القبيات" بجدية ومسؤولية وان يساهموا في وضع رؤية واضحة ومخطط تفصيلي لبلدة القبيات لنصل معا الى وضع هذا المخطط موضع التنفيذ.

***

نشأت اللجنة المسماة "شبكة الحكمية المحلية في القبيات" عبر دعوة المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم الى اقامة ندوة في بلدة القبيات. ولقد تألفت اللجنة من عدة جمعيات أهلية كالجمعية التعاونية الزراعية ودليلات لبنان وكشافة لبنان - فوج سيدة الكرمل، ومجلس البيئة والتراث للتحضير لهذه الندوة ومواكبة عمل اللجنة الفنية لمتابعة مراحل وضع المخطط التوجيهي العام.

ولجنة الحكمية المحلية ستواكب عمل اللجنة الفنية وتساعد في تأمين مستلزمات المشروع الفني من خرائط ومستندات ووثائق ورسوم وغير ذلك مما تتطلبه دراسة هذا المشروع الهام.

وسوف تقوم اللجنة الفنية وبالتعاون مع لجنة الحكمية المحلية بعرض ما توصلت اليه من دراسات فنية على ابنائنا في القبيات في اجتماعات متعددة ليشاركوا في هذا المخطط بملاحظاتهم وافكارهم وليرسموا معاً قبيات المستقبل.

***

القبيات كما نراها اليوم هي حصيلة جهود مضيئة خلال عقود طويلة من الزمن. ولقد اصابنا من العمران والانماء تقدماً بارزاً. والقبيات اليوم تضاهي قرى ومدناً كثيرة على ارض لبنان، ليس فقط بجمالها الطبيعي وبموقعها الجغرافي وبغاباتها وجبالها بل بفضل جهود ابنائنا من فعاليات سياسية ومؤسسات رسمية وجمعيات اهلية جميعاً عملوا على رفع مستوى القبيات ثقافياً وعمرانياً وسياحياً واجتماعياً وصحياً واقتصادياً وبيئياً وتربوياً.

لقد تأمنت البنى التحتية في حقول الكهرباء والماء والهاتف بفضل القائمين على سياستها عبر تاريخها الطويل. في المجال التربوي كانت القبيات وما زالت محط انظار القرى المجاورة الذين يأتونها يومياً للتعلم في مدارسها الرسمية والخاصة. وفي حقول الصحة فمستشفاهها ومستوصفاتها يستقبلون عشرات الناس يومياً ليخففوا من آلامهم وأوجاعهم.

ولا ننسى دور المؤسسات الامنية من قوى الدرك والامن العام الذين وفروا الامن والاستقرار في ربوعنا.

وهناك مؤسسات متعددة في القبيات تعمل على خدمة المواطنين في القبيات والمنطقة كقلم نفوس القبيات، وقلم محكمة القبيات، ومحطة الكهرباء ومركز البريد والبرق والهاتف ومركز الانعاش الاجتماعي، ولجان المياه ومركز الدفاع المدني والصليب الاحمر اللبناني وادارة حصر التبغ والتبناك وبلدية القبيات.

اما الجمعيات الاهلية فقد لعبت دوراً مهماً في انماء القبيات، كالجمعية التعاونية الزراعية التي قامت بتنشيط العمل الزراعي وكشافة ودليلات لبنان اللواتي ساهمن في تطوير

الحياة الكشفية واعداد ابنائها الصغار لحياة افضل ومجلس البيئة والتراث الذي ساهم في الحفاظ على الثروة الحرجية في القبليات.

كما لا ننسى دور لجان الرعايا والجمعيات الدينية في مختلف احياء القبليات، ولا ننسى ايضا مجلس انماء القبليات الذي ساهم بدوره في دراسة وتنفيذ بعض المشاريع في القبليات كما لا ننسى ايضا جمعية مار منصور ودورها في مساعدة الفقراء والمعوزين.

عدا عن النوادي الاجتماعية والرياضية التي اندثرت خلال الحرب الاليمة كنادي العمل الاجتماعي والنادي الثقافي الرياضي وما زلنا نفتقر اليوم الى اندية رياضية وملاعب رياضية.

***

القبليات المحور الاساسي لانباء المنطقة. لا شك ان القبليات مشرعة ابوابها لجميع ابناء المنطقة - ومن واجبنا ان نشارك ابناء منطقتنا همومهم وافراحهم. ولا فائدة من وضع مخطط توجيهي لبلدة القبليات دون مشاركة فعالة من القرى المجاورة.

فالنظافة والبيئة والصرف الصحي والمحافظة على الثروة الحرجية كلها امور مشتركة بيننا وبين اخواننا من القرى المجاورة.

والقبليات المحور الاساسي للمنطقة يؤمها الناس من مختلف المناطق إما للاستشفاء في مستشفياتها او في مستوصفاتها او زيارة عيادات اطبائها او مكاتب مهندسيها ومحاميهها أو دخول اسواقها التجارية.

والبعض يقصدون مقاهيها المنتشرة على سفوح جبالنا او غاباتها حيث يتقيأون تحت اشجارها وينعمون بجمالها.

واليها يأتي يوميًا عشرات العمال للعمل في متاجرها وبساتينها وفي بناء بيوتها وفي مصانعها كصناعة الحديد والالمنيوم والاشخاب المنزلية او لحراثة ارضها أو لرعي قطعان الماعز والابقار والاعنام في مراعيها.

***

بعد ان اطلعت اللجنة على اسماء المهندسين القبياتيين المسجلين في النقابة في طرابلس أو غير المسجلين استطعنا الحصول على اسماء اربعة وسبعين مهندسياً. وما زلنا نفتش عن اسماء اخرى قد غابت عن معرفتنا.

هؤلاء المهندسون الذين يحملون الهوية القبياتية هم القوى الشابة التي تتوزع على ارض لبنان وفي بلاد الاغتراب.

بعضهم لم يعرف القبيات مطلقاً والبعض الآخر قد أتوا القبيات في مناسبات عائلية أو اجتماعية.

والبعض الآخر عرف القبيات معرفة حقيقية وشارك في نموها وتطورها كما شارك لأهلها آلامهم وافراحهم وتطلعاتهم.

هذه الطاقات البشرية الهائلة التي تنتشر في اصقاع الدنيا ندعوها اليوم بكل محبة الى ارض آبائهم واجدادهم لأنهم في هذه الارض ينعمون بالدفء والاطمئنان وراحة البال بين اهلهم ومحبيهم وليتذكروا انهم مهما ابتعدوا في الزمان والمكان لا بد من العودة ولو بعد حين الى حيث يرقد الآباء والاجداد.

***

كثيراً ما يتحدث الناس عن التخطيط والتصميم لمدننا وقرانا اللبنانية. وغالباً ما يهتمون الحكومات بعدم التخطيط وبالفوضى في تنفيذ المشاريع وغيرها من الاتهامات. وابناء القبيات كسائر ابناء لبنان يتحدثون عن واجب وضع مخطط فني للقبيات لتتطور بلدتنا بعيداً عن الفوضى في العمران ورسم سياسة عملية وفنية لبناء مستقبل القبيات كما نحلم ان تكون عاصمة الجمال والمحور الذي يدور حوله ابناء المنطقة كما نحلم ان تكون الاجمل والارقى والانظف تضاهي مدن العالم حضارة ورقياً.

وابناء القبيات يتساءلون: أين المخطط التوجيهي العام؟ أين مستقبل القبيات؟ الى اين نحن سائرون؟

امام هذه التساؤلات وهذه الاحلام قررت الجمعيات الاهلية في القبيات بالتعاون مع المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم دعوتكم انتم ايها السادة المهندسون الى الرد على اسئلة اهلكم، اليوم وليس غداً ، لوضع "مخطط فني لبلدة القبيات".

ماذا يريد ابناء القبيات؟ اقول لكم:

- نريد ان نضع مخططاً لحدود القبليات لنتعرف على جغرافية بلدتنا ليتسنى لنا المحافظة عليها وذلك باقامة مناطق سكنية وسياحية وباستثمار اراضيها الزراعية التي استولى عليها البعض منذ عشرات السنين حتى ضاعت معالمها وفقدت ملكيتها.
- نريد ان نبني مدينة صناعية في مكان ما من القبليات تجمع اصحاب المهن الحرة على اختلافها.
- نريد ان نقيم ملاعب رياضية في كل حي من احياء القبليات لنشد اولادنا واحفادنا الى ممارسة الرياضة البدنية والابتعاد عن هوى السموم القاتلة على اختلافها.
- نريد ان نبني مدافن حديثة ونظيفة وجميلة يقصدها الناس للتنزه بين اشجارها وازهارها بدل ان تنتشر رائحة الموت من قبورنا الحالية.
- نريد ان نبني بيوتاً ذات هندسة جميلة معممة بالقرميد الاحمر وملونة بالوان الفرح والمحبة.
- نريد ان نشق طرقات بين احياء القبليات لنفتح قرى جديدة وحياة جديدة.
- نريد ان نبني حدائق عامة يؤمها ابناءؤنا يومياً للتنزه بين اغصان اشجارها والجلوس على اعشاب ارضها.
- نريد ان نشق طرقات لهواة رياضة المشي وركوب الدراجات الهوائية لا تدخلها السيارات ولا رائحة المازوت.
- هذه احلامنا، نحن ابناء القبليات، هي بين ايديكم فاعملوا على تحقيقها ليكون لنا قبليات افضل وأجمل وأرقى.

تفعيل القدرات المحلية

جوزف زيتوني

الحكمية المحلية هي اطار تتم من خلاله تنمية اهتمام المواطن بالشأن العام - وهي نمط ديمقراطي على المستوى المحلي يقوم على الحوار بين ابناء البلدة لتفعيل قدراتها وتطويرها وتميبتها.

والمؤسسات المدنية هي عماد من اعمدة التطور والنمو الاجتماعي. تقوم على ديمومة مؤسساتها والاستجابة سريعاً لحاجات المواطن المتعددة.

من هذا المنطلق نشأت الشبكة الحكيمة المحلية في القبيات عبر دعوة المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الى اقامة ندوة في القبيات بتاريخ 2002/9/15. فكان تعاون بين الجمعية التعاونية الزراعية ومجلس البيئة والتراث وكشافة لبنان ودليات لبنان.

لقد قامت هذه المؤسسات وبالتعاون والتنسيق فيما بينها على تبني هذه الدعوة عبر اقتناعها ان التنمية في القبيات لا تكون الا من خلال مبادرة اهلنا ومشاركة الجمعيات الاهلية وتواصل الناس وثقتهم بانفسهم واستنهاض الهمم لتغيير ما نشكو منه.

ولا بد من القول ان الجمعيات الاهلية قد تتوافق او تتعارض مواقفها مع توجهات السلطة وقراراتها، وهذا حق ديمقراطي لان لا ديمقراطية دون قيام الشعب بمسؤولياته في مراقبة الادارات العامة وذلك للحد من تجاوزاتها ومطالبتها بالتالي بتأمين مصالح المجموعات التي تمثلها هذه الجمعيات.

اين نحن من مفهوم المجتمع المدني؟ يتضاءل تاثير مؤسسات المجتمع المدني عندنا عن غيره من البلدان المتقدمة لعاملين:

1. تركيبة المجتمع المدني وتقاليد وعاداته ومفاهيمه القائمة على الروابط العائلية والسياسة المحلية.
2. انفصال السلطة عن المجتمع المدني ورغبتها الدائمة في احتوائه وضبطه ومنعه من ممارسة حقه الديمقراطي.

من مفهومنا للمجتمع المدني ندعو اهالي القبيات وخاصة الجمعيات الاهلية الى الحوار والنقاش بأسلوب هادئ ورصين حول امور بلدتنا لمعرفة اوضاعها وحاجاتها وطموحات ابنائها لخلق طاقات جديدة ومبادرات جديدة لتحسين حياتنا ومجتمعنا. فكلنا مسؤولون بقضايا بلدتنا سواء كنا في مركز المسؤولية ام لا.

***

اهم ما يميز القبيات عن غيرها في منطقة الدير من عكار انها تقع في وسط هذه المنطقة تحيط بها قرى عكار العتيقة والسديانة والبيره واكروم وعندقت وعيدمون. بالاضافة الى ذلك ان القبيات تتمركز فيها بعض ادارات الدولة الرسمية وبعض المؤسسات الخاصة لذا تعتبر مركزاً خدماتياً لابناء المنطقة. وبحكم تمركز هذه المؤسسات في داخلها يقصدها يومياً مئات الاشخاص لتأمين حاجاتهم في مؤسساتها الامنية والنفوس والمحكمة والبريد والهاتف والدفاع المدني وادارة التبغ والتتباك ومركز الخدمات الشاملة والصليب الاحمر اللبناني الى جانب المدارس الرسمية الثانوية والابتدائية ومؤسسة كهرباء لبنان عدا عن المدارس الخاصة. وكذلك يقصدها ابناء القرى المجاورة للاستشفاء في مستوصفاتنا الحكومية والخاصة وخاصة في مستشفاهنا.

كما ان القبيات تعتبر مركزاً سياحياً مهماً لاتساع غاباتها وامتدادها في اعالي جبال عكار وانتشار المطاعم على سفوح جبالها. والى القبيات يأتي يومياً عشرات العمال ليعملوا في متاجرها ومصانعها وارضيتها الزراعية. فهذه العلاقة المميزة بين القبيات وجيرانها يجب ان تتعدى الخدمات اليومية الى جملة عناصر مشتركة لها اهميتها في المخطط التوجيهي العام لبلدة القبيات.

وفي طليعة هذه العناصر تأتي قضية البيئة ومياه الشفة وتأثير الانتشار السكاني على
 ينايبنا كما ان حماية الثروة الحرجية والصرف الصحي والنفايات المنزلية كلها امور مشتركة بيننا
 وبين جيراننا.
 لا يمكن مواجهة هذه الامور الا بالتعاون والتفاهم مع الحكميات المحلية في المناطق
 المجاورة.

***

القبليات اليوم هي حصيلة جهود ابنائها من فعاليات سياسية ومؤسسات رسمية
 وجمعيات اهلية خلال عقود طويلة من الزمن. لقد اصابت القبليات من العمران والانماء تقدماً
 ملحوظاً. وهي اليوم تضاهي قرى ومدناً كثيرة على ارض لبنان ليس فقط بجمالها الطبيعي او
 بموقعها الجغرافي وغاباتها وجبالها بل بفضل سعي ابنائها الذين عملوا على رفع مستوى القبليات
 ثقافياً وعمرانياً وسياحياً واجتماعياً وصحياً واقتصادياً وبيئياً وتربوياً.
 ولا ننسى ما تحققت في القبليات على صعيد البنى التحتية من ماء وكهرباء وهاتف
 وطرقا بفضل القائمين على سياستها عبر تاريخها الطويل.
 ونحن كحكومة محلية في القبليات نسأل: لماذا لم نضع مخططاً توجيهياً عاماً لبلدة
 القبليات بالتشاور والوافق بين مختلف قوى الشعب بدل ان ننفذ مشاريعنا خبط عشواء دون هدف
 مرسوم.

امام هذه التساؤلات قررت الجمعيات الاهلية في القبليات وبالتعاون مع المؤسسة اللبنانية
 للسلم الاهلي دعوتكم للمشاركة في حوار حول خطة عمل محددة ترسم طريق المستقبل.

من هذا المنطلق ماذا نريد للقبليات؟

نريد رسم حدود القبليات الجغرافية وتحديد الاماكن الاثرية ودراسة البنى التحتية ورسم
 حدود لمنطقة صناعية تجمع اصحاب المهن والحرف على اختلافها.
 نريد اقامة مسابح وملاعب رياضية وبناء بيوت متميزة من ناحية الشكل والطابع
 وانشاء سوق تجاري في وسط القبليات لنجعل من بلدتنا مركزاً تجارياً هاماً.

نريد ايجاد مراكز للشباب تخصص للمخيمات الكشفية وانشاء حدائق عامة وطرق خاصة لهواة رياضة المشي وشق طرق تصل احياء القبيات ببعضها البعض وتفتح مناطق جديدة.

نريد انشاء مدافن حديثة ونظيفة وسط ارض شاسعة يقصدها الناس للتنزه بين اشجارها وازهارها بدل ان تنتشر رائحة الموت من قبورنا.

ومن اولى اهتمامنا نريد ان نكمل مشروع المجاري في القبيات ليكون لنا قبيات نظيفة خالية من التلوث وهو ما اتفق على تنفيذه ابناء القبيات كافة.

واخيرًا لا بد لنا من كلمة عن منطقة الشنبوق والجرد العالي والمنطقة الممتدة من المواش حتى شمعة.

لقد سعت الحكمة المحلية سابقًا الى شق طرق زراعية متعددة في منطقة الجرد بغية حث المزارعين والاهالي على استثمار اراضيهم الزراعية. ونحن اليوم نسعى لان تكون هذه المنطقة موضع اهتمام الجميع - نريدها ان تكون منطقة سكنية ومركزًا صيفيًا يؤمه ابناء القبيات والمنطقة لينعموا بهوائها وجمالها.

لا بد من رسم خطة لمستقبل منطقة الشنبوق - الجرد خمسية كانت او عشرية تؤمن بها البنى التحتية من ماء وكهرباء وطرق ونشج ابناءنا على السكن في هذه المنطقة واستثمارها زراعيًا وسياحيًا.

اما المنطقة الثانية هي اليوم مكب للنفايات المنزلية وتجمع لمياه الجور الصحية والاساخ المتراكمة عبر عشرات السنين - ولا ننسى ان هذه المنطقة هي اغزر مناطق القبيات ماءً واكثرها خصبًا وجمالاً. تتجمع فيها مياه الينابيع الممتدة من نبع الجوز عبر الوادي الذي يفصلنا عن حي القطلبة حتى المواش - تغطيها الاشجار بكثافة حتى انها حجبت منظر الاساخ المتراكمة ولكنها لم تمنع الروائح الكريهة من ان تتبعث منها.

قد تكون هذه المنطقة اكثر مناطق القبيات جمالاً - لماذا لم نستثمرها ونجعلها مركزًا للمتزهين وهواة الرياضة البدنية ومكانًا سياحيًا لرواد المطاعم والملاهي.

هذه افكارنا، نحن شبكة الحكمة المحلية، فلنعمل جميعًا على تحقيقها ليكون لنا قبيات

افضل واجمل وارقي.

نظرة عامة للمخطط التوجيهي لبلدة القبيات

فؤاد الضاهر

يشرفني ان اشارك في هذه الندوة، وحرصاً من جانبي على إبداء رأي في مسألة اصبحت اليوم تتجاوز الى حد كبير الأطر التي رسمتها لها القوانين، مسألة التنظيم المدني. إن اثاركم لهذا الموضوع، يكشف عمق الإحساس لديكم كمواطنين ومهندسين، بالمسؤولية تجاه مجتمعكم وبيئتكم، ويبرز مدى وعيكم لأهمية التنظيم المدني، ولتعدد الجهات التي لا بد من تعاونها وتأزرها في سبيل تحقيق الإفادة المرجوة منه.

***

ان التنظيم المدني، من الناحية التشريعية والفنية، تنظمه قوانين، يناط السهر على تنفيذها بمديريات ومكاتب في إطار مؤسسات الدولة، وإذا كان التساؤل حول مدى صلاحية هذه النصوص اليوم، في تحقيق العمران المستوفي لشروط الحياة المدنية السليمة تساؤلاً مشروعاً، فإن ثمة تساؤلاً آخر لا يقل مشروعية يتناول كفاءة الأجهزة الادارية المخولة تنفيذ هذه القوانين، ومدى التزامها في التطبيق، تطبيقاً يحقق الغاية التي وضعت من اجلها.

إن الحكمة التي من اجلها كان التنظيم المدني، لا تقف عند حدود تنظيم البناء ومستلزماته الفنية فقط، بل تهدف في مقاصدها النهائية، الى توفير حياة مريحة وصحية، وعليه فإنه لا بد من تعاون الهيئات الاهلية ومؤسسات المجتمع المدني من اجل تحقيق هذه المقاصد، وفي طليعتها المجالس البلدية، إنها المؤهلة، بما لديها من إمكانيات وصلاحيات وبحكم تمثيلها للمجتمع واتصالها المباشر به للإسهام في رعاية الشؤون الصحية والبيئية والتحسينية، إسهاماً يشعر المواطن براحة وسعادة في المكان الذي يسكنه والمجتمع الذي ينتمي اليه، ولا ننسى في هذا المجال، دور النوادي والجمعيات الثقافية والبيئية، في إرشاد الناس وتحفيزهم على صون

المكان الذي يقطنون فيه، ارشادًا يقوي لديهم الشعور بالمسؤولية حيال بعضهم البعض وحيال الطبيعة مصدر حياتهم.

***

اشكركم على بادرتكم التكريمية تجاهي عقب انتخابي نقيباً للمهندسين، معتبراً انها جاءت استكمالاً لدوركم في وصولي وتأكيدياً لثقتكم بشخصي، ثقة، أتمنى ان يوفقني الله لكي اثبت انها في محلها، واختم بالعزم على الوقوف الى جانبكم ودعم خطواتكم، واضعاً امكانات النقابة في خدمة ما يحتاجه المجتمع القبائتي والشمالى اللبناني، في مسيرة تنظيم حياته العمرانية والمدنية والاجتماعية والبيئية.

***

حيث ان التنظيم المدني هو فن يتناول معرفة الأشياء، ويدرس كافة المواضيع المدنية بشكل منتظم ويبحث عن الأسباب الأولية، وحيث انه ينطلق من الانسان اولاً، ومن استعماله للأرض ثانياً، نقتراح المراحل التالية للمخطط التوجيهي العام.

1. اهداف المخطط

- السيطرة على تكوين الكتل العمرانية القائمة والمستقبلية.
- انماء المناطق: مدارس، تجارة، زراعة، مستشفيات... حتى بلوغ الاكتفاء الذاتي.
- الحفاظ على التراث العمراني والبيئي والطبيعي.
- زيادة فرص العمل.
- تحسين المواصلات والبنى التحتية.
- تفعيل خطط جذب سياحية مع الجوار بغية إنعاش المناطق اقتصادياً.

2. التشخيص المفصل أو العناصر الضرورية للدراسة:

موقع البلدة:

- دراسة توبوغرافية وفيزيائية لموقع البلدة وربطها بالنسبة للقضاء وللجوار والوطن.
- دراسة تاريخ البلدة: التطور السكاني والعمراني.
- المواقع الأثرية وأهميتها.
- دراسة وضع المجلس البلدي وقدرته المادية على تنفيذ ومتابعة تصنيف هكذا مشاريع.

المعطيات الطبيعية:

- دراسة لمناخ المنطقة لناحية الحرارة، هطول الأمطار، الرياح والدورة الشمسية التي تؤثر على:
- تركيز البناء
- الصرف الصحي
- دراسة وضع الزراعة: النوعية - الانتاج - البيع.
- انواع السياحات المتوقعة.

المصادر: الأرصاد الجوية - مصادر علمية

- دراسة جيولوجية وهيدروغرافية للاستفادة من الثروات الطبيعية.

(المصادر: مكاتب متخصصة)

- توفر طبقات جيولوجية حاملة ومخزنة للمياه الجوفية ممكن استثمارها للمشاريع الزراعية.

المصادر: وزارة الموارد المائية

- تحديد:

نسبة الأراضي المزروعة حاليًا

نسبة الاراضي القابلة للاستصلاح

نسبة الأراضي الزراعية القابلة للري

نسبة الغابات

المصادر: البلدية - التعاونية الزراعية.

- دراسة مدى تأثير التطور العمراني على المناطق الزراعية.

3. المعطيات البشرية:

- دراسة الناحية الاجتماعية للمجموعات السكانية المتواجدة ونوعيتهم.

- عدد السكان المقيمين في البلدة صيفًا وشتاءً (بلدية).

- عدد المسجلين لدى دوائر الأحوال الشخصية.

(دائرة الأحوال الشخصية).

- دراسة تاريخ وأسباب الهجرة.

(دراسة اجتماعية وإحصائية)

- التطور الديموغرافي الحالي: عدد الولادات والوفيات.

(دائرة الأحوال الشخصية والمخاتير)

- هرم الأعمار لدراسة التركيب السكاني ودراسة نوعية الخدمات المناسبة للأعمار.

(دائرة الأحوال الشخصية والمخاتير)

- المستوى الثقافي لأهالي المنطقة
(دراسات موجودة مع باحثين في القبليات)

- عدد السكان الغرباء المقيمين في المنطقة.
(بلدية ومخاتير)

4. المعطيات العمرانية:

- العقارات: أشكالها ونوع الملكية فيما بينهم.
(الدوائر العقارية ودوائر المساحة)

- دور وميزة الاحياء والتفاعل فيما بينهم وخصائصهم.
(المختار واحصائيات)

- الطابع العمراني (فرقة متخصصة)

- الاستثمارات السطحية (التنظيم المدني)

- الأماكن التراثية ودورها وقيمتها الأثرية (الأب سيزار موراني)

- الخدمات العامة والتجهيزات.

1. الخدمات العامة.

2. دراسة وضع البنى التحتية.

3. الطرق الداخلية المؤدية الى منطقة الدرس.

- المساحات العامة

- الإطار المبني ونوعيته وكيفية توزيعه (الكثافة السكانية مثلاً).

- السكن وأهميته وتطوره وأنواعه.

- نوعية البناء والمساحات غير المبنية الكائنة في المنطقة وسوق الاستثمار في هذا

المجال:

- نوعية الأبنية الموجودة.
- نوعية الأبنية الدينية.
- نوعية الأبنية العامة.

5. المعطيات الاقتصادية

أ. السكان الناشطون

- التنقل اليومي للناشطين.
- نوع العمل.

ب. القطاع الاقتصادي:

- القطاعات المنتجة
- نسبة تداول الأجرور الثابتة
- المناطق الصناعية وأسعار الاراضي فيها.

وضع التجارة:

- وضع الأبنية الثقافية (مكتبات - مسارح - ملاعب)
- دراسة وضع المصانع (نوعيتها - حجم انتاجها - اماكن تواجدها).
- دراسة وضع المدارس والجامعات.
- دراسة المواقع الأثرية والسياحية.

ج. تأثير فروع الانتاجية على الاقتصاد:

- حرف يدوية، تجارة، خدمات سياحية.
- (المصادر: احصائيات ومراجعة: مراجعة دراسة د. فؤاد سلوم)

6. بعض الملاحظات السريعة والسطحية:

1. على صعيد المعطيات الطبيعية:

- القطاع الزراعي في البلدة ليس مزدهراً علمًا ان البلدة تتمتع بمناخ جيد وبثروة مائية.
- أسعار الخضار يتوقع ان تكون ارخص من التي هي عليها في المدن.
- تحول جزء من اراضي البلدة الزراعية من مروية الى بعلية بسبب تراجع الاهتمام بالزراعة واهمال الاراضي الزراعية.

2. على صعيد المعطيات البشرية:

- الهجرة المزمدة بسبب انكفاء المنطقة على نفسها وانحسار المقومات الاقتصادية الى الاجتذاب القوي نحو الوسط (العاصمة).
- انخفاض في تجدد الأسر الفتية.
- اختلال سكاني في هرم الاعداد.
- المستوى الثقافي العالي.

3. على صعيد المعطيات العمرانية:

- نمت البلدة منسجمة مع خصائص الأبنية البيئية مما حافظ على الطابع الريفي بشكل غير مميز ولكن أخذ العمران يتمدد بشكل عشوائي.
- وجود لمساحات عامة خضراء.

4. على صعيد المعطيات الاقتصادية:

- معظم الأنشطة الاقتصادية في المنطقة موجهة الى حاجات السكان داخل المنطقة حيث تتحسر في موسم الشتاء وتزدهر نسبيًا في الصيف.

7. Critères de valorisation

بعض مقومات المنطقة الأساسية مع بعض الاقتراحات:

- موقع البلدة كنقطة للمواصلات البرية.
- توافر بعض المقومات الطبيعية للزراعة تساعد على تطوير القطاع الزراعي والانتاج الحيواني مع انشاء بنى تحتية زراعية، وتوفير الارشاد الزراعي ووضع الحوافز لحمايتها وتسويقها، مما يساعد على نشوء مرافق انتاجية رديفة.
- لخط مناطق صناعية لخدمة الصناعات الزراعية والغذائية والانتاج الحيواني للمنطقة.
- ان البيئة الطبيعية والسكانية والمناخ المميز للمنطقة، يؤهلها لوظائف سياحية متنوعة:

1. سياحة داخلية.

2. سياحة الاصطياف.

3. السياحة الثقافية والدينية والبيئية.

4. سياحة العابرين.

يجب وضع خلاصة للنتائج والوقائع وعرض كافة المشاكل بغية حلها في اقتراحات المخطط التوجيهي العام.

8. اقتراحات وحلول:

- وضع دراسات للاستثمارات في المناطق الارتفاقية المختارة (Zonning) استثمارات البناء.
- وضع مخططات تفصيلية للواجهات (نوعية الحجر - نسبة القرميد - نسبة الفتحات...) والطرق (تخطيط - شق وتوسيع...) والفسحات الغير مستعملة.
- وضع مخطط عام للحفاظ على الثروات الحرجية والزراعية.

- وجوب تفعيل وتطوير الزراعة عبر جر المياه مثلاً الى هذه المناطق أو تأمين زراعات بديلة، أو بيع المنتوجات بسعر لائق عبر انشاء تعاونيات زراعية فاعلة.
- وضع مخطط للنقل المشترك بغية تأمين سهولة التنقل.
- وضع سياسات سياحية (اذا أمكن) بغية انعاش الاقتصاد والتجارة وخلق نقاط جذب فعالة.

9. آلية تنفيذ المخطط التوجيهي العام:

- إن آلية التنفيذ هي باهمية وضع المخطط، دونها يستحال تطبيق الدراسات الموضوعية.
- يجب تشكيل هيئة مكونة من أعضاء في المجلس البلدي بالتعاون مع اخصائيين لوضع خطة تنفيذ على مراحل حسب الأولويات وفق جدول زمني واضح.
- يجب الاستعانة باخصائيين وجمعيات اهلية (جمعية المحافظة على التراث - جمعيات زراعية وانمائية...) للمساعدة على تطبيق المخطط.

***

ان المنطقة بحاجة ماسة الى خطة انماء متكاملة تأخذ بعين الاعتبار جميع الاحتمالات المرتقبة وترسم لها خطط عمل متكاملة وذلك للحد من النزف السكاني المستمر، وتفعيل الحركة الاقتصادية داخل المنطقة والاستفادة القصوى من مقومات المنطقة الطبيعية، ضمن برنامج عمل شامل يحافظ على هذه المقومات، يعمل على ازدهارها ويجعلها منتجة.

فالحفاظ على الارض ونمو المنطقة منوطان ببقاء أبنائها في قراهم وبلداتهم، وذلك يتطلب ايجاد جميع المقومات.

ولكن من الممكن ايجاد حلول مؤقتة، متلائمة مع الأوضاع الراهنة، قابلة للتطور مع تبدل هذه الأوضاع مستقبلاً.

على المجلس البلدي المبادرة فوراً الى تبني فكرة ومبدأ دراسة المخطط التوجيهي العام للقبليات والاستعانة بالاحصائيين للمساهمة بحماية ما تبقى من المواقع الطبيعية والبيئية الصحية ومنعاً للتشويه العمراني والعشوائية في البناء مما يؤدي الى رفع المستوى المعيشي والفكري والثقافي في البلدة ويجعلها قدوة يحتذى بها في المنطقة ولبنان.

أخيراً دعوة جميع المجالس البلدية الى دراسة مخططات توجيهية لبلداتهم من اجل التكامل السكاني والعمراني والبيئي والاقتصادي بين جميع المناطق وضمن تصور المخطط التوجيهي الشامل.

نحو مخطط توجيهي عام في القبيات - ورقة عمل

جان حنا

تهدف دراسات التنظيم المدني لارساء تصاميم وانظمة توجيهية للمناطق ترمي لتحقيق

ما يلي:

- الحفاظ على البيئة والجماليات الطبيعية.
- تطوير مناطق غير مأهولة.
- التنسيق المعماري لإرضاء الذوق والنظر.

مقاربة قانونية (أحكام قانون 1962/9/24) والتحديد القانوني: التصاميم والانظمة

تعنى خصوصاً:

- بحدود ووجهة استعمال الطرق وتنظيم الساحات والحدائق العامة.
- بتحديد المناطق والأجزاء الواجب اعدادها لنوع من الاستعمال: سكن، صناعة،

تجارة...

الآلية التنفيذية: توضع المناطق موضوع التصاميم والانظمة التوجيهية والتفصيلية

موضع الدراسة بمرسوم بناء على اقتراح وزير الاشغال العامة والنقل، بعد موافقة المجلس الأعلى للتنظيم المدني والقروي.

اعتباراً من تاريخ نشر مرسوم الوضع تحت الدرس، وطيلة مدة سنة قابلة للتجديد مرة

واحدة، لا يمكن ان يمنح في المنطقة المعنية رخصة بناء ولا اجازة افراز أو ضم وفرز كما انه يمنع قطع الاحراج والغابات وتغيير الاوضاع الطبيعية للمنطقة.

ويمكن للادارة اعادة وضع المنطقة تحت الدرس، وبالصيغة نفسها، بعد انقضاء عشر سنوات على انتهاء المدة الاولى أو عند حصول كوارث واحداث استثنائية يعود تقديرها لمجلس الوزراء.

تضع مديرية التنظيم المدني والقروي تصاميم وأنظمة تنظيم المدن والقرى بعد الاتصال بالمصالح التقنية ذات العلاقة، وتحمل الدولة نفقات درس وضع التصاميم والانظمة، غير انه يحق للبلديات اذا توافرت لديها الأموال اجراء هذه الأعمال على نفقتها.

تعرض تصاميم وانظمة المدن والقرى على البلديات لابداء الرأي خلال مدة شهر من تاريخ عرضها، واذا لم تبد رأيها خلال هذه المدة، اعتبر ذلك موافقة ضمنية منها. وتعرض ايضاً على المجلس الاعلى للتنظيم المدني الذي يمكنه تعديلها.

تصدق التصاميم وانظمة تنظيم المدن والقرى بمرسوم يتخذ في مجالس الوزراء.

تبقى احكام التصاميم والانظمة سارية المفعول طالما لم يعد النظر فيها او لم تلغ.

يحق للادارة استملاك مساحات للشوارع والساحات والحدائق، والقيام تلقائياً باعمال الضم والفرز، كما يمكن انشاء شركات عقارية لأجل ترتيب اجمالي لكل أو لجزء من منطقة سيوضع لها تصميم ونظام تنظيم مدني.

مقاربة فنية: يقسم العمل الى مرحلتين تحضيرية وتنفيذية:

منهجية ومراحل العمل التحضيري: تجري في البداية دراسة وتحليل للوضع القائم وذلك

وفق المراحل التالية:

انتقاء مقياس ومدى العمل المطلوب.

دراسة وتحليل البيئة المحيطة:

- المدن الرئيسية القريبة.

- الكثافة السكانية

- البيئة الانسانية

- الموارد الاقتصادية المحلية

- محاور المواصلات
- مراكز المنطقة الرسمية وشبه الرسمية

دراسة وتحليل معطيات المنطقة:

- المعطيات الطبيعية: التضاريس، الطقس، التربة...
- المعطيات السكانية: المناطق المأهولة والمبنية، البنى التحتية، المناطق الزراعية، المناطق السياحية، النوادي...
- انتقاء المناطق المفضلة للتوسع والانتشار.

دراسة مختلف الدوائر الموجودة:

- الادارة الرسمية
- التربوية (مدارس، معاهد...)
- الصحية (مستشفيات، مستوصفات، مراكز الصليب الاحمر...).
- الثقافية والاجتماعية.

دراسة البنى التحتية:

- قطاع المواصلات: طرق، كثافة السير...
- الشبكات: المياه، الطاقة، الهاتف، الصرف الصحي، الاضاءة...

دراسة سكانية:

- الحجم والتطور السكاني.
- المجتمع الاساسي وتحولاته.
- المهن والرواتب والفئات الاجتماعية.
- التنقل والمسافات (بين مراكز العمل والسكن) ووسائل النقل.
- رأي السكان في التحول الى المدينة.

دراسة النشاطات الاقتصادية.

دراسة الوضع العقاري.

دراسة الموارد المادية العامة (المحلية، المناطقية والوطنية) والخاصة.

المرحلة التنفيذية: بعد الانتهاء من هذه الدراسات، يصار الى وضع تقرير يبين كل النقاط السابق ذكرها بتفاصيلها، للارتقاء الى المعايير الواجب اتخاذها في تحديد انظمة وتصاميم المنطقة، ومن ثم وضع هذه الانظمة مع الأخذ بالاعتبار آراء المجتمع المحلي وفعالياته المثقفة.

اقتراحات وخطة عمل: من الواضح انه للقيام بوضع تصاميم توجيهية للمنطقة، بطريقة علمية عصرية ترتقي بها الى آمال وأحلام ابنائها، ينبغي تجنيد طاقات كبيرة ومتعددة، تقوم بالمهمة منهجية وعلمية متجردة. لذلك اقترح الآتي:

تأليف لجنة تأسيسية تكون مهماتها كما يلي:

- الاتصال بأصحاب الاختصاصات التالية من ابناء القبيات: مهندسين، قانونيين، اداريين، ادباء، علماء اجتماع، تربيين، اقتصاديين، بيئيين، طوبوغرافيين، اخصائيي دراسات وتوثيق، معلوماتية، سياحة وأثار، وذلك لتكوين فريق عمل متكامل.
- الاتصال بالبلدية ودوائر الوزارات المعنية كي تأخذ العملية مجراها القانوني الصحيح.
- السعي لتأمين ميزانية تغطي تكاليف العمل.

وذلك في مهلة زمنية محددة، على ان تستبدل أو تتحول الى لجنة متابعة وارشاف على نشاط فريق العمل المشكل، وعلى ان يوضع جدول زمني محدد لانتهاء الدراسات وعرضها على الدوائر المعنية.

التوصيات السبعة لعصرنة القبيات وتنظيمها

الفونس جورج

الارض هي احد عناصر الحياة الاساسية كالماء والهواء يعيش ويتفاعل عليها الانسان بجماعات ومجتمعات متعددة. عاشت الانسانية في العصور السابقة منسجمة ومتفاعلة معها محترمة لها. فالمدينة تبقى اليوم مع البناء المشاد التراث المنظور الذي تتناقله الاجيال معبرة عن درجة الرقي والثقافة ومستوى الابداع عند الشعوب التي سكنتها ونظمتها.

1

تعرفه التنظيم المدني

التنظيم المدني هو الادارة العلمية والترتيب الجمالي والمنظم لمساحة من الارض او لمنطقة او لمدينة تأخذ بعين الاعتبار الطبيعة والخدمات والتجهيزات العامة والخاصة وذلك من اجل استعمال فعال للموارد المادية والاقتصادية والاجتماعية بهدف تأمين الصحة والعيش الافضل للجماعات التي تعيش فيها.

التنظيم المدني يهتم اذًا بالمحيط الذي نعيش فيه اكان في الريف او في المدينة. التنظيم المدني يعتني بتنظيم النشاطات الانسانية وترتيب البيئة والمساحات على جميع المستويات والمقاييس. ان البيئة، بالرغم من احتوائها على عناصر طبيعية ومنشآت ومباني، تشكل ساحة ومكان للتفاعل الاجتماعي والاقتصادي من ناحية وبعد تراثي ورمزي وعاطفي من ناحية اخرى.

يعمل المنظم المدني على تحسين المحيط والشأن الحياتي من اجل ملائمة الحاجات العديدة للانسان كفرد وللسكان كمجموعة. يهتم بشكل واسع بالأبنية وبالمساحات الطبيعية، بالنشاطات الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية. ويتفاعل ويطور اهتمامه مع تغيير المجتمع. في العالم الاوروبي يهتم المنظمون بأمر عديدة نذكر منها على صعيد المثال لا الحصر المواضيع التالية:

1. حماية البيئة والتنمية الشاملة والدائمة لها.
2. التنمية المحلية والمناطقية.
3. صون ووقاية التراث الطبيعي والمبني بعد التعرف عليه.
4. ادارة حاجات النقل المشترك.
5. ادارة حاجات النقل للبضائع وللمواد وللمعدات.
6. تأمين الشبكات اللازمة لمواكبة التطور: الطرق، التلفون...
7. اعادة ترتيب وتنظيم الشوارع.
8. اعادة ترتيب وسط المدن.
9. تحديد البنية التحتية والاماكن العامة ومكان انشائها.
10. تحديد المنشآت الرياضية والثقافية والصحية.
11. تحديد الهندسة والأشكال لمفروشات الشوارع.

يعمل المنظمون على:

1. تقييم الاستراتيجيات والمقترحات.
2. متابعة اهداف التنمية الشاملة والدائمة.
3. تحضير الاجراء اللازمة لأخذ القرار السياسي المناسب.
4. درس الحياة الاقتصادية.
5. اعداد الخطط والدراسات.
6. اخذ بعين الاعتبار كل الآراء والحاجات.

7. تجميع الاحصاءات والمؤشرات.
8. تحليل وقياس المعلومات.
9. مراقبة التنفيذ لتحديد ما اذا كان المفعول المتوقع مطابق للنتيجة الواقعية.

ان وضع وتنفيذ المخططات والخرائط مهما كانت ايجابية وملائمة سوف تؤدي الى تغييرات وهذا لم ولن يحصل بسهولة وبدون نقاشات حادة او تضارب بالرأي احياناً لذلك، وفي نطاق المهمات الموكولة اليه، ينبغي على فريق العمل المنظم ان يسعى للوصول الى خطط عمل واضحة، شاملة، والى تقييم مستمر لدرجة النجاح او الفشل.

على ضوء هذه التحديات المعقدة يتوجب على فريق العمل المنظم ان يملك الكفايات العالية والخبرات والمهارات اللازمة والمتعددة الاختصاصات. من هذه المهارات نذكر القدرة المعرفية على التعاطي مع الموارد الارضية والهوائية والمائية، وشؤون التعددية الثقافية، والتفاعل مع التقنيات الحديثة للتواصل، آلية حل النزاعات، سوق العمل والاستخدام.

ان آلية ترتيب وتنظيم المدن يتطلب كثيراً من العمل والمعدات. منها التقليدي ومنها المعاصر نذكر منها:

1. وضع الاستراتيجيات المعنية.
2. متابعة المناقشات الناشطة لتوضيح الافكار والنظريات التطبيقية.
3. تحضير سيناريوهات بواسطة الكمبيوتر مع الخرائط اللازمة.
4. اقامة مشاغل وانشاء مجسمات والتظاهر simulation.
5. تحليل التأثير impact الاجتماعي والبيئي.

ان مسألة تنظيم المدن اصبحت من الاهتمامات الاساسية في بداية هذا القرن في المجتمعات الراقية الغربية والشرق أوسطية. اما في لبنان، فان هذه المسيرة وجدت صعوبات عديدة نظراً للظروف الصعبة التي مررنا بها واجتماعنا دليل واضح على رغبتنا في متابعة المسيرة والدخول الى حلقة البلدان والمجتمعات الراقية.

2

التوصيات السبعة

على صعيد المرجعية السياسية المحلية

التوصية الاولى: التجديد والتطوير يستدعي ارادة سياسية قوية

لان التجديد والتطوير ليسا بألية عفوية ولا قانونية يجب وضع استراتيجية تمهد الطريق وتنزع الصعوبات العديدة.

لانهما نابعين عن ارادة سياسية لادارة المدينة وهي الوحيدة قديرة على تأمين التجديد المتجانس.

لان السلطة المحلية، لا الوطنية، هي الوحيدة التي يمكن لها ان تكون فكرة واضحة ورؤية شاملة على المقياس المناسب.

لان السلطة المحلية هي الوحيدة التي يمكن لها اتخاذ القرار السياسي لادارة القطاعات المحلية: نقل مشترك، ابنية سكنية، ممتلكات عامة، خدمات، تجارة، تنمية اقتصادية... هذا هو التحدي الاساسي للبلديات التي ترغب بالنضال ضد التفرقة والتقهقر الاجتماعيين وهجرة الشباب الى المدن الكبرى او المهجر.

التوصية الثانية: تحديد بوثائق خطية الاهداف العامة والتطبيقية من قبل السلطة المحلية

هذه الوثائق تشكل نقطة انطلاق وحجر اساس يبني عليه كل ما سوف يتبع. كتابتهم تكون محور نقاش يشرك جميع اصحاب القرار.

هذه الوثائق ضرورية:

- لتكون مرجعية واضحة،
- لتبني لاحقًا استراتيجية وخطة عمل،
- لتأمين امكانية التحكيم في القرارات الصعبة خصوصًا في العمليات التي تخص عدة بلديات او اتحاد بلديات. وهذا ما اتمناه في القبيات، ان يتم اشراك البلديات المجاورة وبالأخص عندقت.

على صعيدي التنفيذ والشراكة مع السكان

التوصية الثالثة: تنفيذ المشاريع يبقى تحت مراقبة السلطة المحلية ومتابعته تتطلب تنظيم دقيق مختص على مستوى عالي

انجاح عملية التنفيذ هو عملية تتركز على تبني الممارسات والمهارات المتبعة في المراقبة الميدانية والقيادة في التنفيذ.
القيادة الاستراتيجية لهذه الورشة تطرح عدة اسئلة يجب الاجابة عليها بشكل واضح قبل البدء فيها:

- من يدير وماذا؟
- مع من يتم التعاون؟
- من هو صاحب القرار الفعلي؟
- كيف يتم تسهيل التعاطي مع اللجان المتعددة ومع المجالس البلدية،
- كيف تتم عملية التحكيم بين السيناريوهات والحلول،
- كيف يتم تسهيل الصعوبات لآخذ القرار في الادارة المعقدة التي نعرفها في لبنان،
- كيف نراعي الوقت اللازم للدراسات.

كل هذه الامور ونوعية المشاكل وتعدد المداخلات تتبثق عنهم، في حال عدم التعاطي معهم بشكل اساسي حيوي وشفاف، مشاكل كثيرة منها:

- ضياع الوقت،
- تباعد الآراء وتضارب المصالح،
- قلة الانسجام بين الهدف والنتيجة،
- فقدان النوعية،
- تنفيذ ارتجالي عشوائي وغير منطقي.

لذلك يجب تكليف مهام التنسيق لرجل او امرأة يملك القدرة والكفاءة ليكون مايسترو لاوركسترا منسجمة يعمل فيها كل الموسيقيين كل شخص حسب آله واختصاصه. من مميزات هذا المنسق ان يتمكن من ادارة المناقشات والاجتماعات. يحدد لهذا المنسق المرجعية الادارية والتسلسل الذي سوف يتبعه للوصول الى القرار. من المفضل ان تكون هذه المرجعية لجنة مؤلفة من مندوبين عن القطاع الاهلي والمؤسسات العامة. كذلك الامر تشكل لجنة فنية مختصة لتحضير التنفيذ ومراقبته.

التوصية الرابعة: السماع والاخذ قدر المستطاع بالرأي العام

هذا هو احد اسرار عملية انجاح المشروع وتنفيذه وهذه العملية يجب ان يتم تقييمها دورياً عبر الاجتماعات العامة في الاحياء والرعايا والاستماع الى المطالب في المناطق السكنية بحثاً مع السكان والهيئات الاهلية والجمعيات المحلية عن الحلول او لتحديد مصادر المشاكل وآلية متابعة حلها.

لهذا نرى ضرورياً ان تعطى هذه النقطة الاولوية القصوى بتأمين الامكانيات لتوزيع المعلومات على السكان لخلق الجو الملائم والمناخ المناسب للنقاش والمداخلات الايجابية حول

الاختيارات التي تلزم الكل في صنع المستقبل. هذا المستقبل سوف يؤثر على حياة السكان بالازعاج بداية وخلال الورشة ومن ثم يلزمهم مدى السنين.

على صعيد الادارة السكانية والاجتماعية

التوصية الخامسة: التطوير النوعي للخدمات الاجتماعية هدف للتجديد

الخدمات العامة والاجتماعية هي شبه غائبة او غائبة في لبنان والريف خاصة. هذا الميدان واسع جدًا ويبدأ بالأمر البديهية: النظافة العامة والاهتمام بالواحات الخضراء والحدائق العامة مثلاً، ولكن سرعان ما تنتقل الى أمور حياتية حيوية واسباسية:

- فرز وجمع النفايات وتحويلها،
- المجاري وتكريرها،
- الأمن وراحة البال،
- الخدمات الاجتماعية،
- الخدمات الصحية،
- النشاطات الثقافية،
- تسهيل تأمين المساكن،
- المساعدات المدرسية، الخ.

ان التجديد المدني سوف يترجم بتغييرات كبيرة في المجال العمراني والحياتي ولذلك يتطلب متابعة نوعية من قبل المعنيين تقادياً لردات الفعل السلبية عند السكان. يجب ان يدرس وبشكل شامل كل من التوقيت وطول الدراسات وطول الورش الخاصة بالتجديد المدني بحيث ان البعض منها دام اكثر من عشرة سنوات مما ادى الى مشاكل اجتماعية كإبعاد السكان وهدم المنازل لاعمارها او تجديدها. في هذا السياق نقترح وضع شرعة واضحة للحفاظ على النوعية.

التوصية السادسة: خلق خلية دعم لتنشيط الحياة الاجتماعية خلال ورشة التجديد

ان هذه الخلية هدفها ان تكون الاداة للسهر على السلام والسلم الاهلي بسبب الأشغال وجهاز لتنسيق الأعمال الميدانية والمدخلات اليومية الاجتماعية. هذا يتم من خلال شراكة بين جميع المؤسسات العامة العاملة في المنطقة.

على صعيد الامكانيات المالية

التوصية السابعة: التجديد يتطلب استثمار مالي كبير وعلى أمد طويل لذا يجب جذب رؤوس اموال خاصة

التطوير النوعي والخدمات العامة والاجتماعية تستلزم استثمارات مالية كبيرة تفوق طاقات البلديات الصغيرة والريفية.

بمناسبة التحضير لهذه المشاريع نتعرض الى سلسلة من النشاطات المكلفة كالفرز والاستملاك والضم للعقارات المعنية. يمكن للحكومات المساهمة في تحمل الأعباء المالية. في أغلب الاحيان هناك منافسة مشروعة وإيجابية بين المناطق والبلديات حول استقطاب السواح والسكان وحول العرض الخدماتي ولذلك من المستحسن ان يتم جذب رؤوس اموال خاصة ان كان للمساعدة او للاستثمار ومؤازرة جهود المجالس البلدية. تعوض هذه الاستثمارات بواسطة حوافز عديدة تدرس في حينه كال BOT مثلاً.

***

يتطلب التجديد المدني اعادة النظر في مواصفات البلدة لتجديد نظرتنا اليها والى دورها في حياتنا اليومية وتنظيم الامور المعيشية لتأمين الدعم الكافي لتنشيط الحياة الاجتماعية والموارد المادية والاقتصادية.

هذا يشكل تغييراً فعالاً لتوجيه الاسواق واستقطاب الفنانين والمفكرين ورؤوس الأموال. هذا التغيير في تعاطينا مع البلدة يشكل قفزة نوعية يجد ثماره في حلاوة العيش وراحة

البال.

ان الارادة السياسية وقدرتها على توحيد الجهود وضم الطاقات وإيجاد الشركاء المناسبين هي النقطة الاساسية للانطلاق.
اتمنى على الزملاء المهندسين تشكيل لجنة متابعة لملاحقة الموضوع وإيصال افكارنا وطموحاتنا الى جميع المستويات.

نحو مخطط توجيهي عام في القبيات

بيارات جمعه

التنظيم المدني

ان التنظيم المدني هو فن يتناول معرفة الاشياء، ويدرس كافة المواضيع المدنية بشكل منتظم ويبحث عن الاسباب الاولية (recherche et enquête sur terrain).
ويعد عمل رصين في حقل التحليل، يحاول تحديد قوانين ومبادئ ادارية استناداً الى تقييمات متتالية. اذ انه من الضروري وجوب الانطلاق دوماً وأولاً من الانسان فقط، في مرحلة ثانية، نراقب استعمال الارض من قبل الانسان.

المخطط التوجيهي:

المراحل المتبعة:

1. Le diagnostic détaillé

Diagnostic détaillé – Problématique – critères de valorisation et recommandations.

تشكل هذه الخطة الرؤية التطويرية للبلدة، المنبثقة عن عملية تشخيص مفصل (Diagnostic détaillé) للمواقع المطلوبة تتميتها، وترتكز مرحلة التشخيص المذكور على الخطوات التالية:

1. موقع البلدة:

- دراسة موقع البلدة وربطها بالنسبة للوطن (Territoire) بالنسبة للقضاء وللجوار .

- دراسة تاريخ البلدة:

* أقدم المستقرات.

* كيفية تطور العمران (les lignes de forces de la dynamique passée, extension, densification).

* المواقع الاثرية واهميتها.

* الأسس التاريخية للبلدة والتكوينية منها. (La structure historique de la ville et ses principes d'organisation).

هذه المعلومات تساعدنا على فهم تاريخ وتطور البلدة وتكوين العقارات.

بيارات جمعه 284

صورة

2. المعطيات الطبيعية:

- * دراسة لمناخ المنطقة من حرارة، هطول امطار، رياح و ensoleillement وهذه العوامل تؤثر على:
  - تركيز البناء exposition des constructions
  - دراسة انابيب تصريف dimensionnement des réseaux
  - تحديد نوع الزراعات المناسبة للمنطقة.
  - انواع السياحات المتوقعة...
- * دراسة جيولوجية وهيدروغرافية.

ذلك يساعد على معرفة ما اذا كانت المنطقة تحوي على طبقات جيولوجية حاملة ومخزنة للمياه الجوفية
ممكن استثمارها للمشاريع الزراعية...

* دراسة نسبة espace urbanisé et milieu naturel

- نسبة الاراضي المزروعة حاليًا
- نسبة الاراضي القابلة للاستصلاح
- نسبة الاراضي الزراعية القابلة للري
- نسبة الغابات.
- * دراسة مدى تأثير العمران على المناطق الزراعية.

3. المعطيات البشرية:

- عدد السكان المقيمين في البلدة صيفًا وشتاءً.
- عدد المسجلين لدى دوائر الاحوال الشخصية.
- دراسة تاريخ واسباب الهجرة على انواعها ان كانت داخل وخارج لبنان.
- التطور الديموغرافي الحالي: عدد الولادات والوفيات - besoins en équipement
- هرم الاعمار لدراسة التركيب السكاني ودراسة نوعية الخدمات المناسبة للأعمار.
- المستوى الثقافي لاهالي المنطقة.
- عدد السكان الغرياء المقيمين في المنطقة localisation afin de prévenir éventuellement des seuils critiques.
- * هذه الدراسة توضح الخصائص الاجتماعية للمنطقة
en relation avec la problématique et par la suite l'action.

4. المعطيات العمرانية

* العقارات: اشكالها ونوع الملكية (privé, public, wakf).
 * La fonction spatiale دور وميزة الاحياء، التفاعل فيما بينهم interrelations وخصائصهم .leur spécificité

* Morphologie, typologie et âge du bâti

* Fonctionnalité et utilisation au sol الاستثمارات السطحية.

* Le patrimoine

- موقعه

- علاقته بالمنطقة

- قيمته impact local et régional – appréciation de sa valeur

* الخدمات equipments et services

1. الخدمات العامة:

- بريد – أمن عام...

- المواصلات.

- الخدمات الصحية: مستوصفات ومستشفيات

- الرياضة، enseignement, culture et loisirs

2. البنى التحتية:

- المجاري

- الزبالة les ordures

- الطرقات والمواقف sécurité routière

3. الساحات العامة:

- موقع الساحات، اشكالها type d'usage

- علاقة الساحات بال milieu urbain، qualité du traitement

- leur potentialité

* السكن Le logement:

- اهمية السكن وامتداده.

- نسبة التطور السكاني.

- سعر م 2 للأرض.

- نوع السكن: vacant, secondaire ou principal

5. المعطيات الاقتصادية:

population active .a

- التنقل اليومي للناشطين (مراكز العمل داخل او خارج المنطقة)
- نوع العمل (تجاري، سياحي، تنقيفي...)
- السوق المحلي للعمل marché local du travail offre et demande d'emploi

tissu économique b.

- أهمية النشاط الاقتصادي importance des secteurs d'activité
- importance des effectifs salariés
- la surface des zones industrielles, artisanales et commerciales, prix
- disponibilité

étude par secteur c.

- الزراعة، الصناعة، commerce, artisanat services et tourisme

La problématique –II

1. على صعيد المعطيات الطبيعية:

- القطاع الزراعي في البلدة ليس مزدهراً علماً ان البلدة تتمتع بمناخ جيد وبثروة مائية.
- اسعار الخضار يتوقع ان تكون ارخص من التي هي عليها في المدن.
- تحول جزء من اراضي البلدة الزراعية من مروية الى بعلية بسبب تراجع الاهتمام بالزراعة واهمال الاراضي الزراعية.

2. على صعيد المعطيات البشرية:

- الهجرة مزمنة في المنطقة وتضاعفت في السنين الماضية بسبب انكفاء المنطقة على نفسها وانحسار المقومات الاقتصادية وضالة مرافق العمل بالاضافة الى الاجتذاب القوي نحو الوسط (العاصمة) للسكان من الاعمار النشيطة - بلدة شبه فارغة في فصل الشتاء - انخفاض في تجدد الاسر الفتية - تراجع في نسبة الولادات - اختلال سكاني في هرم الاعمار.
- المستوى الثقافي في المنطقة على ما اظن عالي جداً ولكن ما هي نسب فرص العمل للجامعيين، المثقفين وذوي الاختصاص؟؟؟

3. على صعيد المعطيات العمرانية:

- نمت البلدة منسجمة مع خصائص البيئة مما حافظ على الطابع الريفي للمنطقة ولكن في الآونة الاخيرة أخذ العمران يتمدد ويتغلغل في الجبال مما يشوه البيئة (القبب اساس تسمية القبيات).
- لا يوجد طابع ريفي مميز (قرميد، حجر وقناطر...).
- لا نلاحظ في البلدة وجود ساحات عامة خضراء مخصصة للاطفال أو للشيوخ او وجود مشاريع

.Culture et loisirs

4. على صعيد المعطيات الاقتصادية:

- معظم الانشطة الاقتصادية سفي المنطقة موجهة الى حاجات السكان داخل المنطقة - مما يجعلها تتأثر بعدد المقيمين في البلدة فهي تتحسر في موسم الشتاء وتزدهر نسبياً في الصيف.
- فرص العمل شبه معدومة.

III- Critères de valorisation & quelques recommandations

بعض مقومات المنطقة الاساسية مع بعض الاقتراحات

* أهمية البلدة كنقطة التقاء للمواصلات البرية كما وجود بعض المدارس والخدمات الصحية يساهم تلقائياً في تنشيط الوضع الاقتصادي. كما نلاحظ ان معظم المتقاعدين يشكلون نسبة عالية من السكان، كون معظمهم في الجيش وهم يلعبون دوراً في تفعيل المنطقة من ناحية العمران...
كما وان مشروع توطين الرواتب يجعل نسبة كبيرة من السكان تنزح من البلدة الى مركز القضاء لقبض رواتبهم والتبضع، من هنا فكرة نشوء بنك في البلدة يخلق فرص عمل وينشط الحركة الاقتصادية ويجعل البلدة نقطة اجتذاب بالنسبة الى المحيط.

* توافر المقومات الطبيعية للزراعة من مناخ وتربة ومصادر مياه تساعد على تطوير القطاع الزراعي والانتاج الحيواني مع انشاء بنى تحتية زراعية، وتوفير الارشاد الزراعي ووضع الحوافز لحمايتها وتسويقها، مما يساعد على نشوء مرافق انتاجية رديفة مثل الصناعات الزراعية والغذائية، وهذا يخلق فرص عمل للقوى العاملة الماهرة.

* يفترض في المخطط التوجيهي لحظ مناطق ذات استثمار صناعي لخدمة هذه الأهداف ولنمو المنطقة.

* ان البيئة الطبيعية والمناخ المميز للمنطقة، بالاضافة الى موقعها الجغرافي، ووجود مناطق اثرية وانتشار سكانها في العاصمة وانحاء البلاد والمهجر، تؤهل المنطقة لوظيفة سياحية متنوعة:

1. سياحة داخلية بما في ذلك سياحة آخر الاسبوع والسياحة الموسمية خاصة لأبناء المنطقة المقيمين في انحاء لبنان، مما يرفع نسبة الاقامة الموسمية في المنطقة.
2. سياحة الاصطياف موجهة للمغتربين المتحدرين من المنطقة.
3. السياحة الثقافية والدينية (الحج) التي تتمحور حول الآثار من هنا ابراز المواقع الاثرية والتاريخية والتراثية وتأهيلها. كما نجد ضرورة تنسيق مشاريع (programme d'activité) مع لجنة البيئة.
4. سياحة العابرين.

من اجل سياحة أفضل علينا تأمين:

1. La structure d'accueil.
2. Les entrées de ville.
3. Les réseaux routiers (sécurité routière).
4. Motels ou système de chalets avec piscine ça active le tourisme en été.
5. Les restaurants.
6. Les parcours touristiques qui relient les sites historiques.
7. Projets de tourisme et de loisirs.

- * القوى البشرية المثقفة مرجحة ان تفعل الحياة في المنطقة في ميادين مختلفة: التعليم والصحة وندوات ثقافية.
- * تحديد للمناطق الارتقافية مع ابراز وجهة استعمال الأراضي فيها (من مناطق صناعية، تجارية، سكنية وسياحية) وتوضيح لعوامل الاستثمار المسموحة ضمنها (امكانية طرح فكرة تخفيف الاستثمار في الجبال واحياناً منع الاستثمار في بعض الاراضي).
- * تحديد للأماكن المرتقبة للتجهيزات العامة الضرورية من شبكات طرق ومجالات معدة للمشاة، ومشاريع المنفعة العامة من ثقافية وترفيهية وسياحية.
- * ارشادات معمارية وتنظيمية ومنظرية خاصة بكل منطقة ارتقافية مكونة من القيم اللونية ومواد البناء واكساء الواجهات والنسب الحجمية من هنا فكرة انشاء لجنة من مهندسين معماريين لخدمة هذه الأهداف.
- * الحفاظ على انسجام وانصهار الخط الغلافي للبلدة مع الطبيعة.
- * ضبط ومعالجة العوامل المسببة للبيئة مثل التطور العمراني في الجبال التي تشوه المناظر الطبيعية (طرح فكرة تصنيف بعض العقارات غير صالحة للبناء (non adeficandi).
- * بإمكان البلدية طرح مشاريع تحت احياء البلدة على المنافسة وعلى تحسين وضعهم البيئي كطرح فكرة القيام بمسابقة لأجمل ساحة عامة مع جوائز وخدمات بيئية.
- * جداول الأعمال الانمائية المنوي تنفيذها مع تحديد مبدئي لكلفة تنفيذ مراحلها مع رزنامة زمنية بالأشغال.

الخلاصة

ان المنطقة بحاجة ماسة الى خطة انماء متكاملة تأخذ بعين الاعتبار جميع الاحتمالات المرتقبة وترسم لها خطط عمل متكاملة وذلك للحد من النزف السكاني المستمر، وتفعيل الحركة الاقتصادية داخل المنطقة والاستفادة القصوى من مقومات المنطقة الطبيعية، ضمن برنامج عمل شامل يحافظ على هذه المقومات، يعمل على ازدهارها ويجعلها منتجة.

المنطقة تتفرغ تدريجياً من سكانها في غياب اي مجهود لخلق الدوافع لبقاء وازدهار السكان في مناطقهم وذلك في ظل جميع الاوضاع المحتملة.

فالحفاظ على الأرض ونمو المنطقة منوطان ببقاء ابنائها في قراهم وبلداتهم، وذلك يتطلب ايجاد جميع المقومات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لحياة مزدهرة.

بالطبع في ظل الأوضاع الراهنة قد يكون من الصعب ايجاد الظروف المثلى ولكن من الممكن ايجاد حلول مؤقتة، متلائمة مع الأوضاع الراهنة، قابلة للتطور مع تبدل هذه الأوضاع مستقبلاً.

تبلغ مساحة عكار الاجمالية حوالي 81 الف هكتار اي 8 في المئة من مساحة لبنان وبهذا تكون الاكبر مساحة بعد الهرمل. ويتميز هذا القضاء بتنوع المناخات فيه بين الشاطئ والسهل (مساحة السهل 18 الف هكتار) ومنطقة وسطية ترتفع هضباتها حتى حدود الـ 500 متر والمناطق الجبلية التي يبلغ ارتفاع بعضها حوالي 2400 متر (جبل عروبة اعلى جبال عكار). وتعتبر عكار منطقة زراعية بامتياز، حيث يشكل العاملون في القطاع الزراعي من ابناءها نحو 60 في المئة. تنتج مختلف انواع المنتجات الزراعية من خضر وحبوب وحمضيات وفاكهة وزيتون. وفيها اهم المواقع الطبيعية غابات وينايع وانهر ومعالم اثرية. ورغم الدور التاريخي المهم الذي سبق لها ان لعبته على مدى تاريخها الطويل، فان هذا الدور قد بهت واضمحل منذ الانتداب الفرنسي وبداية الاستقلال حتى اليوم، وعرفت عكار اعوامًا طويلة من الحرمان تمثلت في افتقارها الى عدد كبير من مشاريع البنى التحتية الاساسية وحاجتها الملحة الى تنفيذ سلسلة من هذه المشاريع الملحوظة والمقرة في جداول مشاريع مجلس الانماء والاعمار، كما في العديد من الوزارات والمؤسسات الرسمية والخاصة.

1. مشروع تأهيل مطار الرئيس رينه معوض وتطويره في القليعات والذي يؤمن اكثر من 6000 فرصة عمل مع بدء تشغيله، وزهاء 21000 فرصة عمل سنة 2018، كما قال الوزير نجيب ميقاتي.
2. اطلاق مشروع سكة الحديد التي تربط لبنان بدول العالم العربي واوروبا عبر سوريا.
3. انشاء معمل الغزل والنسيج الذي اقر مشروعه في قمة الرئيسين اللبناني والسوري التي عقدت العام الماضي في بعبدا.

4. انشاء مشاريع السدود على مجاري الانهر ولا سيما منها المشروع السوري - اللبناني المشترك على مجرى النهر الكبير وبقية السدود المقررة.
5. انشاء البحيرات الاصطناعية وتطويرها.
6. تنفيذ سلسلة مشاريع شبكات ومحطات مياه الشرب لتشمل كل عكار.
7. تنشيط المنشآت الزراعية في منطقة العبدلة للقيام بدورها الرائد في عملية النهوض بالقطاع الزراعي المتدهور.
8. ترميم المواقع الاثرية وتأهيلها، وتشجيع الاستثمار السياحي ولا سيما منه السياحة البيئية.
9. تنفيذ شبكات ومحطات للصرف الصحي.
10. تأهيل المدارس الرسمية وتجهيزها بالمعدات الحديثة كي تواكب العصر.
11. الافادة من شاطئ عكار الذي يبلغ طوله 12 كيلومتراً، من العبدلة حتى العريضة الحدودية مع سوريا.
12. تطوير مرفأ صيد الاسماك في العبدلة ومساعدة الصيادين وتشجيعهم على تحديث اسطول الصيد.
13. تنفيذ مشاريع الطرق الدولية والرئيسية المقررة، وتأهيل شبكة الطرق الداخلية في غالبية قرى القضاء وبلداته.
14. تجهيز المستشفى الحكومي (مستشفى الدكتور عبدالله الراسي الحكومي) في حلبا وتشغيله، وتطوير الخدمات في الدوائر الصحية الرسمية.

301 القبيات

À coller

الباب الرابع

حبوش

بالتعاون مع الجمعية التربوية الوطنية لرعاية المتفوقين في لبنان

والمركز التربوي الفني في حبوش

قاعة محاضرات المركز التربوي الفني في حبوش

تنسيق محمد كاظم مكي

صيانة المرافق العامة واماكن الحياة المشتركة

محمد كاظم مكي

يسعدنا باسم الجمعية التربوية الوطنية في لبنان، والمركز التربوي الفني في حبوش، ان نرحب بكم في هذا المكان الصديق، لنشارك اليوم في مسؤولية تربوية، مدنية موضوعها: "كيف نربي أولادنا على صيانة المرافق وأماكن الحياة المشتركة"

لماذا الدعوة لهذا اللقاء، لمعالجة هذا الموضوع؟

إن شيوع سلوك عدم المحافظة على المرافق العامة، وعدم صيانة أماكن الحياة المشتركة، يستدعي المعالجة، من قبل الجهات المسؤولة أهلاً ومدارس وبلديات ومؤسسات اجتماعية، انها مسؤولية الكبار عن المرافق العامة، ومسؤولية المربين والأهل عن تربية أولادنا على صيانة هذه المرافق...

وفي هذا اللقاء تعاون بين المعنيين الذين هم أنتم في جميع الميادين لتأسيس ثقافة تربوية ومدنية وبالتالي لتكوين مرجعيات مسؤولة عن انضاج هذه الثقافة ونشرها وتعميمها وفق منهجية موحدة، وهذا هو مبرر إقامة هذه الحلقة التي تتكامل فيها خبرات الحضور واقتراحاتهم بدلاً من اعتماد المحاضرات.

وفي المحاضرات طرفان: متكلمون محدودون، ومستحقون كثر.

اما في الحلقات والندوات فكلنا شركاء في تقديم الاقتراحات ومناقشتها وصياغتها تمهيداً لتعميمها.

علم نفس الشأن العام في لبنان*

انطوان مسرّه

ان الصعوبات والمشكلات التي تواجهها المرافق العامة هي من اهم المواضيع في لبنان ومعالجتها تطال كل قضاياها.

1

ما هو واقع علاقتنا بالشأن العام

من الطبيعي في لبنان الا يهتم اللبناني بالشأن العام وبالمرافق العامة، اذ لم يحصل جهد جدي في هذا المجال!

هناك نص لشارل ديغول يعود الى العام 1931 ويتضمن كلمة ألقاها حين كان لا يزال ضابطاً شاباً خلال حفل توزيع الجوائز في جامعة القديس يوسف. يتوجه الى الشباب اللبناني بالقول ان "البلاد تحتاج الى تضحية في الشأن العام وانتم شباب لبنان (سنة 1931) مسؤولون عن ذلك، عليكم بناء وطن وليس تقاسم اجزاء البلد".

والنص الآخر للأب لوبريه الذي جاء الى لبنان في الستينات لاجل دراسة الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية. وضع كتاباً - تقريراً ضخماً حول حاجات واولويات التنمية الاقتصادية في لبنان. خاتمة الكتاب ليست اقتصادية، بل تناولت قضايا ذهنية وسلوكية. انه نص مهم يقول فيه ان لبنان ليس بحاجة الى طرق ومياه وكهرباء... بل هو يحتاج اكثر الى ناس تتجند للشأن العام وتتضامن للشأن العام.

*. ان النص هو موجز مداخلة شفوية ونقلًا عن آلة تسجيل تولت تفرغها واعادة صياغتها ارليت سعادة ابي نادر.

هذان النصان، صدر احدهما سنة 1931 والآخر سنة 1960. لا زلنا نتخبط في مشكلة سلوكية كبيرة. في مؤتمر في المعهد المالي في لبنان تحدث خبراء فرنسيون عن تأهيل الكادرات العليا في الادارة وكفاءات القيايين الاداريين. سأل احد الحاضرين المحاضر الفرنسي ان كان مؤمناً بما يقوله: "هل تعتقد اننا في لبنان مع كل هذا الفساد والبيروقراطيين والتراكمات، نستطيع ان نطبق هذه الافكار؟" أجابه الخبير الفرنسي: "وانت تريد اقناعي بان اللبناني المبدع، الخلاق، صاحب الفكر النير، والذي ينجح في الخارج، لا يستطيع تطبيق هذه المبادئ في الادارة؟"

في الواقع ان الابداع في لبنان والانتفاح والمبادرة والشطارة والقدرة على التكيف والصمود الذي اكتسبناه خلال سنوات الحرب لم نوظفه في الشأن العام! نحن متقدمون في التجارة ونجح في عالم العلم والمعرفة وفي قضايا اخرى عديدة، الا اننا فاشلون عامة في الشأن العام.

خلال قدومنا الى "حبوش" توقفنا حوالي عشر مرات على الطريق لنستدل على المكان الذي نقصده، اذ لا يوجد لوحات عمومية تشير الى اسماء الامكنة. هذا الواقع لا يقتصر فقط على "حبوش". منذ فترة كنت اقصد "حريصا" ليلاً ولم اصادف في طريقي اشارة تدل على اسم مكان عام، بينما العناوين الخاصة موزعة يمينة ويسرة: ملحمة فلان، عيادة فلان... حتى مقر البلدية ما من شيء يشير الى مكانه! اما الشارع الذي هو مكان عام نجد فيه شعارات وصور زعامات. الشارع هو مكان عام يخص كل المارين كما الحدائق العامة حيث يشعر الناس بأنها مكان عام. لم نهتم في توظيف قدراتنا وذكائنا وابداعنا في الشأن العام، وذلك يحتاج الى جهد تربوي وثقافي.

درس علماء النفس في لبنان علم النفس العيادي وعلم النفس التربوي من ناحية ضيقة ودرسوا كيف يكتسب الانسان معرفة وعلاقات عائلية وما الى ذلك. لا بأس. لكن اهم مشاكلنا في لبنان وفي المنطقة العربية هي في علم النفس السياسي. لم يحصل اهتمام على هذا الصعيد. لكن برامج التربية المدنية التي وضعت خلال السنوات 1996-2000 هي اهم انجاز تربوي وثقافي في لبنان منذ العشرينات.

كيف نعالج هذا الواقع؟

لا نستطيع معالجة معضلة الشأن العام بشعارات وخطابات ومبادئ عامة ومواعظ وارشادات. كيف ننقل من الحرص على الشأن العام والكلام عنه الى السلوك والممارسة؟ يحتاج الامر الى منهجية جديدة في علم النفس. لم نمارس ذلك بما يكفي. احصر ذلك هنا بعدة عوامل.

اولاً- الذاكرة: نتعلم عادة التاريخ في الكتاب بينما يجب ايضاً ان نتعلمه في الرصيف والشارع والبيت. نشعر بان لا علاقة لنا بالتاريخ الذي هو خارجي بالنسبة الينا. في حال اعتدى احدهم على اثر تاريخي، او اقتلع حجارة قديمة من الرصيف، لا يعني لنا ذلك شيئاً وكأن الامر لا يعنيننا! ان التاريخ الملقن في المدارس هو تاريخ الحكام واصحاب النفوذ فتشعر ان لا شيء يربطك به، لانه ليس تاريخ الناس. بينما لو طالعنا كتب التاريخ في الخارج نجد فيها الدور الفاعل للناس، حتى متى اعتمدوا الصمت. تاريخ الناس في لبنان غائب. كيف يمكن للبناني ان يشعر بانه في التاريخ وبأن له دور فاعل فيه، في حين ان كل تاريخنا هو تاريخ الحكام والذوات؟ يساهم تعليم التاريخ بشكل كبير بإدراك الفرد بأنه فاعل في التاريخ وبأنه جزء منه. اين التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي بحيث يشعر كل فرد، ومنذ الصفوف الابتدائية، بانه جزء من التاريخ؟ قضية الذاكرة وتعلم التاريخ مهمة لكي يشعر الناس بانهم جزء من هذه البلاد.

ثانياً- شخصنة الشأن العام: ينظر اللبناني الى الشأن العام كأنه لا يعنيه شخصياً بل يخص الغير. نحتاج الى سلوكيات لكي نشخصن الشأن العام بشكل يشعر فيه المواطن بان الشأن العام يعنيه مباشرة، اي ان الشارع هو شارعنا والحي حيه والرصيف رصيفه والاقسام المشتركة في المبنى الذي يقطنه هي ملكه وان له مصلحة شخصية بذلك. متى عاش الانسان في حي لائق ومنظم ونظيف ترتفع عندها اسعار الشقق في هذا الحي، ما يعود بالفائدة على قاطنيه... الى اي مدى قمنا بجهود تشعر الفرد بان الشأن العام ليس خارجاً عنه، انما ينعكس عليه بطريقة مباشرة او غير مباشرة؟

ثالثاً- التضامن والمسؤولية بين الاجيال؟ الذين يعيشون في مساكن قديمة والمضطلعون على تاريخ عائلتهم يمتلكهم شعور بترابط الاجيال ويدركون المسؤولية بين الاجيال، فلا يقولون: "ومن بعدي الطوفان". من هذا المنطلق ألمس بشكل محسوس بأنني حصيلة جهود قام بها كل من ابي وجدتي وكل افراد عائلتي. لا يجوز الاستخفاف بالتاريخ المصغر والتاريخ المحلي والتاريخ العائلي او اعتباره فنوياً. تاريخ العائلة وتاريخ الحي والشارع يدفع بالفرد للاحساس بانه جزء من كل وبانه استمرارية.

رابعاً- رؤية بعيدة المدى: احياناً نقول: شو هالبلد! لا يجوز قول ذلك. لكل منا دور يؤديه. اذكر ان زوجتي موظفة في وزارة المالية كان يشتكي منها موظفون قائلين: لا تستقيدين ولا تدعيننا نستفيد! اجابت احدهم مرة: "لا اريد ان يتعرض ولدي بعد عشرين سنة الى الازلال عندما يقصد ادارة عامة!" على كل منا ان تكون لديه هذه النظرة البعيدة، الى اولاده واحفاده. اي مستقبل نبنى لاولادنا ولاحفادنا؟ استغرب كيف يستطيع انسان بعد بلوغه الخمسين التشبث بأنانية ضيقة وعدم التفكير بالاجيال المقبلة. يقال ان اللبناني بدائي ينظر الى المدى القريب. يمازح بعضهم قائلاً ان شارل ديغول يفكر بالتاريخ حتى وهو يلبس جواربه! لو فكر كل معلم بما قد يصبح عليه تلاميذه في المستقبل: رئيس جمهورية، وزير، استاذ مهم، مفكر مبدع، رب عائلة...، فلا شك بانه سيغير نظرتة للامور واسلوبه في التعليم.

خامساً- الشأن العام مشاركة ومساهمة: لو اردنا ان يهتم كل من التلميذ وعضو البلدية والقاطن في المنطقة... بالشأن العام، علينا ان نفسح له المجال للمساهمة فيه، بمعنى ان يزرع مثلاً شجرة ويعنتي بها. خلال الثورة الايرانية لم يقدم اي مواطن ايراني على قطف وردة من الشارع العام... ويخبر احد التلاميذ وقد درس في ايران بأن كل تلميذ كان مسؤولاً عن شجرة في المنطقة المحيطة بمدرسته. حين يعنتي بهذه الشجرة ويرويها سيعمد بعد ذلك الى حمايتها. المشاركة والمساهمة توديان الى حماية.

سادساً- المال العام هو مالي: لا نشعر حسياً بالضرائب والرسوم في حين يجب ان نشعر بها. متى شعر المواطن بثقل الضريبة والرسم المالي يعمل حينها على المطالبة والمحاسبة.

في الادراك السائد في لبنان ان المال العام هو مال الغير، او مال سائب، في حين ان المال العام هو مال كل مواطن. كيف يمكن حمل المواطن على ادراك هذه الحقيقة؟ يمكن للمواطن ان يدرك ذلك على المستوى البلدي المصغر، اذ انه يعرف قيمة المال الذي يدفعه وكيف صرف، واذا ما شقت الطريق ام لا، وكم كلفت... بينما لا يمكنه ادراك معنى الارقام بالمليارات التي تصرف على مستوى الوطن ككل. يسهل على المواطن فهم الارقام المالية الصغيرة المصروفة في بلدته وقريته وحيته وحصول ادراك نفسي للموضوع. ان مسألة الادراك الحسي والملمس للضريبة مهم. طلبت مرات عديدة في برامج التربية المدنية متابعة عائلة متوسطة الدخل لمعرفة حجم الضرائب والرسوم التي تدفعها خلال عام. هذا الامر يدفع العائلة للقيام بحساباتها وبالاحساس الملوس بحجم المساهمة وعندئذ سيظالبون وسيحافظون على المرافق العامة والمال العام. في كندا مثلاً اذا انهار جسر يعلمون المواطنين على مدى اكثر من شهر بانهم سيزيدون الرسوم للقيام ببناء الجسر. لا يفعلون ذلك بدافع البخل، انما لكي يفهموا المواطنين بان كل ما يتهدم سيكلف مالا لاصلاحه والمواطن يتحمل الاعباء المالية.

سابعاً- النقاش العام: البرنامج الذي تديره المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم عنوانه "الحكمية المحلية". تفاجأت بنتيجة اعمال البرنامج انه لم يقدّم اشخاص في اي من البلدات بجمع الناس للمناقشة بقضية حياتية عامة متعلقة بالرصيف والنفايات والطرق والتشجير... كل الامور الحياتية اليومية والمشاركة مسيسة لصالح زعامات. واذا دعت احدى العائلات في القرية الى اجتماع، ترفض عائلة اخرى المشاركة فيه، علماً ان الموضوع لا يتعلق بالسياسة ولا يتعلق بخلافات العائلات انما يطال شؤون الناس الحياتية اليومية. لم يحصل نقاش محلي عام! وهل نمارس في المدارس نقاشاً عاماً حول قضية مشتركة؟ ليس المقصود بالنقاش البراعة الكلامية او القدرة على تقديم البراهين او على الاقناع كما يحصل في بعض برامج التلفزة، بل نقاش عام لبلورة رؤية مشتركة حول موضوع مشترك.

تضمنت برامج التربية المدنية فصلاً عن الاحزاب. اعترض عليه معلمون خلال الدورات التدريبية على اعتبار انه يؤدي الى خلافات بين التلاميذ فور المباشرة به، ما يضطر المعلمين الى ايقاف الدرس! على العكس: هنا يبدأ الدرس اذ ليس المطلوب الانتماء الى الحزب

الفلائي او غيره، بل تعليم التلاميذ كيفية الاستماع الى بعضهم فيستخلصون من خلال التبادل رؤية عامة. لا يتقن المعلمون ادارة نقاش حول موضوع مشترك.

ثامناً - علاقتنا بالمكان: علاقتنا بالمكان نزاعية صدامية هجومية. يعود ذلك ربما الى رواسب بدو عندنا، وساهم التهجير في ذلك. المهجرون القادمون من منطقة معينة لا تربطهم صلة بالمنطقة او بالحي الذي لجؤوا اليه. وساهم تدريس الادب في ذلك، وطريقة تعليم العلوم بحيث ننظر الى الطبيعة على انها جماد، مع انها في الواقع تذخر بالحياة وهي كيان حي. الشجرة تنمو والحجر يتفاعل مع الكون. كم يعجبني من نسميهم الوثنيين الذين كانوا "يعبدون" الطبيعة. كانوا ارقى منا اذ كانوا ينظرون الى الطبيعة على انها كيان حي! خلال تواجدي في جامعة في لندن صادفت ثلاثة عمال يقومون ببناء تصويينة. كانوا ينفذونه كمن يقوم بحل مسألة حسابية. باشروا بمد الاوراق على الارض. جمعوا التراب في مكان والرمل في مكان آخر، وبنوا الحائط بشكل مدروس ودون ان تتسخ ملابسهم... بينما في لبنان، ولوضع مسمار او للقيام بأي عمل بسيط، يتسخ كل المكان المحيط، لان علاقتنا بالمكان صدامية ونزاعية وهجومية.

3

ما هي مجالات العمل؟

1. **توصيف المخالفات:** نقول للتلاميذ في المدرسة: غير منضبط، فوضوي، لا يحترم الآخرين... يجب ان نعتمد توصيفاً أكثر وضوحاً، فنكتب على دفتر علامات التلميذ: لا يحترم الحياة المشتركة! المشكلة هي في احترام الحياة المشتركة والعلاقة مع الآخرين. وعلينا اشراك التلاميذ ولجان الاحياء في البلدات لتكون مسؤولة، لكي تبادر وعندها يحافظون على الملكية العامة. وتعليم الادب والتاريخ مشكلة كبيرة. وتعليم التاريخ مهم لادراك الزمن والتضامن بين الاجيال والمسؤولية واكساب المتعلم رؤية بعيدة لدوره في التاريخ.

2. **العمل على المستوى المصغر:** كل سياسة بعيدة المدى هي محلية. من المؤسف ان العلماء العرب تعلموا الامة العربية والدولة واللامركزية والانظمة السياسية والدساتير...، بينما المجتمع بالنسبة الى هذه القضايا هو في عالم آخر. كيف يتعلم الولد في المنزل القواعد المشتركة؟ العلاقات في العائلة العربية قائمة على نفوذ وليس على قاعدة. والعلاقات في الصف قائمة على نفوذ. عندما يسأل التلميذ معلمه: لماذا نلت صفراً في الامتحان؟ يجيبه المعلم: انا اصحح هكذا! المطلوب العمل على المستوى المصغر ومتى حصل ذلك فهو يدخل في سلوك الانسان ويمكنه رؤية نتائجه وتتراكم النتائج مع الوقت.

لم تحصل جهود كافية على المستويات المصغرة. شاهدت في اوائل شباط 2003 برنامجاً تلفزيونياً على قناة TF1 عنوانه Les Palmes du courage تقدم فيه جوائز لمن قام بمبادرات تتصف بالشجاعة. تضمنت الحلقة حوالي عشرين نموذجاً قام بها اناس عاديون في فرنسا تصب كلها في خدمة الصالح العام: انقاذ طفل من الغرق، تقديم مساعدة...

كيف نصوغ برامج فيها متابعة وتثير الحماس والاقتداء في التربية على الشأن العام؟ يكمن خلاص لبنان في هذه الناحية بالذات. كتبت مؤلفات واطروحات ورسائل عن الطائفية، بينما المعالجة الجدية للظواهر الطائفية هي المجال العام. في ملكية مشتركة من عشرة مساكن، احد القاطنين هو منعزل، بيتوتي، لا يقيم علاقات مع احد ولديه ذهنية خاصة و"خصوصياته"،

لكنه يدفع الموجبات المستحقة تجاه المبنى ويساهم في انتخاب لجنة البناية ويحافظ على النظام. بينما مالك شقة آخر هو منفتح، مجامل، وتقدمي ولكنه لا يؤدي واجباته. ما يحصل عادة هو استهداف البيوتوي المنعزل... لان لديه خصوصياته ولكي يصيح مثلنا. ثمانون في المائة من القضايا في هذا المبنى مشتركة. المهم التركيز على القضايا المشتركة، وليفعل القاطن المنعزل ما يريده. من المرجح اذا ما كانت البناية جميلة والامور المشتركة فيها منظمة سوف يتغير هذا البيوتوي والمنعزل اذ سيرتاح نفسياً وينسجم لاحقاً مع الآخرين.

ما نحتاجه هو التربية على الشأن العام اي:

1. الملكية العامة وتضم عقارات عامة، طرقات، ارصفة... وهي مسجلة في الدوائر العقارية.

2. المال العام وهو مساهمة من الافراد ومن الاجيال من ضرائب ورسوم.

3. الشؤون العامة وهي تختلف عن الملكية العامة وعن المال العام وتحتاج الى نقاش وهي حصيلة نقاش. يتعلم المواطن من خلال النقاش الديمقراطي مفهوم الشؤون العامة.

ملحق

في خطاب ألقاه شارل ديغول سنة 1931 في حفلة توزيع الجوائز في جامعة القديس يوسف في بيروت، وكان اذ ذاك ضابطاً في ريعان شبابه، جاء ما يلي:

"ان التضحية في سبيل المصلحة العامة امر ضروري لاننا في مرحلة اعادة البناء. ودوركم يا شباب لبنان هو اليوم مباشر وملح، ولا يحتمل التأجيل، لانكم في مرحلة بناء الوطن. على هذه الارض الرائعة وذات التاريخ المجيد، التي يربطها البحر بالغرب (...). عليكم بناء دولة. ليس فقط بتوزيع الوظائف، بل باعطاء لبنان حيويته وقوته الداخلية التي بدونها تبقى المؤسسات فارغة. عليكم واجب ادراك الشأن العام وتغذيته. يعني ذلك تضامناً عفويًا لكل فرد

منكم مع المصلحة العامة. انه واجب الحكم والقضاة ورجال الامن والموظفين. لا يوجد دولة حيث لا توجد تضحيات: لبنان اليوم ثمرة التضحيات العديدة؟¹

***

توصل الاب لوبريه في الابحاث التي اجراها في اطار بعثة ايرفد عن "حاجات لبنان الانمائية ومقدراته" الى الاستنتاج التالي حول السلوكيات من اجل الانماء:

"ان ما ينقص لبنان بصورة اكيدة قبل الماء والكهرباء والمواصلات هو فقدان فرق عمل تركز نفسها للمصلحة العامة، وتعمل بروح تعاونية على جميع المستويات، لحل المشاكل العديدة في الحقلين الاقتصادي والانساني. اذا لم يحصل تحول في ذهنية النخبة الشابة، واذا لم تحدث في لبنان ثورة فكرية وخلقية، يكون الانماء واهياً ولن يستطيع لبنان اداء دوره لا في الداخل كعامل تماسك، ولا في الخارج كمركز حضاري عالمي. ان مبرر وجود لبنان وديمومته هو انساني في الدرجة الاولى. النزعة الفردية تفقد كل نجاح معناه وقيمتها، ولا ينقذ لبنان واللبنانيين سوى العمل التضامني في الداخل ومع العالم. ان تغيير الذهنية وتغيير السلوك والتضامن الوطني اليومي تسهل تنفيذ خطة الانماء. ربما يظهر بأن الاصرار على العوامل الخارجة عن الاقتصاد، ومنها العنصر الانساني، امر غير مألوف. انه لسلوك مرضي ان نترك لغيرنا انجاز ما يمكن ان نفعله بأنفسنا"².

¹ . Jean Lacouture, *De Gaulle*, vol. 1 : *Le Rebelle*, Paris, Seuil, 1984, pp. 165-166.

Texte intégral ap. Alexandre Najjar, *De Gaulle et le Liban*, vol. 1, 1929-1931, Ed. Terre du Liban, 2002, 118 p., pp. 69-71.

² . Ministère du Plan, *Besoins et possibilités de développement du Liban. Etude préliminaire*, 2 vol., Beyrouth, Mission Irfed-Liban, 1960-1961, vol. 2, pp. 476-477.

مصالحة مع الذات والذاكرة والوطن

انطوان مسرّه

كنا بحاجة الى طلاب في كلية الطب في جامعة القديس يوسف لمقاربة موضوع الهوية بطريقة اخرى غير تلك المعتمدة في كليات علوم انسانية. اجرى الطلاب، كاطباء وعلماء اجتماع متدربين وبادارة البروفسور جاك بوشار، تشخيصًا وتحليلًا كيميائيًا للهوية، ومن ثم عملية جراحية مؤلمة وشفافية في سبيل مصالحتنا، بعد سنوات من الهويات الفاتلة، مع المكان والذاكرة والآخر. انها مقاربة عملائية حية ومعاشة للهوية.

قد يظن البعض انه عندما يغوص الانسان في المكان والذاكرة والتاريخ العائلي فهذا شوفينية وانانية وانكفاء ويؤدي الى تنمية الولاءات الاولية التي ترفضها الانظمة التوتاليتارية وارباب الوحدة الانصهارية (والانصهار يفترض حديدًا ونازًا!).

تظهر تجربة الطلاب العملائية العكس تمامًا. من خلال استقصاء يبدو فرديًا وخاصًا يكتشف كل واحد عمق شبكات التضامن والمسؤولية الجماعية والعلاقات بين الاجيال. فيساهم ذلك في موضعة الانسان في الوطن المشترك والتاريخ المعاش في عملية اعادة بناء الهوية. وتاليًا تتحول الهوية من شعار الى انتماء، في تعددية الجذور ولكن ضمن مصير مشترك. من خلال الغوص في التاريخ الفردي والعائلي يكتشف الانسان هوية جماعية مشتركة.

***

بعد سنوات من الحروب والمعابر وفقدان المرجعية لدى الشباب اللبناني، تبرز الحاجة الى اعادة تكوين هوية متعددة الجذور ومشاركة في آن، غالبًا في مدن مدمرة ولكنها ترفض الزوال. وما حصل هو غوص في مساحة داخلية ومتداخلة مع الذات. وكان تطهير للذات في مصالحة مع الجغرافية والذاكرة والآخر. يمكن استكمال العمل من خلال اسماء الشوارع: اللمبي، بليس، بشارة الخوري، رياض الصلح... يكتفي التلامذة في المدارس بتقريغ امثولات في التاريخ اذا لم يتعلموا التاريخ في الشارع والحي والحديقة العامة والمدينة... يكمن هنا فن بناء مجتمع.

يستخلص بشكل ملموس من دراسة السوق ان اناسًا مختلفي المشارب يعتمدون مواقف مشتركة ويعيشون التبادل. انها وحدة السوق، مرآة المجتمع الكلي وركيزة كل مجتمع. "ان تدمير السوق هو تدمير للمدينة، حسب البروفسور جاك بوشار، وقد دمرتم السوق ويقتضي عدم تكرار ذلك. السوق هو جسر الالتقاء". في سوق الاحد في سن الفيل، لا سياسة ولا دين، ولكن في هذا السوق يتكون الانسان المجتمعي. انه ايضا خط توتر عال عندما يحصل تشكيك حول موقع السوق. ان حياة كل زيون وبائع متميزة ومتشابهة في آن.

***

اكتسب الطلاب في بحثهم حول الهوية ثلاث منافع:

1. **نظرة اجتماعية:** قد يكون الانسان مجازًا في علم الاجتماع وكاتبًا في هذا الاختصاص دون ان يتمتع بنظرة اجتماعية بمفهوم الصلة الاجتماعية وشبكات العلاقات والتضامن.

2. **نظرة انسانية:** من خلال بداهة الوقائع اليومية، وبخاصة في بعض حالات البؤس في الاسواق، اكتشف الطلاب ابطالاً مجهولين هم نماذج في الشجاعة والثقة بالنفس والقدرة والايمان بالحياة التي هي اقوى من كل المصاعب.

3. **البحث عن معنى:** في عالم تكنولوجي ومجتمع استهلاكي وسوبرماركت قيم اكتشف الطلاب معنى الكائنات. يفوق هذا المكتسب ما جناه الطلاب في علم الاجتماع. انهم يرتقون من خلال تجربة بديهية وبطولية الى ارقى مستويات الروحانية. ان تكون مكتشفًا معنى الكائنات والاشياء فهذا يناقض الصدفة والعبثية والقدر. انه سر الحياة والسعادة.

Espace, mémoire et citoyenneté

Une oeuvre de réconciliation

Antoine Messarra

Il fallait de futurs médecins pour appréhender le problème de l'identité, autrement qu'on ne le fait souvent, avec des séquelles idéologiques, dans des facultés de sciences humaines.

En médecins et sociologues, les étudiants, sous la direction du professeur Jacques Beauchard, ont procédé à une *anatomie* et à une *physiologie* de l'identité, et enfin à une *opération*, pénible et salutaire et au sens chirurgical, pour réconcilier les Libanais après des années d'identités devenues meurtrières, à la fois avec *l'espace*, avec la *mémoire* et avec les *concitoyens*. Il s'agit donc d'une approche pragmatique, vivante et vécue de l'identité.

***

Quand chacun plonge dans le lieu, la mémoire et l'histoire de sa famille, on peut croire que c'est du chauvinisme, de l'individualisme, aboutissant au développement des allégeances primaires, bête noire des régimes totalitaires, de tous les jacobins et partisans de l'unité forcée et du *insihâr* (intégration, par le fer et le feu !).

Or l'expérience pragmatique et hautement sociologique des étudiants de la Faculté de médecine de l'Université Saint-Joseph prouve tout le contraire. A travers une investigation apparemment individualiste et privée chacun découvre la profondeur des réseaux de solidarité, de responsabilité collective et des liens entre les générations. Il parvient ainsi à mieux se situer dans la patrie commune et l'histoire partagée, dans une perpétuelle reconstruction d'une mosaïque et d'une identité-carrefour. L'identité cesse alors d'être un slogan pour se transformer en appartenance, certes dans la multiplicité des origines, mais dans la communauté du destin. Paradoxalement, la plongée dans l'histoire individuelle et familiale fait retrouver l'existence collective et partagée.

***

Après les guerres au Liban, les démarcations et la perte de repères chez les jeunes libanais, il fallait un travail de recomposition d'une identité multiple et une, dans un espace riche parce qu'il est multiple, avec des consensus et des confrontations, souvent dans des villes détruites, mais qui refusent de disparaître. Ce fut une plongée dans un territoire intérieur et intériorisé.

Ce fut aussi une catharsis qui réconcilie chacun avec *l'espace*, la *mémoire* et *l'autre*. On pourrait poursuivre l'investigation à travers les noms des rues : Allembey, Blis, Béchara el-Khoury, Riad el-Solh... L'histoire du pays, on ne fait que la réciter à l'école, si on ne l'apprend pas dans la rue, le quartier, le jardin public, la ville... Il y a là tout un art pour faire une société.

***

Il ressort de façon tangible de l'étude des marchés que des gens différents adoptent des attitudes communes afin de vivre l'échange. Le marché est un lieu de métissage par excellence des clients. Au coin d'une petite ville se manifeste toute la société. Unicité donc du marché, miroir de la société globale et socle de toute société, unicité du multiple. « *Détruire le marché, c'est détruire la cité*, explique Jacques Beauchard. *Vous l'avez fait. Il ne faut plus le refaire. Un marché est un pont où les gens se rencontrent avec une ambiance et un rituel.* »

Dans *Souk al-Ahad* (marché du dimanche), pas de politique et pas de religion, mais c'est là où un vrai être collectif se forge. Mais c'est aussi une ligne de haute tension politique quand la localisation du souk est contestée.

L'existence de chacun des clients et des marchands est spécifique et partagée.

***

Les étudiants, en recherchant ainsi l'identité, en ont tiré trois grands profits :

1. *Un regard social* : On peut être un spécialiste en sociologie et avoir écrit des livres doctes sur la sociologie, sans pour autant avoir un regard social sur les êtres et les choses, en termes de lien social, de réseaux d'interaction et de solidarité.

2. *Un regard humain* : A travers la banalité et la monotonie du quotidien, et même la misère dans les souks, les étudiants ont découvert des êtres admirables, des héros sans ostentation, des exemples de courage, de confiance en soi, d'énergie et de grandeur devant lesquels on s'incline, honteux de soi-même et en tout cas enthousiasmé et avec une foi profonde dans la vie, plus forte que tous les aléas, contingences et malheurs de l'existence.

3. *Un regard porteur de sens*. Dans un monde technologique et de consommation et dans un supermarché moderne de valeurs, les étudiants ont découvert le sens des êtres et des chose. Cet acquis dépasse les exigences de la formation. C'est à travers cette expérience à la fois de banalité et d'héroïsme (François Mauriac parlait de l' « *héroïsme de la banalité* » à propos de Victor Hugo) que les étudiants touchent à la plus haute dimension de l'âme, le spirituel et le divin. Etre un découvreur de sens, c'est le contraire du hasard, du destin, de l'absurde. C'est le secret de la vie et du bonheur.

كيف نربي اولادنا على صيانة المرافق العامة واماكن الحياة المشتركة*

جوزف ابي راشد

إذا اعتبرنا ان الحياة العامة والحياة المشتركة هي قمة الهرم الذي نطمح اليه فيجب ان يكون اساسه الولد او المواطن الصغير. فهو منذ نشأته يمر بمرحلة متوسطة تمثل المواطن في القرية او في المدينة. من المهم ان نبحت في العلاقة بين الولد واهله وبين التلميذ واساتذته ومدرائه، والعلاقة بين المدير والمعلمين وبين المعلمين والتلميذ وبين الهيئات البلدية والاختيارية وسكان القرية، اذ انهم يشكلون في النهاية الدولة الصغيرة. وإذا ما سلمت المجتمعات الاهلية في لبنان وكان تصرفها تصرفاً مثاليًا فمن المحتم ان لبنان سيصل الى نهضة سريعة تتمثل في حياته السياسية بشكل عام.

المرافق العامة هي كل ما يمكن ان يستعمله كل مواطن ولا يشكل ملكية خاصة، اي الطرق العامة، الارصفة، الادارة، الحدائق العامة، الساحات العامة، المباني والمؤسسات المدرسية... والاماكن المشتركة هي اماكن لقاء العنصر البشري، وهي مشتركة بين كل الناس، اي يمكن ان يؤمها اكثر من شخص.

***

كيف هو وضع اللبنانيين مع الاماكن العامة والمرافق المشتركة؟ تطالعنا يومياً شكاوى في الصحف. علينا ان نتناول هذه القضايا الواقعية لانها هي المهمة وتؤدي في النهاية الى فرض الضرائب كما تؤدي الى اضرابات ومشاكل. اذا فرضت على الفرنسي مثلاً ضريبة اضافية بقيمة اورو واحد في الشهر، يقوم "بثورة"، اولاً ليعرف كيف سيصرف هذا الاورو، وبعد معرفته كيفية صرفه يتابع ليتحقق من انه صرف كما هو مرسوم له، ويقوم بعدها بالمساءلة والمحاسبة

* ان النص هو موجز مداخلة شفوية ونقلًا عن آلة التسجيل.

ليعرف اذا ما صرف بوجه قانوني. في لبنان اليوم كل قضايانا مخربة ومتراكمة: الهاتف، الكهرباء، المياه... هناك قواعد بديهية في العالم لم يصل اليها لبنان بعد ويجب ان نتعلمها. في الشأن الصحي غير مسموح ان تمر قساطل مياه المجاري ومياه الشرب في خط واحد. ومع وجود الحاسوب (الكومبيوتر) يجب ان تتوفر خرائط في كل مؤسسة، على ان يقوم كومبيوتر مركزي بتنظيم الخرائط بشكل يسمح بتطابقها ويوضح تشعباتها في قضايا المياه والكهرباء والهاتف ويسمح بتوضيح الرؤية لكل عمل جديد. لا بد من وزارة تصميم في لبنان، وقد سبق ان وجدت في عهد الرئيس فؤاد شهاب. هناك جرائم ترتكب بحق لبنان يجب العودة اليها والتكلم عنها. كنت اتابع الاب لوبريه اذ كنت اعمل مع مؤسسة ايرفرد، كانت تدمع عيناه عندما يتكلم عن لبنان، ويعدده اخذوا كل تقاريره ونفذوا جزءاً منها تاركين الاشياء المهمة، ونتج عن ذلك متاهات المرافئ البحرية وسطو بعض الناس على الدولة.

رمي النفايات في الشوارع له علاقة بأخلاق الانسان. قرأت مقالة رهيبه حول جريمة ضد الاشجار حصلت في قمة برصا. قطعت الاشجار لخدمة بائعي الفحم. فهل يعقل في عصر الكهرباء والبدايل عن الفحم التي لا تحصى ان نقضي على غابات في لبنان؟ وهنا لدي مفهوم آخر للاعمال التي قدمها الرحابنة وفيروس في هذا المجال، فمنذ اربعين سنة واللبناني يستمع الى فيروس وهي تشد "لبنان يا اخضر حلو" فاعتقد ان هذا الجبل الاجرد هو اجمل جبل في العالم ولا يحتاج لان نضيف عليه شيئاً، ولكن لو كان اللبناني المقيم يسافر ويشاهد افلاماً عن بلدان العالم لادرك فداحة التصحر الذي يتأكلنا. لا يجوز اقتلاع الشتل وقطف الورود، فهي وجدت لأميرين: للتمتع بشكلها الجميل او بعطرها. في بلدان العالم المتقدمة لا يستعملون الحديد او غيره من المواد الصلبة لرسم حدود المساكن بعضها عن بعض خشية تشويه المنظر، ويستعيضون عنها بمساكب الورود فتشكل حدًا فاصلاً بين الفيلات وبين المسكن والاخر.

***

المدارس في لبنان تحتوي على مقاعد وطاولات وحنفيات مكسرة وزجاج محطم ومراحيض في حالة مذرية. والاساءات الى الآثار عديدة ومتكررة، وليس أسوأ مما قرأناه منذ ايام حول ما يحصل من خلال ترميم الجامع العمري وهو واحد من آلاف المواضيع... لكل حجر اثرى وجه قداسة لانه يحمل تراث الاجيال الغابرة، فالانسان الذي نحته وبناه يستمر من خلال

هذا الحجر فقد سكب من روحه في هذا الحجر ويحيا من خلاله. تحصل جرائم عديدة اليوم تستهدف الآثار بهدف بناء متجر أو مسكن خاص أو بهدف تزيين الحدائق الخاصة بالحجارة الأثرية.

هناك مشكلتان أساسيتان علينا مواجهتهما في القرن الواحد والعشرين وهما البيئة ومياه الشفة. هاتان المشكلتان هما الأهم في العالم، أهم من البترول والحروب. فمن تتوفر في أراضيه بحيرة ماء حلوة كالبلدان السكندنافية وبعض الأماكن في ألمانيا يعتبر الأغنى في العالم. كان موريس الجميل ينبهنا إلى أن سعر مياه الشفة يفوق سعر البترول وكنا نستخف بهذا القول، واليوم ندرك هذه الحقيقة.

***

هناك نقص في التعاطي، فالعلاقة بين البلدية والناس مقطوعة أو ضعيفة، كما العلاقة بين النظار والتلاميذ أو بين الأهل وأولادهم وهذا يحتاج إلى شروط محددة لكي تتحول كل القضايا المذكورة، من معلومات وغيرها إلى سلوك. وهذه الشروط تلخص بما يلي:

1. يجب أن يكون في شخصية كل منا تعطش إلى **الثقافة والعلم** نزرعهما في نفس كل من نتحمل مسؤوليته. على الإنسان أن يكون عالمًا ببعض الأمور، فالتطبع العام سيصبح إلى حد ما جزءًا من الثقافة العامة. هناك أمور لم تعد تحتاج إلى اختصاص لكي يعرفها الإنسان إذ باتت من البديهيات. العلم يسلح الإنسان بالقدرة على وعي المشكلة على صعيد البيت أو المدرسة أو البلدية ومعرفة أبعادها نظريًا، فيدرك إلى أين يمكن أن توصله مخططاته.

2. أمر آخر مهم وهو التماهي بين ما هو عام وما هو خاص، فنطبق تصرفنا في ما هو عام مع تصرفنا في ما يخصنا مباشرة. يمكن تدريب التلاميذ والأولاد على ذلك في خلال تصرفات صغيرة: عدم الكتابة على الطاولة في المدرسة ما يوفر على الدولة مصاريف دهنها أو استبدالها، عدم التعطيل إلا في الظروف القاهرة، نظرًا لما ينجم عن التعطيل من خسائر... أن ما يكتبه الشاعر سعيد عقل في هذا المجال يوضح لكل مواطن ما ينجم عن كل هدر وأن كل توفير هو توفير على الدولة وحسم من الضرائب... عندما يعي المواطن كل ذلك يمكنه الوصول إلى درجة من النضج المدني.

3. ويجب ان يكون المنطلق في المعاطاة مع الغير هو المحبة، فهي اساس كل شيء. يقول جبران ما معناه: قم بنسج الملابس وانت تفكر بان من تحب سوف يرتديها، والعديد من المصانع في اميركا يستعمل اقواله المماثلة في العمل كآيات تعلقها على مرأى من العمال، لكي يعملوا باتقان وبلا غش.

4. ان المعاطاة مع الغير يلزمها اصغاء وليس مجرد استماع فكل شخص بإمكانه الاستماع دون ان يستوعب بالضرورة، اما الاصغاء فهو امر آخر. نستمتع حتى النهاية وياحترام ونتحاور بتواضع ("من وضع نفسه رفعها") وعلينا ان نعرف ان هناك اشياء نتقصنا في هذا العالم ما يوصل الى حدود الثقافة والمعرفة. يحكى ان احد الفلاسفة وهو على فراش الموت وزملاؤه الى جانبه يقومون بتوديعه، حصل جدل بين اثنين منهما حول قضية معينة، فطلب منهما احضار الكتاب الخامس من مكتبته اذ يجدون فيه على الصفحة كذا الجواب المرجو، وبوده ان يعرف ما هو. قالوا: نحن هنا لوداعك، ننظر في الموضوع لاحقاً. فتمنى عليهما: اريد ان اموت ولا اكون جاهلاً هذا الامر بل عارفاً به! فما من حدود للمعرفة.

5. كما علينا الابتعاد عن كل ما يسيء الى الشخصية الانسانية بالقول او بالفعل من خلال معاطاتنا، وخاصة في المدارس، فلا زالت هناك مدارس تتعاطى مع الكائن الصغير بكلام بذىء وبالضرب، علماً انه بإمكاننا تعويد الانسان على الحوار والاصغاء والتواضع ابتداء من سنواته الاولى.

6. امر مهم يتقصنا في لبنان وهو قرن القول بالفعل، فالكلام عندنا في مكان والفعل في مكان آخر وهذا لا يجوز. يجب ان ينسجم المرء مع كلامه فمتى حصل ذلك ينتقي الجرم من المحاكم وخاصة في القضايا السياسية والمدنية والاهلية والرسمية. التقاحة المهترئة تقضي على الصندوق بكامله، وبامكان التقاحة السليمة في الحياة العامة ان تصلح الاعوجاج القائم. علينا اتخاذ وسائل للحياة فإذا ما أمنا بها نسعى الى تحقيقها. والاخلاص هو صفة انسانية مهمة مع الملحد ومع الوثني ومع اي كان. يقول عمر الخيام:

“Tout le monde sait que je n’ai jamais murmuré la moindre prière, tout le monde sait aussi que je n’ai jamais essayé de dissimuler mes défauts, j’ignore s’il existe une justice ou une miséricorde, cependant j’ai confiance car j’ai toujours été sincère”.

7. وعلينا ايضًا اعتماد **الخيال والطموح** والا نخاف منهما لان من يبقى في مكانه يتحول الى ما يشبه مستنقع مياه. الوقت يمشي ومن يتوقف يتأخر. المطلوب عدم الشعور بعقدة الذنب تجاه كل ما هو قديم وتراثي. كل الانسانية هي عبارة عن مداميك. اخبرني اهلي عن طالب في الجامعة الاميركية كان يقصده والده كل فترة للاطمئنان عنه ومعه بواكير الفاكهة، فيخجل به امام رفاقه ويقول لهم انه الحداثي عند اهله! لكن لا يلبث رئيس الجامعة ان يعلم بالامر ويوبخه امام رفاقه. وكم نصادف اليوم اشخاصًا يخجلون من انتمائهم الى قرية صغيرة، مع انه ليس اجمل من ان يشرح المرء للآخرين عن مميزات قريته التي لا يعرفها كل اللبنانيين، او ان يهتم بأهله العجزة، هذه كلها قيم لبنانية على طريق الزوال بسبب عقد تافهة.

8. اهم ما يمكننا فعله هو اعتماد **العمل الجماعي** المنتج والشجاع والرائد، ان انتخبنا ام لم ننتخب. علينا كلنا، بلدية ومختارين ومعلمين ومدراء... التعاطي مع الجميع على اننا نمثل الجميع ويكون هدفنا واحد ولصالح البلدة الصغيرة فمنها ننطلق نحو الوطن.

***

كيف تؤدي التربية الى صيانة واحترام المرافق العامة والاماكن الخاصة؟ يبدأ الامر من البيت، عندما نحترم الادوات والتجهيزات المتوفرة فيه، ومن المدرسة ايضًا، وفقًا لاسلوب التعامل القائم بين المعلمين والنظار وبينهم وبين التلاميذ. لا يكفي الكلام عن القيم والاخلاق والمثاليات، يجب قرنها بالمثلى الصالح، كي لا تحصل ازدواجية. بامكان اصغر التلاميذ اكتشافها مما يدفعهم الى عدم احترام صاحب هذا التصرف.

للاندية ايضًا تأثيرها في هذا المجال كما الكشاف بقيمه ومثله وكما اي عمل من ضمن البلدية التي تتمتع بصلاحيات عديدة. تحصل البلديات في بلدان العالم على تبرعات فتنشئ المتاحف والمدارس وتعنى بالاطفال الصغار اثناء وجود ذويهم في اعمالهم. اخبرتني سيدة سويدية ان عملها يقضي بان تتجول طوال اليوم بسيارتها في المدينة والمنطقة لرصد الحفر والنواقص وتقديم جردة بها ليتم اصلاحها، بينما يسقط المواطن اللبناني ضحية حفرة ولا احد يهتم.

اصول التربية مهمة من حيث المشاركة في حياة الاسرة والتعاون والاحترام بين الاهل ومع الجيران، نؤاسيهم في أحزانهم ونشاركهم افراحهم، ونحترم حياتهم المشتركة. وللعمل ضمن فريق دور ايجابي في بناء شخصية التلميذ. علينا توعية الاولاد على المشاكل البيئية وما ينتج عنها مع عرض امثلة حية، والتشديد على القيم الاجتماعية وضرورة المحافظة عليها.

ان المشاركة بين اعضاء المجتمع تؤدي الى تطويره. والبيت هو صورة مصغرة عن الدولة كما المدرسة والبلدية، ومنها يبدأ العمل والمساءلة والمحاسبة فيتحسن لبنان.

معاناة بلدية*

سميح حلال

ما طرحه الدكتور انطوان مسرّه مهم، خاصة في ما يتعلق بالتعاون بين البلدية والناس. حاولنا انشاء لجان احياء في حبوش. لم نوفق! حاولنا دعوة الناس الى مكان عام للمناقشة في مواضيع تعنيهم ولم نوفق. ليس هذا فحسب. واجهتنا ايضاً مشاكل عديدة في عملنا كبلدية. الزهور في الاماكن العامه تقتلع، ولمبات الانارة العامة تستهدف بالبنادق. وعمد بعضهم الى تعطيل العبارة التي تصرف مياه الشتاء فتم حشوها بالحجارة والقناني الزجاجية لكي تعوم الطريق بالمياه وتحصل حوادث سير! حاولنا استدعاء بعض الاشخاص للتعاون معنا ولمشاركة البلدية بالامور الممكنة فلم نصادف الحس الاجتماعي. لم يحصل تجاوب من الناس مع المسؤول ولعدة اسباب.

نحاول كبلدية التخلص من هذا الوضع وربما غالبية اعضاء المجالس البلدية والمخاتير والفعاليات في الجوار يعلمون ذلك. لا ينفع الحزم في ردع هذه الامور بل يتم ذلك بشكل تدريجي وبالحسنى حتى لا نواجه بالاعتراض.

اتحدث عن معاناة فعلية. هناك عدة امكنة في البلدة يتم رمي النفايات فيها. وضعنا مقاعد في البلدة للاستراحة وثبتنا كل مقعد بأربعة براغي، طول كل واحد منها عشرة سنتيمترات مغروزة في الباطون. تم فكها! هذا ليس عمل اطفال طبعاً. كما تم تكسير الكرات الزجاجية globes المحيطة بلمبات الانارة!

***

*. ان النص هو موجز مداخلة شفوية ونقلاً عن آلة تسجيل.

لم نترب على الشأن العام في مدارسنا. فهل اختلفت النظرة الى الامور في مدارس اليوم ولم تعد كما كانت عليه؟ في ايامنا كانت توضع علامة على سلوك التلميذ، والذي ينال علامة دون 20/12 على السلوك يرسل في الامتحان حتى وان نال 100/100 في المواد الاخرى. حين كنا نصادف معلم المدرسة مازًا على الطريق حيث نلعب كنا نهرب ونختبئ. اما اليوم وفي حال مرّ المعلم امام تلاميذه وهم يلعبون، يهرب هو كي لا يسمع منهم كلمة لا تعجبه. هذا واقع نعيشه. لا بد اليوم من ان نحاسب التلاميذ على قيامهم بسلوك سيئ ونضع علامة على السلوك او نعتد بطاقة ترسل الى الاهل. اريد وضع اللوم على المدرسة. وعلى البيت مسؤولية كبيرة في سلوك الولد. نحن لا نجتمع في ما بيننا لمناقشة القضايا العامة التي تخصنا. نحن نبرع على الصعيد الفردي اما في الحياة الاجتماعية وفي الحس الاجتماعي فلم ننجح.

***

اننا نبحث عن حل اود طرح اقتراح حل: المرأة هي نصف المجتمع ولا تشارك، اكان في الامور البلدية او الاجتماعية او السياسية. فتحنا باب التطوع في البلدية للعمل الاجتماعي ودعونا الشباب والشابات والسيدات، فلم نلق تجاوبًا. نشكو من اهمال اجتماعي، وليس من تلاقي. علينا ان ننطلق بداية من الطبقة المتعلمة والمتقفة. لو اردنا تشكيل هيئة نسائية اي جمعية، فلتكن المسؤولية فيها للاكثر قدرة والابرز لكي تعنى بشؤون البيئة والتربية والنظافة في المرافق العامة، لانها تستطيع اكثر من الرجل وضع اقتراحات وحلول لنقوم بعد ذلك بتطبيقها. تقول الحكمة: لا يغيّر ما في قوم حتى يغيروا ما في انفسهم! ولكن الانسان يتغير احيانًا. الانسان الذي يعيش في كوخ سوف يتغير اذا وضعناه في فيلا مع حديقة، لان الجو الجديد الذي يعيش فيه سينعكس عليه. لكي نتمكن من تحسين بلادنا يجب ان يتجاوب الشباب مع المسؤول الذي يحاول ان يحافظ على ما هو قائم.

***

في مجال التعاون بين البلدية والمدارس هناك امر يمكننا ان نقوم به كبلدية، ولم نقم به سابقًا حرصًا منا على نوعية التعاطي مع المدرسة الرسمية او الخاصة. بإمكان البلدية تخصيص وقت للصفوف المتوسطة في مدارس البلدة تتحاور خلاله مع التلاميذ وتسالهم حاجاتهم، وكيف يمكن ان يكون التعاون برأيهم بين البلدية وبينهم. كما يمكن انتداب تلميذ من الصف لتحمل

حبوش 331

مسؤولية العمل المقترح. يحتاج المشروع الى موافقة مسبقة من المدرسة، لتؤمن له الوقت وما يلزم.

الباب الخامس

طرابلس: لجان الاحياء

بالتعاون مع الرابطة الثقافية طرابلس
قاعة محاضرات الرابطة الثقافية طرابلس
تنسيق محمد المصري

مشاركة وتأطير القدرات رشيد الجمالي

يتميز مجتمع طرابلس بانفتاحه على المشاركة. مؤسساتنا المدنية ومؤسسات المجتمع المدني في طرابلس هي بشكل عام مؤسسات منفتحة على اسس التعاون في ما بينها من جهة ومنفتحة على التعاون مع البلدية ومع اتحاد بلديات الفيحاء على حد سواء. يعكس هذا الانفتاح وعيًا أساسيًا بأهمية وضرورة قيام جهد منسق في ما يعود لقضايانا العامة التي تلامس اهتماماتنا جميعًا.

عرض العميد سمير شعراني لنماذج من اطر التعاون التي حققت انجازات على ارض الواقع، واعطت لطرابلس حقها ودفعت عنها الكثير من الازى الذي تعرضت له عبر قرارات خاطئة او جائرة او غير منصفة او غير واعية، وفقًا للحالات المتنوعة.

يحمل هذا اللقاء اهمية خاصة لانه يهدف الى توسيع اطر المشاركة عبر لجان الاحياء التي نشأت او قامت في عهد رئاسة العميد منقارة لبلدية طرابلس واصبحت الآن لجان اسواق في عهد العميد شعراني. انها في الحالتين تخدم غرضين حقيقيين: المشاركة التي هي احدى ركائز العمل الديمقراطي في كل مجتمع وكل بلد، وتخدم من جهة اخرى الشفافية وتأطير القدرات والامكانات في ميادين تحتاج الى هذا التطبيق.

يوجد بيننا كفاءات عالية في هذا المجال، واصحاب تجارب وصاحبات تجارب في ميدان العمل المؤسسي.

خبرات لجان الاحياء*

انطوان مسرّه

توجز هذه الحلقة اكبر المشاكل وربما كل مشاكل البلد في الوقت الراهن. بعد اكثر من ثلاثين او اربعين سنة خبرة في الصحافة والتعليم الجامعي والدراسات الدستورية والقانونية ومشاركتي في اكثر الدراسات الدستورية حول اللامركزية ووضع البلديات، هل يعقل ان تكون قضية لجان الاحياء اهم موضوع؟ نعم بالفعل. هي مدخل الى الثقافة البلدية. هي المدخل الى الممارسة البلدية الفعلية والمدخل لاعادة تأهيل السياسة لكي لا تكون علاقات نفوذ بل علاقات خدمة للشأن العام.

ان الباحثين العرب، ونحن منهم، وخلال سنوات، اهتموا بقضايا فوقية عليا: الدولة واللامركزية والتشريعات... لم ندخل في المجالات الصغرى، في الحي، في الشارع، في المدرسة، في الصف...

كل سياسة بعيدة المدى هي محلية. لماذا؟ لأنها تدخل في صلب سلوك الناس والناس يشعرون بالتغيير الذي يحصل ويراقبون ويشاركون وهم مسؤولون. انا معني، انا مشارك، انا مسؤول، هذا على المستوى المحلي الصغير الذي يشعر به المواطن يومياً. قال الدكتور ملحم خلف: "كلنا مواطنون لبنانيون فلا نزايد على بعضنا". لكن متى يصبح الشخص لبنانياً مواطناً بشكل حسي ملموس ويومي؟ من خلال مشاركته في الحي، في الرصيف، في الشارع، في الصف... بهذا المعنى الدراسات السلوكية في هذا المجال بعضها متوفر ولكنها نسيباً نادرة.

***

ما جرى في بعل الدراويش وفي تجربة لجان الاحياء في طرابلس هو بالغ الاهمية لا مثيل له. في الندوة السابقة في الرابطة الثقافية في طرابلس استمعت الى العميد سامي منقارة

* ان النص هو موجز مداخلة شفوية ونقلا عن آلة تسجيل تولت تفريغها السيدة ارليت سعاده ابي نادر.

بذهول لان ما قام به هو المدخل الى تغيير علاقات النفوذ واعادة بناء السلطة. قال الرئيس حسين الحسيني مؤخرًا: "أنتم تحملون المفاتيح..."

هذا هو المدخل للخروج من الزبائنية، لتأهيل السياسة فتصبح خدمة عامة. تتبع المبادئ التي نستعملها مما يقوله نيتشه: "حيث انت انقب بعمق". ونعتمد مبدأ آخر: "فكر شموليًا واعمل محليًا". الشخص الذي لا يعمل محليًا حيث هو لا اسميه منظر، بل رجل كسول. كم هي مستشرية ظاهرة الكسل! ينتظرون السلطة المركزية ويطرحون قضايا اقليمية كبرى. يجب الاستمرار في طرحها، ولكن في انتظار كل ذلك لا يفعلون شيئًا!

خلال تجوالي في بعض احياء سويسرا (لا شك هناك شوارع فقيرة) ذهلت في الشوارع العامة اذ كنت ابحت عن باب مكسور، نافذة غير مطلية، شجرة غير مشدبة، كيس نفايات غير مقفل باحكام فلم اجد اية غلطة... هل ان السلطة البلدية هي من يقوم بذلك؟ انهم مواطنون واعون. في بلاد اخرى كما في الكاميرون والهند يشعر المرء بشكل حسي وملموس ان لا شيء سينتج عن السلطة المركزية خلال العشر سنوات أو العشرين سنة المقبلة والحل الوحيد هو استنهاض الناس في الشوارع والاحياء. ادركت عندئذ مدى اهمية الارساليات التربوية التي كان البعض يسميها طائفية واستعمارية في لبنان، والتي ربّت الناس وعلمتهم خلال خمسمائة سنة. هذا هو المدخل الى الممارسة الديمقراطية المعيشية والى التنمية والتمكين، عندما يتدخل الناس لتحسين اوضاعهم استنادًا الى قدراتهم الذاتية.

***

توفرت اليوم نماذج، بينها نموذج جمعية فرح العطاء. باتت لدينا نماذج والنماذج هي التي تثير التماثل والافتداء. ولبنان بلد صغير ففي حال حصول عشرة نماذج في السنة الاولى وعشرة أخرى في السنة الثانية، ومثلها في السنة الثالثة، كل شيء يتغير. تبدو لنا الامور مستحيلة وصعبة ولكن من خلال النماذج والحالات المتراكمة تتغير كل الاشياء خلال فترة لا تزيد على الخمس سنوات. ليس لبنان بمساحته كالولايات المتحدة أو كاسترالية بمساحاتها الشاسعة. العدوى مهمة وتنتشر.

الهدف من اجتماع اليوم هو الاستماع الى خبرات الذين عملوا في لجان الاحياء، وبما انهم عملوا في لجان الاحياء فلا شيء يفشل - ولا احب كلمة فشل. هناك اعمال تبدأ وتستمر

كما تتوقف في بعض الاحيان ويجب متابعتها وكما يقول Saint-Exupéry انطوان دي سانت ايكزوبيري: "الخطوة التي لا تتجح تساعد الخطوة التالية". اذا استفدنا اليوم من هذه الخبرات وقمنا بجمعها - فهي لم تكن معروفة في اكثريتها - فيمكن ان نستفيد منها لاستمرار التجربة. قد تظنون أنني طرابلسي او ان الاستاذ ملحم خلف طرابلسي. بفضل البلدية اشعر نفسي بالفعل طرابلسياً لان الانتماء هو مشاركة في شأن عام وليس شعاراً، علماً اننا وللأسف استعملناها كثيراً كشعار وايدولوجيا وسجلات سياسية فارغة من المعنى. ليصبح الناس فعلاً مواطنين ومنتمين يفترض اشراكهم في الشأن العام حيث هم موجودون.

***

عند تنظيم هذه الحلقة انطلقنا من مبدأ "بيطلع بايدنا" الذي تعتمده جمعية فرح العطاء. ان كان هناك عدم ثقة بانه "بيطلع بايدنا" يكون كل المشروع بلا معنى. نلقي خطابات عن الدولة واللامركزية والدستور والميثاق... كل دساتير العالم وحتى في الانظمة الدكتاتورية تنص على ان الشعب هو مصدر السلطات اي الناس. هذا منطلق ثابت ولا يقبل البحث. حين حدثني الدكتور ملحم خلف عن بعل الدراويش في البداية، قلت له: اود ان ارى ذلك. وجئت لأتعلّم. واليوم يوجد بيننا اشخاص عديدون لديهم خبرات وجئنا لتعلّم منهم.

في المؤتمرات عادة التي ننظمها او نشارك فيها او نحضرها هناك باحثون واساتذة جامعات واكاديميون يلقون خطابات تكون في اغلب الاحيان بعيدة عما يجري. بينما العلم هو اولاً المشاهدة المباشرة، الاختبار المباشر، الحياة مع الناس والتحليل لاستخلاص قواعد. هذا هو العلم وهكذا نشأ وهو في خدمة الناس. جئنا لتعلم، والمنحى الذي اعتمدناه ينسجم مع مقدمة الدستور: "الشعب مصدر السلطات".

يمكنني من خلال هذه الحلقة وضع الافكار في اربعة بنود: هدف ديمقراطية القربى في لجان الاحياء، ما هي الخبرات التي حصلت في منطقة طرابلس، ما هي ابرز العوائق، وسبل الاستمرارية. واستخلص ناحية عملية: ما العمل؟

طرح السؤال: لماذا لا تستمر لجان الاحياء؟ هناك عمل جدي لم نباشر به منذ الاستقلال. يتكلم عنه شارل ديغول في خطاب شهير له القاہ في لبنان سنة 1931 وكان حينها ضابطاً شاباً، وتوجّه بخطابه الى الشباب اللبناني قائلاً لهم كيف يوجّهون قدراتهم للشأن العام.

واتت خلاصة كتاب الاب لوبريه في الستينات عن حاجات لبنان الاقتصادية اتت غير اقتصادية
انما تناولت كيفية توظيف قدرات اللبنانيين في الشأن العام، لان ما ينقص لبنان، كما يقول، ليس
الماء ولا الكهرباء ولا الطرقات بل فرق من الناس مندفعة للشأن العام. التوظيف للشأن العام كيف
وبأي شكل وبأية وتيرة؟ بدأ ذلك في برامج التربية المدنية التي وضعت بقيادة الدكتور منير ابو
عسلي وهي مستمرة الآن ولكن ربما بطريقة بيروقراطية.

مسألة لجان الاحياء بالذات فيها اكثر الاطر والمنهجيات والاساليب لتوظيف قدرات
الناس في قضايا الشأن العام. في مؤتمر في المعهد المالي في بيروت تحدّث خبراء اجانب،
فتدخل احد الحاضرين قائلاً لاحد هؤلاء الخبراء: "تتكلم عن المؤهلات والقدرات والموظفين
والوظيفة العامة، هل تعتقد اننا نستطيع تطبيقها في لبنان مع الفساد المستشري في الادارة
اللبنانية؟" اجابه الخبير الفرنسي: "هل اللبناني مع كل مبادراته وقدراته على التكيف وذكائه
وبخاصة في الخارج يعجز عن فعل ذلك؟" نعم هو عاجز. ان هذه القدرات الفردية في التجارة
والعلم والمعرفة والتكيف والذكاء المعروفة عند اللبناني كيف نوظفها في الشأن العام وفي حياة
الناس اليومية؟

تجربة لجان الاحياء مهمة وتعكس الرغبة بالاستمرار. هناك اسباب عديدة وعوائق
نفسية تواجه العمل ولم نعمل عليها. لدينا العديد من القدرات والمؤهلات التي لم توظف بشكل
جدي، أكان على مستوى التعليم في المدارس والاحياء والبلديات او على مستوى التمرس البلدي،
اضافة الى توقف الانتخابات خلال الحرب. هناك تراث خمسمائة سنة من التبعية اضافة الى
اسباب عديدة. ولكن هناك ايضاً تدني في عدد الافراد المبادرين في المجتمع اللبناني وهذا الامر
تلزمه قيادات. المبادرات الفردية قليلة. نحتاج الى مبادرين، الى اشخاص يقدمون التضحيات.
سبب تعدد الجمعيات في اميركا واستمراريتها هو وجود اشخاص يوقفون جزءاً من اموالهم
للجمعيات، بينما في البلدان العربية هناك اوقاف دينية - ويجب ان تستمر - ولكن لا يوجد
اشخاص يقدمون اوقافاً ذات طابع مدني لمساعدة المجتمع الاهلي. اصبح هذا السياق حاجة
عالمية كبرى ولا يقتصر على لبنان. السلطات الاربع الكبرى اليوم والتي هي السياسة والمال
والانتلجنسيا والاعلام اصبحت محتكرة في سلطة واحدة. ومن يستطيع مجابتهها؟ لا احد سوى

341 لجان الاحياء في طرابلس

مواطنين واعين يراقبون ويحاسبون ويشاركون. باتت الظاهرة ملموسة عندنا اليوم، كما ان الظاهرة عالمية. هذا السياق هو جديد وخطير.

بناء ثقافة بلدية *

سمير شعراني

هذه الورشة متعلقة بالمشاركة الاهلية في العمل البلدي. قد يتساءل البعض لماذا المشاركة الاهلية طالما ان هناك مجلسًا بلديًا يتم انتخابه وهو يمثل المجتمع الاهلي؟ والا ما هي وظيفة المجلس البلدي؟ وجهة النظر هذه موجودة. الاجابة على السؤال هي الحافز الاساسي للانطلاق بمشروع المشاركة الاهلية في النطاق البلدي.

لو تم انتخاب افضل مجلس بلدي ولو في اصغر قرية في لبنان فلن يلبث هذا المجلس ان يفصل عن المواطنين اذا لم يجد في نفسه آلية تؤمن له التواصل والتشاور المستمر مع المواطنين. فأية آلية يمكن اعتمادها لتأمين تعبير المواطنين عن ارادتهم ولتوجيه العمل البلدي ولتصحيح المسار في المجلس البلدي وحتى لتحديد اولويات المشاريع الانمائية التي قد تطرح.

انا شخصيًا على اقتناع تام بالامور التالية:

1. المشاركة الاهلية هي نوع من الاستفتاء الدائم وليس بين الحين والآخر. هذا الاستفتاء ضروري وملح لانجاح العمل البلدي وليس هناك - بعد خبرتي وبعد اجتماعي برؤساء البلديات بمعظمها - ليس هناك رئيس بلدية في لبنان الا وسعى ولا يزال يسعى لتأمين المشاركة الاهلية. تظهر الصحف والاذاعات والتلفزيونات ما يقوم به رؤساء البلديات في لبنان بعد الانتخابات البلدية الاخيرة.

***

2. انا مقتنع ان من الاهداف التي تسعى البلدية الى تحقيقها:

أ. توطيد الروابط الاجتماعية وتفعيل العمل الديمقراطي.

ب. تنشيط الحركة الاقتصادية وتشجيعها.

* ان النص هو موجز مداخلة شفوية ونقلًا عن آلة تسجيل.

البلدية هي اهم قاعدة لممارسة الديمقراطية، وهنا بيت الصيد. اذا لم تمتلك البلدية وسائل تساعدنا على تحقيق هذه الاهداف ستتتهي جميع المحاولات بالفشل. واذا لم يتحصن المواطنون لآليات تساعدنا على تحسين اوضاعهم فعلاً لا قولاً سيقون عرضة للتجاذب السياسي، لان المجتمع في لبنان اينما كان هو مجتمع مسيس.

في طرابلس مثلاً كل فئة تحكم على المشاريع من وجهة نظر سياسية، فتوسيع مفهوم اهمية ارتباط كل افراد المجتمع بقضايا الشأن العام والقضايا الحياتية هو ورشة عمل لا تنتهي. ويجب الا تنتهي لان تعميم هذا الامر وتمكينه لا يفيد اذا لم نصل الى تدعيم حق المواطن بالمراقبة والمساءلة والضغط. وهي ورشة يجب ان تطل كافة شرائح المجتمع. فاذا اعتبرنا ان العمل البلدي يستند الى مشاريع قصيرة المدى ومشاريع متوسطة المدى ومشاريع طويلة المدى، نعرف ان على البلدية الالتزام هدف ضمنى تحققه من خلال تنفيذها للمشاريع وهو المشاركة الاهلية لتعويد الناس على الممارسة الديمقراطية في اتخاذ القرارات في قضايا الشأن العام. هذا الهدف هو رهان فعلي ولا اعتقد انه سهل التحقيق لان الممارسة الديمقراطية وتعويد الناس عليها مشروع جذاب.

ما هي النسبة الحقيقية لنجاح اي مشروع من هذا القبيل في ظل المعوقات على جميع المستويات: الاداري، المالي، التنظيمي، القانوني، المجتمعي والاهلي؟ ان الفشل الذي يصيب المشاريع في مدينة طرابلس لا يؤثر على قيمة المشروع وهو يعود الى اسباب واسباب مهما كانت المعوقات والصعوبات والاشكاليات يجب الا نبقي واقفين بانتظار ان تتغير الشروط والقوانين والانظمة والتقاليد. يجب ان نعمل وان نعمل بصورة دائمة.

أين نحن في بلدية طرابلس؟ اتصالاتنا المباشرة مع المواطنين مستمرة لا تنقطع. استقبل المواطنين كرئيس بلدية وفي كل وقت. تم تأسيس مكتب استقبال خاص وبوشر العمل به، صندوق شكاوى خاص للمواطنين، ورش طوارئ تعمل ليلاً نهاراً بدون توقف، زيارتنا للاحياء: التبانة وسوق الخضار وسوق القمح...، لجان تنسيق بين القطاعات المختلفة والمجلس البلدي. هناك لجنة تنسيق بين المجلس البلدي وغرفة التجارة والصناعة والزراعة في طرابلس ولبنان الشمالي. هناك لجنة تنسيق بين المجلس البلدي وجمعية تجار طرابلس. هناك لجنة لمتابعة

مشاريع طرابلس مؤلفة من بعض فعاليات المدينة من رئيس الرابطة الثقافية الى رئيس جمعية تجار طرابلس، رئيس غرفة التجارة والصناعة، نقيب المهندسين...

***

اختلفت لجان الاحياء في ما بينها. لجان الاحياء التي كانت في عهد زميلي وصديقي العميد منقارة استمرت معي لمدة سنتين. كل ليل اربعاء يحضر عدد من المواطنين في الاحياء ويجمعون مع رئيس البلدية شخصياً ويطالبون بقضايا حياتية لهم. كنا نلبئهم ضمن امكانياتنا المحدودة. على هذا الاساس حصل نوع من الانكماش الى الخلف بسبب الانتخابات النيابية التي طرأت بعد سنة وبضعة اشهر من الانتخابات البلدية.

مجتمعنا مسيس فلعبت السياسة. العميد شعراني هو غير العميد منقارة، هذا مع فلان وذاك مع فلان فبدأت تتخلخل لجان الاحياء وبدأ يتقلص عدد الحضور في لقاء الارباء، ثم اخذت تحضر لجنة وتغيب اخرى. سبب آخر مهم وهو ان ورشة العمل التي وضعناها بتصرف الناس كما الهاتف النقال لعبا دوراً كبيراً. لم تعد تحضر لجان الاحياء مستعيضة عن حضورها باتصال هاتفي لمطالبة رئيس البلدية او رئيس الورشة بتلبية مطالبهم. هذا الامر لعب دوره.

انتقلت الى لجان اسميتها لجان الاسواق. طلبت من تجار كل سوق في طرابلس تشكيل لجان في ما بينهم وبدأنا بالاجتماع معهم كل اسبوع او كل اسبوعين ليعرضوا مطالبهم. أفادوا جداً البلدية بما يجب ان تقوم به كما استفادوا هم من الخدمات التي تؤديها البلدية. في مشاريع عديدة كنا على اتصال دائم بهم ولازال الامر مستمراً.

***

3. تم اعتماد بروتوكول تعاون مع الجمعيات الناشطة في بلدية طرابلس وفي اتحاد بلديات الفيحاء. هناك في طرابلس حوالي 126 جمعية او اكثر. منذ سنتين دعينا جميع رؤساء الجمعيات للقاء كبير وقد تم وطرحنا فكرتنا. كل جمعية تقوم بنشاطاتها بشكل منفرد ومستقل عن البلدية فلا يجري اي اتصال مع البلدية. في موازنة البلدية هناك مبالغ معينة توزع على الجمعيات وهي مبالغ تتفاوت بحسب نشاط الجمعية. وجدت ان هذا العمل غير لائق من حيث اننا نتبرع للجمعيات كمساعدة او مساهمة. اقترحنا على الجمعيات فكرة تقضي بان تقدم الجمعية

المشروع او تقدمه البلدية ونقوم بتمويله وتنفيذه معاً. مضى على الفكرة اكثر من سنة قمنا خلالها بتنفيذ عدد من المشاريع المتواضعة.

نحن امام رهان كبير للقيام بمشاريع كالمشروع الذي قامت به جمعية فرح العطاء التي اعطتنا نموذجاً رائعاً ومثالياً في كيفية العمل البلدي مع المجتمع الاهلي. يا ليتكم تعرفون كيف كان بعل الدراويش وكيف اصبح. احبي صديقنا العزيز الدكتور ملحم خلف على هذا العمل الجبار الذي قام به، والذي علمني شخصياً كرئيس بلدية كيف يجب ان اتعاون مع الجمعيات وكيف اقوم بمشاريع في مدينة طرابلس، خاصة في افقر منطقة في طرابلس بل افقر منطقة في لبنان. تقدمت حالياً جمعية للقيام بعمل مماثل في بعل الدراويش، وخصصنا لها مبلغاً بقيمة عشرين مليون ليرة من اتحاد بلديات الفيحاء. اشكر الاستاذ سعيد عويق والمهندس محمد حلو اللذين تجاوزا معنا فوراً في تمويل هذا المشروع.

***

4. نتعاون مع الجامعات وليس فقط مع الجامعة اللبنانية، بل ايضاً مع الجامعات الخاصة. قمنا بعدد كبير من المؤتمرات والورشات والندوات. ولا ازال ادعو الجامعات الى تقديم اي مشروع مؤتمر، وزميلي في اتحاد بلديات الفيحاء نلبي النداء فوراً. زاد عامل الاستثمار في مشروع الضم والفرز في السقي الغربي اربعة او خمسة اضعاف. وقف المجتمع الاهلي محتاراً - وخاصة المهتمون بهذه القضايا. كيف يوقف هذا المرسوم لانه كان يقضي ببناء كتلة من الباطون على شاطئ البحر الغربي. استمر النقاش شهوراً بين الفعاليات الى ان طلبت من جميع المهتمين بهذه الامور الحضور الى قاعة المجلس البلدي، وعقدنا عدة اجتماعات وكانت المشاركة الاهلية وبين البلدية والفعاليات نموذجية. وتمكنا في اجتماع نهائي مع بعض النواب من ايجاد حل وطلبنا من رئيس الحكومة الغاء المرسوم. وتم تلبية طلبنا وألغي المشروع. كان المجتمع الاهلي رافضاً لمشروع الضم والفرز في السقي الشمالي وابو سمرا. كان هناك ناس مع وناس ضد. تدخلت البلدية وتمكنت بواسطة المشاركة الاهلية مع الفعاليات والمهتمين من الغاء هذا المشروع الذي كان بمثابة الكارثة على المدينة.

شكلنا عدة مرات لجان من الاختصاصيين والخبراء لدراسة كيفية معالجة مشروع المكب. كما لجأنا احياناً الى الاستثمارات. كنا نريد تصغير طريق الميناء الوسطى وإلغاء

الرصيف وغرس اشجار في الوسط. وضعنا استمارة ووزعناها على الاهالي والتجار. جاءت غالبية الآراء ضد المشروع فألغيناه.

***

انا اؤمن بالمشاركة الاهلية. كنت اليوم في مؤسسة عصام فارس في بيروت وكنا ندرس في لجنة تحكيم مشروع تصميم اعادة تأهيل سوق البزركان. اخذت هيئة التحكيم القرار بمشروع معين وجاءوا لاعطاء موافقة لفريق العمل الذي قدم المشروع. رفضت وتمنيت عليهم عدم اعطاء الموافقة قبل ان اعرض المشروع على اصحاب محلات سوق البزركان، لانه اذا لم يرغبوا بهذا المشروع فلن يتم وان رغبوا بتعديله فسأقوم بتعديله.

لجأت الى عقد اجتماعات مع مديري المدارس وبننتيجة هذه الاجتماعات اقتنعنا باهمية مشروع الطب المدرسي. لا يحق لي عرض تفاصيل المشروع ولكن هناك مشروع طب مدرسي ترعاه بلديات الفيحاء. ولا ننسى ورقة العمل الموحدة التي قدمناها في مؤتمر انماء طرابلس الذي عقد في السراي الحكومي برعاية الرئيس رفيق الحريري. هذه كلها مشاركة اهلية ونحاول عبرها معرفة ماذا يبغى المجتمع في طرابلس وماذا يريد.

ان تقييم اية خطة يتعلق بقدرتها على الاستمرار ومصارعة الامواج العاتية من اجل اعاققتها عن العمل. الغاية تمكين الناس من سبل المشاركة الفعلية باتخاذ القرارات المحلية بناء على اقتناعهم بان الشأن العام هو لكل المواطنين. اذا لم بين المواطن الذي لا يقوم وجوده على استغلاله سياسياً، فكل المشاريع سواء وكلها ستنتهي الى مصير واحد.

اننا في طرابلس نعمل حثيثاً بصدق مع الناس وللناس في مختلف القضايا. نجهد كي لا تملى عليهم المشاريع من فوق. ولكن هل البلدية موجودة فعلاً في صلب النظام؟ لا اريد ذكر المآسي التي نصادفها كرؤساء بلديات عندما نتوجه الى الادارات والمؤسسات العامة والوزارات. سوف نكتم عليها في قلبنا وغداً يأتي غيرنا ويتذوق مرارة الكأس التي نتذوقها وما نعانيه في المؤسسات الرسمية، لان لا احد وبكل صراحة يعترف بمؤسسة البلدية سوى نحن وانتم الحاضرون.

ليس من ثقافة بلدية في مفهوم العمل البلدي. فوجئنا بالانتخابات البلدية واندفعنا كلنا راغبين باجراء انتخابات بلدية. من منا كان يعي ويفهم ما هو العمل البلدي؟ في كل المراحل الدراسية لم يحدثنا احد عن البلدية. يجب ان نركز على مفهوم العمل البلدي. اتمنى التركيز على توعية المواطن على حقوقه وواجباته نحو البلدية.

مصالحة مع المجتمع وتغيير في السلوك*

ملحم خلف

ليست المرة الاولى تحتضني طرابلس. ليست المرة الاولى التي اعيش فيها دقائق تختلج نفسي بنفسي. حضوري ناتج عن مبادرة اساسية حصلت على بعد امتار من هذه القاعة. حي وصف بانه افقر الاحياء في لبنان، عندما دخلته تراءت الي ثلاث مشاكل اساسية في الظاهر تمثلت بالمجارير المتدفقة على الارض، جردان تعدوا والاطفال يلعبون معها، ومجال مكب نفايات لا يتصوره عقل.

السؤال الذي يطرح والذي يجب ان نعرضه على بعضنا والذي شكل الفكرة الاساسية التي يجب ان نتوصل الي التحوار فيها هو: المساحة المشتركة بيننا هل هي فقط مساحة البيت؟ المساحة العامة هل تفرق بيننا ام تجمعنا؟ لنفكر جيداً. هل الشارع هو مكب للنفايات؟ متى يتحول الشارع ولا يعود مكباً للنفايات؟ متى يصبح الشارع امتداداً لبيتي، ومتى يوضع حد لبيتي عند قفل البيت؟

انطلاقاً من هذه التساؤلات نتحاور. في حال اردنا التفكير جيداً نجد ان الوصف الذي اعطيته هو لحي استوعبت مساحته ما يزيد على اثني عشر مبنى فيها حوالي سبعمائة شخص بينهم حوالي 153 طفلاً. الصورة التي أخذها لنفسي عندما دخلت هذا الحي هي صورة الاشخاص الذي اجتازوا هذا الحي ورأسهم في الارض. الظاهر هو رائحة مجارير وجدران مخردقة تذكرنا بالحرب.

بعل الدراويش هو خط تماس ربما لا يجب ان نستره ببعض الكلام. بعل الدراويش يجب ان ننقله صورة مؤذية لكل شبيبنا كي لا يدعوا الاهمال يستشري ويوصل الناس الى الذل. صحيح ان مجتمعنا مسييس ولكن ما هو الجواب؟ الاعتماد على كل القوى الفاعلة في مجتمعاتنا هو جيد وصحيح. لكن ماذا لدينا على ارض الواقع؟ لدينا جمعيات ومدارس ولجان احياء.

* ان النص هو موجز مداخلة شفوية ونقلا عن آلة تسجيل.

لنأخذ الجمعيات. هناك في لبنان اكبر عدد من الجمعيات الفاعلة، وكلنا ندرك ان بعض الجمعيات هي غير نافذة وغير فاعلة لسبب بسيط. نحن نعاني من مشكلة: لم يأخذ مجتمعنا القرار بعد خارج بيته وعائلته وحزبه. لا اعلم الى اي حد الاحزاب موجودة يمكن ان تتوافر مساحة مشتركة تجمعنا بالآخر. الى اي حد اليوم نعتبر ان الجمعيات هي سند للمجتمع الاهلي وهي تمثل المجتمع المدني؟ من هنا يجب ان نأخذ قرارًا والتزامًا بان المجتمع الاهلي يقوم داخل جمعيات فنذكر مدى مسؤولية الجمعيات. تعاني الجمعيات من مشكلة اساسية يجب ان نتنبه لها، فلا احد يمولها وهذا خطر، لذا تتبع الجمعيات بأكثريتها من يمولها. نجد احيانًا جمعيات ممولة من الخارج ونعرف انه يجب بعض الاحيان ان تضع مشاريع وفق ما تطلبه الجهة الخارجية. مثلاً هناك اليوم في اوروبيا مشروع يدخل فيه موضوع العنف ضد النساء فنجمع كل افكارنا للقيام بمشروع حول العنف ضد النساء. واذا كانت الحاجة المحلية العنف ضد الاولاد لا نجد لها ممولاً فنعجز عن اخذ المشروع وتتحول الى جمية تنفذ رغبات اشخاص وافكار لا تنطلق من واقعنا، وهذه مشكلة. تعالوا نفكر بكيفية تمويل الجمعيات، والسؤال مطروح. على الجمعيات التي لا تتبع اي ممول والتي تحاول ان تجاهد وتكافح بذاتها، عليها تأمين استمرارية، والتعاون ضروري.

***

اشكر العميد سمير شعراني لانه اطلق مبادرة ثانية لجمعية في طرابلس بتمويلها. يجب تأمين الاستمرارية التي هي الشرط الاساسي لنجاح اي عمل. لا يمكن ان يقوم العمل بغير الاستمرارية. نستطيع انزال مبلغ مليون دولار في مشروع ونخرج منه دون استمرارية له. نكون بذلك كمن لم يفعل شيئاً.

عنصر آخر اساسي يأتي بعد العمل: يجب ان يقوم العمل اولاً بتمويل يتصف بالاقل وطأة، كتمويل البلدية والتمويل الذاتي والتمويل المحلي، وهذا التمويل ينطلق معنا. انما يجب ان ننطلق من حاجاتنا الداخلية. ان لم تكن نعرف ما هي حاجاتنا لن نستطيع الانطلاق نحو مشروع اساسي. لا يجدر بنا الانطلاق من المشاريع المطلوبة في الخارج، فنركب على اساسها مشاريع. علينا دراسة حاجاتنا لنركب المشاريع على اساسها.

ما اقوله هو بهدف الوصول الى نتيجة. نعاني من مشكلة في الجمعيات الا وهي انه علينا التفكير باستمراريتنا ايضاً وهذا عبء تعاني منه الجمعية. انها تستطيع القيام بمشروع ولكنها تعجز عن المتابعة. يجب التنبه الى هذه المشكلة ومعالجتها. الطرح الاخر هو الاستمرارية في المشاريع ويكمن في الاستمرارية مدى تمكننا من ربط الناس بالمشروع.

***

علمتنا بعل الدراويش ان المشروع لا ينجح اذا اتى من الخارج او اذا نزل بمظلة. يجب ان تكون انطلاقة المشروع ارتباط الشخص بالمشروع. استطيع ذكر شهادة علي وعمره 43 سنة. حين كنا نعمل في بعل الدراويش لتحويل الصورة البائسة التي نقلتها وانشاء ملعبين احدهما لكرة القدم والآخر لكرة السلة، بعدما رفعنا علم لبنان، اتى الي علي وقال لي: "هذه المرة الاولى التي اشعر فيها بأني مواطن لبناني".

كلنا هنا في القاعة مواطنون لبنانيون ولا احد يستطيع ان يزايد على الاخر. لا احد اتى ليعلم الآخر. انما هذا المشروع جعلنا نشعر كم نحن بحاجة لان ننتقل بانفسنا من حي ربما لا توجد فيه كلمة حي. ما توصلنا اليه ان الطفل وليد ابن الخمسة اعوام الذي كان يلعب مع الجرد تحول لان يمسك ورقة الثلجات ويجتاز عشرة امتار ليرميها في مستوعب النفايات ومحمود، 13 سنة، يقف قائلاً: "يا استاذ انا اصبحت افتخر بانني انتسب الى هذا الحي".

ماذا حصل في بعل الدراويش؟ بعل الدراويش هي تجربة تمكنا من خلالها اشعار الناس بانهم ناس مقدرين. ان هول المأساة التي كانوا يعيشونها هي باعتبارهم ان المساحة المشتركة بينهم هي مساحة تبعدهم عن بعضهم. جربنا تحويل هذه المساحة لتقريبهم. ارتبطوا بالمساحة واعتبروها لهم. اصبح بعل الدراويش اليوم مشروعاً لهم.

اود الانطلاق من هذه الفكرة لاقول كيف كانت الاستمرارية. كونا لجنة من اهالي الحي - وهنا خبرة اللجان اساسية - ليقوموا بادارة الحي. واجهتنا مشكلتان: الاولى انهم غير معتادين على الاستماع الى بعضهم لعدم وجود التربية الكافية لذلك ولاعطاء آراء في ما بينهم وللخروج بنتيجة. ان اردنا خلق لجان احياء وجب علينا مساعدة الناس بان تكون في هذه اللجان. مسألة جمع الناس هي انطلاقة اساسية. والمشكلة الثانية انهم كانوا بحاجة اكثر فأكثر لتفعيل ذاتهم معنا.

من الصور التي تتراءى لي فوراً: "تود التكلم مع الوزير فلان والنائب فلان وهذا الشخص وهذه الشخصية". لماذا؟ وكأن هناك عادة بان ننطلق دائماً لآخذ البركة! ولكن عندما ننقل معهم الى المرحلة الثانية، نجد انهم لم يعودوا يريدون احداً، وعندما يقصدهم هؤلاء المسؤولون يرفضون المساعدة منهم شاكرين، وهذا امر اساسي. الارتباط قليل جداً ما بين الناس الذين يشعرون بانهم مسؤولون عن الحي فيظهر عندهم خطران: خطر التبجح وخطر انه اصبحنا مسؤولين فيسعون لسحق غيرهم.

يجب ان ندرك ان الآخر الموجود في اللجان هو خادم للآخرين. علينا تفسير وتقريب هذه النظرة على قدر المستطاع فنكون بذلك على طريق التقدم وكسر حواجز عديدة. تواجه استمرارية العمل في اللجان صعوبة اولى في عدم التمكن من ايجاد اشخاص قادرين على الاتفاق في ما بينهم. والصعوبة الثانية في كيفية تعاونهم في ما بينهم بدون تسلط. لا يعقل ان تكون اللجان لجان سلطة انما يجب ان تكون لجان خدمة. تحتاج هذه اللجان الى مرافق اذ لا يمكن ان تقوم بمفردها، وعلى المرافق ان يضمحل كلياً، لا يجب ان يكون شخصاً يتمتع بأي دور. دوره الوحيد هو ان يكون مرافقاً ليس الا.

انطلاقاً من هنا اعود لالخص بكلمة واحدة لانجاح كافة المشاريع: الخدمة. تحتاج التنمية الى الخدمة، والشرط الاساسي في الخدمة هو المجانية: عدم استغلال سياسي عدم استغلال اجتماعي، عدم استغلال مادي، عدم استغلال سلطوي، ونجح، "ويطلع بايدنا". هذا ما حصل في بعل الدراويش. لا يمكن ان تكون الخدمة في مقابل اي شيء. هذه هي السياسة الحققة والعامود الفقري لكل عمل مستقبلي: الخدمة المجانية من دون اي استغلال للناس.

***

اجد ان تجربتنا هي الاصغر "ومنصلنا نتعلم". ضمن هذا الاطار نحن لا نزال نتعلم. في تجربتنا في بعل الدراويش الاهالي هم من علمنا. لم نأت لنقول بأننا علمنا احداً. لا يمكن ان نقول ذلك. قمنا بطرش عدة حيطان وحسنا الارض حيث كانت اكوام النفايات فحوّلناها الى ملعبين رياضيين. الموضوع يدور حول امرين: تصوير المشاكل الظاهرة وترك المشاكل الداخلية.

من الواضح ان منطقة باب التبانة هي من افقر المناطق. ولكن يجب ان يعرف الجميع ان لا احد في باب التبانة قابح لا يفعل شيئاً. كل اهالي باب التبانة يعملون. ولكن يجب ان نعرف وفق اية ظروف يعملون. هنا ندخل في المظاهر الغير معلنة او الغير ظاهرة. عندما دخلنا الى بعل الدراويش شاهدنا المشاكل الظاهرة، ولكن الهم اننا اكتشفنا ان اشخاصاً يعيشون في هذه الاحياء دفعتهم اوضاعهم لان يكونوا في السجون على اختلاف اعمارهم. العنف المنزلي يمارس في هذا الحي، وقد شاهدنا اشخاصاً يضررون طفلاً او غيره بكل ما لديهم من قوة وغضب. وجدنا ان المجتمع الذكوري يمنع الفتيات من النزول الى الشارع، وشخصياً لا افعل غير ذلك عندما اجد في الشارع شباباً دون السابعة عشرة من العمر مسلحين بالخناجر.

من المؤكد ان الحل لكل هذه المظاهر ليس بدخول قوى الامن الداخلي الى هذا الحي او كتيبة او لواء بكامله. بقدر ما ننزل من العسكر بنفس القدر تتنامى شراسة هؤلاء وقوتهم. هنا اود ذكر كلمتين توجه بهما الي النقيب دبليس في مخفر التبانة قال: "ليس لدي ما اقله لك، انما اود فقط معرفة كيفية تمكنكم من جعل هؤلاء الناس في بعل الدراويش يحبون بعضهم؟"

***

ان العمل بشفافية وبصدق بامكانه ان يحول سلوكية الاشخاص الى مسار افضل. نحن لا نعمل لتغيير واقع البيئة من حولنا فقط. نحن نعيش في بلد كل هيكلياتنا وكل الامثلة المعطاة لنا ومنذ بلوغ الشاب الثامنة عشرة من العمر يعلمه والده مثلاً حين يتجه لتعلم القيادة ان لا ضرورة لتقديم امتحان شهادة السوق قائلاً له: "لا بأس انا احضرها لك!" يحصل اول تعاطي مع الشأن العام عندما يتجه تلميذ البريفيه وهو في الرابعة عشرة من العمر، يتجه لمواجهة الامتحان الرسمي وقد اعتاد على عدم الغش في مدرسته او في بيته فيجد ان التلامذة يقومون بعملية نقل وليس من امتحان. هذه مسؤوليتنا كلنا: الى اي مدى نحن مستعدون لان نغير في سلوكياتنا انطلاقاً من ذاتنا قبل التطلع الى الآخرين؟ والى اي مدى نحن مستعدون لان نكون المثال لبعضنا؟

لا يحق لاحد الادعاء بان له فضل على غيره. انطلق للقول بان الانسان مهم اكان في طرابلس ام في بيروت او في اي مكان آخر. الانسان مهم بالنسبة لي، افكر به كما افكر بنفسي.

ليس بإمكان احد استنهاض منطقة بكاملها ان لم تكن لديها الرغبة بذلك. سئلت ان كانت هناك مشاركة من الناس. في البداية كانوا ينظرون الينا متسائلين: "من هم هؤلاء الدخلاء؟" ولكنهم فهموا ما يحصل فأصبحوا يشاركوننا العمل يوميًا. بعد عودتهم من اعمالهم يمسون الرفش معنا ويعاونوننا ما جعلنا نشعر بالخجل. لكن المشروع بات وحدة متكاملة. ويبلغ التكامل ذروته عندما يحضر رئيس البلدية عند منتصف الليل ليراقب ويشارك بما يحصل.

***

هكذا استطعت ان اتصالح مع مجتمعي. انا شاب عشت في الحرب وكانت الدولة هي المثل لي في وقف المعارك والحرب، ولكنها ما لبثت ان انهارت بالنسبة لي بعدما شاهدت ما يحصل. عشت نوعًا في انفصام في الشخصية تجاه ما يجري من حولي، لم اعد اعرف الى اين اذهب فكل شيء يتآكل امامي، فهل اترأخى تجاه هذا الوضع ولا افعل شيئاً؟ هذا ما نسمعه احيانًا. في بلدنا طاقة شبابية وقدرة عند كل واحد منا على التغيير. أتت تجربة "فرح العطاء" لتترجم ذلك ليس لانها جمعية فرح العطاء انما لان بعل الدراويش هي كذلك ولان ابناءها هبوا الى العمل.

بلدنا لا يموت وهذا هو التأكيد على ذلك. ليس نحن من يتكلم انما هي الاعمال تتكلم. لا يجب ان نخاف. بلدنا لا يتجه نحو الهاوية انما نحن ندفع اليوم فاتورة الحرب في كل حي من احيائنا وهي ضريبة قاسية. مجتمعنا مفكك. اليوم وبعد عشرين سنة من الآلام، وكلنا تألمنا - لا اعرف الى اي مدى يذكر الناس ذلك - لا زلنا نتكلم بمنطق حرب، هناك مشكلة اساسية. تعالوا نغير سلوكياتنا.

***

انهي كلامي بثلاث رسائل:

الرسالة الاولى هي من اهالي حي يعتبر افقر حي ولكنه اظهر للناس انهم متى ارادوا التغيير فهم قادرون على ذلك و"طلع بايدن".

الرسالة الثانية، عندما نتكلم مع "شبيبنا الطاقة" بألية شفافة، بألية بلا استغلال، بألية خدمة تطوعية، بدون اي مقابل باستثناء الفرحة الذي يغمر الشاب بنتيجة العمل (وهو ان لم يفرح

لن يعاود الكرة)، عليك ان تؤمن له التقدير وبامكان هذا الشاب ان يغير وجه لبنان، ولا تخف بعد ذلك منه.

الرسالة الثالثة، اذا قلنا كلنا اليوم ان مسؤولين سياسيين نراهم يوميًا على شاشاتنا، اذا قلنا انهم كاذبون ويسخرون منا، فهذه الصورة القاتمة دائمة في نظرنا وليست المثل الاعلى بالنسبة لنا. سوف ينظرون هم الينا ونكون نحن المثل لهم. هذه هي الرسالة الاساسية في مدى قدرتنا على احياء الامل والثقة عند شبيبتنا وفي احيائنا وعالمنا. هكذا نغير قليلاً في بلدنا. ليس المطلوب صعود السلم كل عشر درجات بقفزة واحدة، والاساس في كل ذلك يعود للتربية.

مناقشة

وفاء الشعرائي: ان تجربة لجان الاحياء جيدة، ولكنها حصلت كلها في مناطق فقيرة ومهملة اعطاها العميد منقارة كل ما يلزمها ولكنها لم تستطع ان تكتفي. ورغم الخبرة التي اكتسبتها هذه اللجان لم يحصل ضغط على المسؤولين. الهدف تحول الناس الى جماعات ضاغطة. ورد في تقرير برنامج الامم المتحدة للتنمية لسنة 2001 عن التنمية البشرية في طرابلس انها اكثر المناطق حرماناً وفيها اكثر الناس فقراً. اذا لم تستطع لجان الاحياء او اية تجربة اخرى كبروتوكول التعاون ولجان الاسواق والجامعات، اذا لم تستطع تكوين جماعة ضاغطة فعبثاً تعمل... لا يعقل ان تنحصر التجربة الديمقراطية في طرابلس - العاصمة الثانية للبنان - بممارسة لم تصل الى المشاركة بأخذ القرار، بل بقيت وقفاً على تفاصيل التي لا تقي من جوع ولا تساعد على ممارسة الديمقراطية.

بشارة عيد: على الهيئات الاهلية البحث عن اسلوب لتعريف الناس على كيفية الدفاع عن نفسها، فمن اعتاد على التلوث تألف معه ولن يشعر بعد ذلك بحاجة لتغيير واقعه اذ اعتاد على الاسوأ. عندما بادرت وقلت عبر وسائل الاعلام اننا نترقب حصول كارثة صحية في التبانة ناجمة عن المجارير، تدخلت اجهزة السلطة واتهمتي بالاساءة الى الامن الصحي وتم تسييس الموضوع. كيف نستنهض الناس؟ في مصلحة من يصب ايصال شعبنا الى هذا الواقع؟

مصطفى يحيى: نتحدث عن معوقات وعن صعوبات ولا نحددها مع اننا ندرك كلنا ما هي المعوقات امام البلدية وامام اللجان. ان الانجازات ليست على مستوى المدينة. المطلوب هو تعاون البلدية مع مجلس الانماء والاعمار والتنسيق بين البلديات في اتحاد بلديات الفحاء والعمل مع المؤسسات الرسمية ومع القيادات والفعاليات المحلية ومع اللجان والجمعيات الاهلية.

سمير شعراي: يجب ان تستمر لجان الاحياء ويجب البحث عن آلية استمرارها بغض النظر عن هوية رئيس البلدية. ان البلدية هي المواطن وبغياب المواطن تنعدم البلدية. لجان الاحياء توقفت لانها تفتقد للآلية والمنهج فانحصر دورها بتنفيذ عمل محدد واختفت بعد اتمام هذا العمل، بينما يجب ان تستمر. اتمنى على المفكرين ايجاد الآلية المرجوة. التعاون مع مجلس الانماء والاعمار غير قائم. اهم المشاكل التي تواجهها البلدية هي السيولة المالية، خاصة وان المواطن لا يشعر بدوره ولا يدفع الاعباء المترتبة عليه، فالانماء مرتبط بتحسس المواطن بواجباته تجاه البلدية، والا علينا انتظار السلطة المركزية وما ينجم عنها. جرت دراسة تطل باب التتابة وقدمت الى رئيس الحكومة فرد بانه خصص مبلغ عشرة ملايين دولار للتبانة، وصرف المبلغ للبلدية ولكن تم توقيف الحوالة مع انها ملحوظة في موازنة 2002 واصبحنا في الـ 2003، وجاء الجواب من المسؤولين انها اذا كانت ملحوظة فذلك لا يعني انه يجب صرفها!

سميرة بغدادي: تبدأ التنمية من حيث بدأت جمعية فرح العطاء اي من الاحياء. والتغيير يأتي من القاعدة ومن غير الممكن ان يأتي مفروضاً من فوق. يكمن دور المفكرين بتحديد المسار وكيفية تكوين ونشوء اللجان المحلية. لا تقوم التنمية بمعزل عن القاعدة والعكس صحيح. كما هناك دور للجمعيات. وتعاون اللجان والجمعيات الاهلية والبلدية ضروري لتحقيق التنمية الفعلية. علينا كجمعيات اهلية وكبلديات مواكبة المبادرات البسيطة وتمكينها.

نبيل شتور: لماذا لا تستمر هذه اللجان وما هي الآلية لاستمرارها؟ ان اي عمل لكي يستمر يحتاج الى وجود مهام وبرامج وآليات تنسيق ومحاسبة الاعمال وتقييم نتيجة العمل ووضع آليات للاستمرار. الجمعيات كثيرة في طرابلس ولكن ليس من تنسيق بينها. وبناء على تجربة لجان الاحياء والاسواق نشأ بروتوكول تعاون ادى الى جمع البلديات واتحاد بلديات الفيحاء، وخضع هذا البروتوكول للتقييم، وقد ساهم في عملية احياء الديمقراطية، وهي قد تبدأ بعمل صغير وتنتهي بالعملية الانتخابية. الديمقراطية هي تجربة متكاملة من بدايتها الى نهايتها وتصب في النتيجة في مصلحة الوطن، والا يكون العمل فردياً فينتهي ويندثر برحيل الشخص او بانتهاء محرك المشروع. تجمعت في البروتوكول 64 جمعية وتقسمت على خمسة قطاعات، واختار كل

قطاع مندوبًا له وبالتالي تمثلت الجمعيات الـ 64 بخسمة اشخاص اقترحوا برامج وعرضوها على الجمعية العمومية فوافقت عليها، وكانت المشاركة اساس العمل. قام الناس بالتنظيم والترتيب والاهم من ذلك التدوين. استطاع البروتوكول تفعيل هذا الوضع حين وضع نموذجًا لكيفية تمويل مشاريع الجمعيات فانقلت التجربة الى مختلف الجمعيات وتم تنظيم العمل. والفكرة الثانية قيام ورشة عمل على مدى يومين تهدف الى دراسة الحالات وتدوين الملاحظات بهدف وضع آلية لتطوير البروتوكول. وطور البروتوكول على هذا الاساس. وانشى عدد من المؤسسات او اللجان التنسيقية الصغرى بين الجمعيات ومن ضمنها في التبانة، اضافة الى بروتوكول وقع مع اتحاد بلديات الفيحاء ومع منظمة العمل الدولية و12 جمعية حول مكافحة عمل الاطفال في منطقة التبانة، وتم شراء مركز لـ 250 طفلاً وبوشر العمل. تبدأ عملية الديمقراطية بفكرة صغيرة وتنتهي بعمل مترابط يتصل بالمواطن، وهنا يأتي دور اللجان في المساهمة معنا لمعرفة حاجات المنطقة واوضاع ابنائها والمشاكل التي يعانون منها، لنوقع كلجنة رسمية بروتوكولاً رسمياً مع اتحاد البلديات ومع المنظمة الدولية من ضمن قرار وزارة الداخلية بانشاء لجان رسمية في كل منطقة.

فتاة خضر: الجمعيات تعمل ضمن امكانياتها. خلال سنة 2002 اجتمعت الجمعيات النسائية في الشمال وعملت على الكتاب الموحد في المدارس ودخلت الاماكن الشعبية. لكن امكانيات الجمعيات محدودة ولا تستطيع ان تكفي كل الناس، فحتى الدولة عاجزة عن ذلك والوضع الاقتصادي متردي. كانت التبانة قبل الحرب اهم مركز اقتصادي. هناك تراكمات تعجز البلدية عن تغطيتها كما يعجز الشعب عن ذلك. علينا ان نتعاون كلنا للعمل على ارض الواقع، فنحن نشاهد المأساة على الارض والمشاريع كثيرة ويلزمها من يعمل.

عبدالله خالد: يتألف الموضوع من شقين: البلدية واللجان، سواء كانت لجان احياء ام لجان اسواق. رغم كل الجهود التي قام بها العميد سمير شعراني يجب ان نعترف ان الحاجز النفسي لا زال قائماً حتى الآن بين البلدية والناس، نتيجة شعور الناس ان البلدية تمثل الدولة عوضاً عن تمثيل الشعب، وسبب ذلك يعود الى امرين: تجاهل وحرمان واهمال مزمن وانتقاء

الانتخابات لسنوات طويلة ما جعل الناس يشعرون بان البلدية لا تمثلهم وبانها جزء من الدولة. العميد شعراني مشكور لانه سعى لازالة هذا الحاجز ولكن الامر يتطلب وقتاً طويلاً.

ثم بالنسبة للجان هي وللاسف لجان مرحلية تعمل لهدف معين وليس ضمن خطة مدروسة ملموسة وضمن اطار عمل ومنهج. في اي عمل نقوم به ننطلق من امرين: ماهي وظيفة هذا العمل؟ وما هو الدور المطلوب منه؟ ولجنة احياء او لجنة اسواق تعجز عن فعل شيء بمفردها، لا بد من ان تنضوي كل هذه اللجان ضمن خطة واضحة ومدروسة لتتمكن من تحقيق الهدف. انتهى العمل الفردي منذ زمن والعمل الجماعي هو ممارسة. تلعب البلدية دوراً كبيراً ومهماً بعد الانتخابات الاخيرة لكن هذا الدور يحتاج الى تراكم ليصل الى نتيجة. والدكتورة وفاء شعراني وضعت الاصبع على الجرح عندما قالت انه لا بد من قوى شعبية ضاغطة، فهي التي تدفع رئيس البلدية للتحسس بمشاكل الناس.

L'empowerment: Expérience vécue à Baal el-Darawich*

Joëlle Chammas

En 1985, un groupe de 20 jeunes terrifiés par les atrocités de la guerre, ont voulu intervenir au niveau du tissage de liens entre les Libanais. Ainsi, l'association Offrejoie fut créée. Avec l'amour, la tolérance et le respect, comme principes, ils chercheront à réunir les enfants dans une colonie de vacances.

En 1993, ils aménagent une école démolie à Kfifen en local pour l'association. Kfifen devient le premier centre de jeunes au Liban « fait par les jeunes pour les jeunes ».

Depuis, l'association organise 4 à 5 «chantiers juniors» par an à raison de 80 enfants par chantier. (Exemple de projets entrepris: peinture des bancs des écoles). Plus tard, Offrejoie cherchera à adapter ses activités aux enfants qui grandissaient, en organisant des «chantiers adultes».

Offrejoie est une structure de bénévoles qui se divisent les tâches par type d'activités. Nous citons : Une colonie pour les délinquants, une visite chaque quinzaine à la maison de correction, distribution de pulls aux prisonniers, implantation de 500 pancartes imprégnées du cèdre libanais, au sud après la libération...

Pour la première année, en 2002, Offrejoie sort en été de Kfifen pour intervenir dans d'autres villages. Nous citons Maad (Jbeil) et Baal el-Darawich (Tripoli), le quartier fantôme...

***

En se promenant dans les anciennes ruelles de Tripoli, pour voir la possibilité d'entreprendre une action en été, les bénévoles rencontrent un

---

* . Extrait d'un mémoire de maîtrise en Travail social, sous la direction du professeur Antoine Messarra, à l'Ecole libanaise de formation sociale, Université Saint-Joseph, 2002.

des jeunes délinquants qui avait participé à l'un des chantiers. Ce dernier insiste à leur faire visiter son quartier, Baal el-Darawich.

Le quartier est composé d'une dizaine d'immeubles en très mauvais état, presque démolis, ravagés par des trous marquant toujours les traces de la guerre. Entre autre, un immeuble dangereux qui risquerait de s'effondrer d'une minute à l'autre, et le container dans lequel vit le jeune délinquant. D'autre part, à défaut de canalisation, les égouts sont versés dans la place du quartier pour former un lac dans lequel tombe le ballon à chaque fois que les enfants veulent jouer. Les ruelles sont décorées par les images des candidats électoraux qui ont promis d'aider les habitants en échange de leur vote. Les images augmentent à chaque élection et aucun changement n'est perçu au niveau du quartier. Le seul changement que l'on peut percevoir au fil des jours est la rouille qui ne cesse pas de s'entasser dans chacun des coins. Les anciennes voitures, l'électroménager, le fer qui constitue une des entrées principales des habitants de Baal el-Darawich. Mais quand on ne trouve pas de la rouille, ce sont les ordures et les rats qui recouvrent les ruelles. Cependant, le cadre physique n'arrête pas Offrejoie !

Quant aux habitants de Baal el-Darawich, qui se promènent avec des canifs à la ceinture, ils sont renfermés, agressifs, toujours sur la défensive. Ils n'ont aucune notion de territoire et ne sont là que pour être logés durant la nuit. Ils ne cessent pas de se disputer entre voisins à cause de l'eau qui coule d'un appartement à l'autre par exemple, à défaut de canalisation.

Mais cela ne freine pas la détermination des volontaires !

Ainsi, au sein de ce contexte, Offrejoie décide d'intervenir au niveau de deux petites allées du quartier, en raison de l'ampleur du travail et la complication de la situation.

Des visites permanentes sont entreprises pour une première approche et une préparation du terrain. Les habitants sont terrifiés par cette présence étrangère surtout à cause de toutes les violations dont témoigne Baal el-Darawich. En plus, ils ne croient pas que ce projet sera exécuté à cause des promesses qu'ils ont déjà entendues.

Petit à petit, la foule d'habitants augmentent autour des bénévoles. Ces derniers visitent les propriétaires de terrain pour les rassurer que le travail qui va être entrepris n'affectera aucunement les propriétés. Un des

deux propriétaires refuse toute collaboration. D'autre part, le président de la municipalité est apparemment prêt à les aider et à leur offrir du matériel. « C'est bien, parce que la municipalité a un budget annuel d'action caritative et elle ne sait pas comment l'investir ! »

Le jour venu, les complications commencent et le président de la municipalité leur explique qu'il a besoin de 20 jours pour présenter une demande à Beyrouth et attendre une réponse. Trop tard pour le matériel ! Mais ceci n'empêche pas les jeunes volontaires de commencer !

***

Durant deux semaines, 40 jeunes libanais, français et espagnols commencent à travailler dans le quartier. Parallèlement, un programme d'animation est organisé pour les habitants. Session de sensibilisation écologique animée par Paul Abi Rached, Jeux, dîner, Chanteur du quartier pour encourager les ressources locales...

Petit à petit, les habitants s'impliquent dans le projet et s'approprient le travail. Chacun veut participer à sa façon et nul ne veut être exclu. Nous citons surtout les filles, qui ne sortaient pas de chez elles auparavant et le propriétaire d'un des terrains, qui refusait toute collaboration.

L'intervention dépasse de loin le plan prévu par l'association. Un autre chantier est organisé durant une semaine qui accueille des jeunes libanais et 17 égyptiens pour faire part de ce bouleversement dont témoigne Baal el-Darawich.

La position de la municipalité change aussi, après avoir visité le quartier lors du spectacle organisé par l'association. Les changements commençaient à paraître et face au travail entrepris par les habitants eux-mêmes, le président de la municipalité ne peut pas rester indifférent. Le matériel a été procuré immédiatement, un dimanche à 20h.

***

Aujourd'hui, les immeubles sont tapissés, badigeonnés et les murs recouverts de dessins resplendissants de messages sociaux qui remplaceront dorénavant les photos des candidats. Une canalisation de tuyaux est installée pour contrôler eau et égouts. Des trottoirs sont construits au bord des routes, et des bacs à fleurs sont implantés devant les immeubles. La rouille est rassemblée dans un seul espace. Et les deux autres espaces restants sont aménagés en terrains de foot et de basket. Le

quartier est nettoyé et illuminé par quatre projecteurs. La vie des habitants l'est aussi!

Le fait de tenir une pelle ou un pinceau n'a pas uniquement changé l'aspect physique de l'espace local mais surtout les mentalités et l'identité des habitants. Désormais, ils ressentent une appartenance au quartier de Baal el-Darawich. Nettoyer et aménager en sont une conséquence. Aujourd'hui ils parlent de voisins, de famille. Ils sont rattachés à ce quartier qui devient plus qu'un dortoir, un milieu de vie. Les hommes organisent des matchs de foot ; « leur violence, est canalisée par le sport ! », affirme un des volontaires. Les femmes préparent des repas collectifs.

Un des habitants qui cherchait à quitter Baal el-Darawich à cause de l'humidité et le contexte malsain, a changé complètement d'avis et a pris plaisir d'aménager son appartement.

Mais là où le projet a pu aussi avoir ses effets, c'est sur le sentiment de citoyenneté des habitants. Ces derniers ont choisi un ancien arbre sur lequel ils ont implanté un drapeau libanais. Un drapeau qui n'a pas survolé à Baal el-Darawich depuis 30 ans.

***

Face à tout ce changement, les partis et les députés se précipitent pour proposer leur aide. Ils veulent faire partie du projet coûte que coûte. La réponse des habitants du quartier était claire : « *Le quartier voisin a besoin d'aide beaucoup plus que nous, vous pouvez les aider. Quant à nous, on se débrouille très bien seul !* »

Encore plus, la continuité du projet est assurée par un comité de quartier formé d'un représentant de chaque immeuble. Une initiation aux principes de démocratie, de prise de décision, de représentativité et de responsabilisation. La municipalité a pris sous sa responsabilité l'entretien des projecteurs et le problème des rats. D'autre part, deux jeunes du quartier prennent en charge le programme sportif au quartier.

Et le réseau n'arrête pas de s'élargir ! Un des fleuristes qui regardait un reportage sur le quartier, qu'une chaîne télévisée diffusait, offre des lavandes aux habitants pour orner les bacs à fleurs. Le quartier fantôme devient le quartier du don (*hay al 'ata'*) d'après les dires des habitants !

***

Ce projet est un message aux personnes défavorisées : Croire que l'union peut faire des changements. Mais aussi un message aux jeunes qui cherchent à quitter le pays par désespoir : Croire que nous pouvons effectuer un changement. Ne pas toujours attendre les autres. Ne pas se tenir sur une estrade et faire des discours. Le projet est un exemple de sensibilisation par l'action.

Ainsi, les habitants de Baal el-Darawich passent d'un état de passivité et de fatalité à la position d'acteurs gérant leurs propres vies. Les volontaires travaillent sur l'estime de soi des habitants à travers le cadre physique dans lequel ils vivent en reconnaissant leurs capacités et habiletés. D'autre part, les jeunes cherchent aussi à rétablir le lien avec le réseau interne du quartier à travers une dynamique d'animation.

Ainsi, nous faisons référence à « *une démarche qui permet à ces personnes ayant subi des conditions de vie difficiles et dévalorisantes qui les empêchent de subvenir à leurs besoins, de participer aux bénéfices sociaux de leur environnement, de développer leur pouvoir collectif, d'augmenter leurs possibilités de négociation et d'exercer un contrôle sur eux-mêmes et leur milieu de vie* »¹, le concept d'empowerment.

---

¹. Rapport de recherche sur « La population déplacée par la guerre au Liban », 1992, 12.

Photos

367 لجان الاحياء في طرابلس

Photos

Photos

369 لجان الاحياء في طرابلس

Photos

La rénovation de Baal el-Darawich : Quand un quartier ressuscite

Bruno Barmaki

Un fleuve, des khans, des hammams, une forteresse... Un décor onirique et exotique qui rappelle un Orient des Mille et une nuits. Mais lorsque le fleuve se nomme Abou Ali et qu'on habite sur sa rive droite, le cachet du vieux Tripoli cède la place à un univers dépourvu. Du 27 juillet au 4 août, l'association OffreJoie décide d'opérer dans le quartier démuné de Baal el-Darawich à Tebbané afin de rajeunir ses façades et de soulager le cœur des habitants et de leurs enfants meurtris par le milieu infecté dans lequel ils survivent.

L'histoire débute lorsque OffreJoie décide de monter une expédition afin de rénover un quartier démuné de Tripoli. Or, des ruelles dévastées peuplées par une armée de jeunes et moins jeunes accablés, il en existe à profusion dans la capitale du Nord, surtout à Tebbané. Et c'est précisément en s'y rendant que le groupe d'OffreJoie est soudain interpellé par un jeune homme d'une vingtaine d'années. « Vous m'avez reconnu, c'est moi, Hammoudé, j'ai intégré votre colonie il y a quelques années », s'exclame-t-il. « Montre-nous où tu habites ! », rétorque Philippe Ferneyné, 19 ans, étudiant à l'ESIB, coordinateur au sein de l'association. « C'est ici, ça s'appelle Baal el-Darawich. » Disons que le quartier remplissait pleinement les conditions requises.

Un fleuve à l'origine de la paupérisation

Mais il n'est pas le seul à souffrir du désintérêt séculaire des pouvoirs centraux et locaux. En fait, toute la région de Tebbané souffre d'indigence. A l'origine de ce délabrement, le projet de construction du lit du fleuve Abou Ali. En 1955, des pluies diluviennes combinées aux

arbres déracinés par la tempête et aux ordures jetées dans le cours avaient occasionné des inondations dévastatrices. Résultat : des dizaines de morts et des milliers de déplacés, sans compter les pertes matérielles. Face à cette catastrophe, les autorités publiques ont décidé d'aménager le lit du fleuve. Il ne suivrait désormais plus son cours naturel, contournant la région de Tebbané : il la couperait en deux. Et c'est ainsi que la nouvelle rive droite d'Abou Ali n'a plus été considérée comme faisant partie intégrante du vieux Tripoli, d'où un désintérêt total à tous les niveaux, aussi bien structurel, économique que social. Les travaux ont aussi engendré la disparition de sites archéologiques. La région est depuis lors laissée à l'abandon.

« *Les visiteurs* »

C'est dans ce contexte général que l'équipe de *Magazine* a voulu accompagner OffreJoie sur les lieux, pour mieux appréhender les préparations en cours. Ainsi, après plus d'une heure de route, nous étions soulagés d'arriver, surtout le photographe, avec ses 88 centimètres au-dessus du mètre, qui commençait à se sentir à l'étroit. Mais le soulagement s'est avéré partiel, en découvrant l'environnement insalubre (c'est le moins qu'on puisse dire) dans lequel résidaient des Tripolitains infortunés. Ces derniers exprimaient un engouement manifeste pour la mission de ces jeunes venus embellir leur quartier, accompagnés du père Jean Rouquette et de Georges Arbid, architecte. Ils étaient tous sur les balcons, les moins timides descendaient même saluer les « Visiteurs ». Un rapide tour d'horizon suffit pour se rendre compte de l'ampleur de la misère régnante. Des immeubles désaffectés, parfois hauts de six étages, affichent des lézardes importantes qui n'augurent rien de bon. Une parcelle de terrain comprend, en plus des friches naturelles qui ont poussé avec le temps, des carrosseries de voitures et d'objets divers non identifiés. Une inspection du plan des lieux est effectuée par M. Arbid et le père Rouquette. Après observation des constructions. M. Arbid affirme que le quartier pourrait avoir été bâti au cours des années cinquante. Si, en ce temps, il flambait neuf, aujourd'hui, il en est autrement ! Et il faudrait un chantier pour qu'il retrouve ne serait-ce que quelque lueur.

OffreJoie y a pensé et a mis au point un projet reposant sur deux piliers principaux. La première partie concerne les travaux de rénovation. Quant à la deuxième, elle englobe une animation pour les enfants du quartier.

Un mariage heureux

En un premier temps, les travaux touchent un terrain de 1100 m², les bâtisses qui lui sont adjacentes et la ruelle, précise M. Ferneyné. Ils consistent d'abord en un nettoyage de la surface concernée. Ensuite, il s'agit de replâtrer les murs jusqu'à une hauteur de 3 à 4 mètres et de les repeindre : ainsi, les enfants du village pourront décorer ces façades de fresques d'artistes en herbe. De plus, le terrain vague, actuellement jonché de débris, sera aménagé en terrain de basket et de minifoot. Enfin, le projet prévoit une recanalisation des égouts qui inondent la rue et empoisonnent l'atmosphère de leurs émanations nauséabondes.

« Mon petit nous portera de l'eau à boire »

Le projet établi, il ne manque plus que les hommes et le matériel. Or, une kyrielle de bénévoles s'est mobilisée. D'une part, 40 personnes, membres d'OffreJoie, âgées de 18 à 23 ans, effectueront les travaux requis. Ces membres seront logés et nourris sur place. Ils passeront désormais leurs nuitées, une semaine durant, dans les locaux mis à leur disposition par l'école Saint-Elie de Tripoli, non loin de là. D'autre part, les habitants du quartier ont exprimé leur enthousiasme quant à leur participation active dans le projet de rénovation du quartier. « Tout le monde mettra la main à la pâte, même moi, même mes filles... sauf peut-être mon petit âgé de 2 ans », me confie la mère de Hammoudé. Elle ajoute, un sourire aux lèvres : « Il nous portera quand même de l'eau à boire. » La municipalité, de son côté, a mis à la disposition des rénovateurs un tracteur pour déblayer le terrain. « Les pioches seront rapportées de notre chantier de Kfifane s'il le faut », précise M. Ferneyné.

Dans un deuxième temps, les travaux seront entrecoupés d'animations à l'intention des enfants du quartier. Sabine Merheb, 18 ans, membre d'OffreJoie depuis neuf ans, s'occupera de l'organisation de

chants et de jeux de piste. Dans le courant de la semaine, le groupe GPM, le chanteur écolo Paul Abi Rached et Gisèle Hachem Zard, en compagnie de sa fille, réservent aux enfants plus d'une surprise. De quoi rappeler à ces 8 à 12 ans qu'ils sont enfants et pas uniquement maçons, poissonniers ou vendeurs de ferrailles.

Au-delà de la rénovation

L'action d'OffreJoie ne se borne pas à la seule tâche de « rénovation » traditionnelle. Elle essaie d'inculquer « un esprit de coopération et une prise de conscience de la suprématie du bien public sur les intérêts privés », explique M. Arbid. Une coopération entre une association privée, la municipalité et les habitants. « Et une entreprise qui devrait faire tache d'huile », toujours selon l'architecte. Dans l'espoir que l'idée se propage dans les quartiers avoisinants et, pourquoi pas, dans tous les secteurs défavorisés du Liban.

Magazine, 2 août 2002

OffreJoie en bref

Fondée en 1985 par maître Melhem Khalaf. Activités permanentes : quatre colonies de vacances par an, pour les 8 à 12 ans, permettant un brassage des communautés et des régions.

- Colonies pour les délinquants mineurs.
- Chantier de rénovation à Kfifane : 80 volontaires libanais et français.
- Opération Pull des prisonniers.
- Arbre de Noël : 800 enfants.
- Plantation de cèdres.
- Leitmotiv : amour, respect, pardon.
- Coordonnées : 01-362883.

Baal el-Darawich avant et après

Bruno Barmaki

Un mois après le reportage sur le projet de rénovation de Baal el-Darawich d'OffreJoie*, un deuxième chantier est en cours et une incroyable métamorphose s'est effectuée au niveau du cadre en lui-même, mais surtout au niveau des mentalités. On ne croyait pas si bien dire en parlant de la résurrection de ce quartier démuné de Tripoli. Visite sur le terrain.

***

En s'aventurant dans le « quartier retranché » de Baal el-Darawich, les visiteurs de jadis découvrent aujourd'hui un univers nouveau. Le quartier désert et infect et la population indigente font place à une rue grouillante. Les habitants, enfants, femmes et hommes, aidés par les membres d'OffreJoie, s'adonnent à une multitude de tâches : balayer, peindre, reconstruire un escalier. « Attention, le camion-citerne arrive ! », crie un homme au bout de la rue. A gauche, des enfants se divertissent en jouant au basket ou même au foot dans les terrains nouvellement aménagés. « Goal ! », et on court dans tous les sens pour célébrer le but marqué. A droite, des trottoirs sont construits, sur lesquels des groupes de jeunes heureux chantent leurs refrains préférés. Des arbres sont aussi plantés et des bacs en béton sont là pour recevoir fleurs et plantes, dans ce coin qui n'a connu pendant des années que les mauvaises herbes. Les dessins de Père Rouquette et des enfants du quartier égayent les murs des immeubles. Même la carrosserie délabrée de la vieille Volks est retapée grâce aux pinceaux de ces artistes.

---

*. Voir *Magazine* du 2/8/2002, no 2334.

« *Je ne me bats plus avec ma belle-sœur* »

Au niveau de l'infrastructure, les égouts sont recanalisés avec l'aide précieuse de la municipalité. Offre Joie installe de même des gouttières sur chaque immeuble pour parer au ruissellement des eaux. « Au moins, maintenant, je ne me bats plus avec ma belle-sœur à chaque fois qu'elle nettoie son balcon à cause de l'eau qui suinte dans la chambre à coucher », explique une habitante. C'est ainsi que le chantier d'Offre Joie atteint un objectif qui transcende la rénovation matérielle. Il réussit à réconcilier un environnement hostile en un temps record : un mois et des poussières. Il métamorphose les mentalités et instaure la quiétude entre les habitants du quartier, issus à l'origine de la même famille. De plus, l'attitude vis-à-vis des étrangers change. Lors de la première visite de *Magazine*, nous étions scrutés suspicieusement de biais, de face et de profil, de la tête aux pieds. Cette fois-ci, à notre grande surprise, nous avons droit à un chaleureux « montez prendre un café chez nous. Ya ahla wa sahla ! ». Ils sont même vexés face à notre désistement.

La famille retrouve même une unité perdue. « Au moins, nos hommes sont présents parmi nous la nuit, au lieu d'aller s'enivrer pour fuir la misère qui régnait dans notre quartier. Aujourd'hui, chaque soir, tout le quartier se rassemble dans la rue, nous discutons et fumons des narguilés jusqu'à une heure tardive », s'écrie une mère de famille. « De plus, je suis tranquille quand mon fils âgé de huit ans sort. Il est en train de remplir son temps convenablement dans un environnement sain et propre. Auparavant, c'est au milieu des rats et des serpents qu'il jouait. Aujourd'hui, c'est un événement que de les voir ! », explique son époux.

Non aux dollars des députés

« C'est un changement de comportement social qui est en cours », ajoute Me Melhem Khalaf, fondateur d'Offre Joie. « Mais c'est aussi un message à deux niveaux. D'une part, c'est aux Libanais de comprendre que le changement de leur situation se fera par eux. C'est pourquoi nous avons décidé de choisir comme titre pour notre campagne : « *Bi'itla' bi idna* (Nous le pouvons), pour parer au désespoir formulé par certains face à des problèmes complexes il est vrai, mais non insolubles, et pour bien

faire valoir que nous sommes décidés à rester dans ce pays quelles que soient les difficultés rencontrées. D'autre part, la classe politique doit comprendre que les améliorations peuvent être effectuées sans leurs promesses. » Cette vision n'est pas uniquement adoptée par l'initiateur du projet, mais aussi par les habitants. « En quarante ans, aucun député n'a fait pour notre quartier ce que Père Rouquette, Me Mehlem et Offre Joie ont fait en un mois. Nous ne voulons plus les dollars de nos députés à la veille de chaque élection parlementaire », s'écrie un quinquagénaire.

***

D'autres initiatives sont en train de voir le jour. Ici, des résidents étudient les moyens d'améliorer l'entrée de leur immeuble. Là, c'est une rénovation à l'intérieur même des appartements. « A la suite de ce projet, mon frère, originaire de ce quartier, et qui l'avait quitté pour Qobbé à cause des conditions de vie précaires, revient s'y installer », affirme une femme, le sourire dans les yeux.

Mais la besogne est loin d'être achevée. « Nous ne cherchons pas à cacher la misère, elle est toujours là. Nous essayons de provoquer une prise de conscience de la part des habitants quant à leurs responsabilités concernant leur quartier », affirme Melhem Khalaf. Et c'est dans cette optique qu'un comité est formé en vue de poursuivre ce qui est déjà amorcé. De plus, des mesures concrètes sont prises au niveau de l'éducation. Une jeune femme, après être convenablement préparée, aura pour rôle d'aider les jeunes analphabètes du quartier à surmonter leur handicap linguistique.

***

La rénovation de Baal el-Darawich est un exemple concret de ce que devrait être le développement au Liban. En un premier lieu, c'est une entraide entre le secteur public, représenté ici par la municipalité de Tripoli, le secteur privé, en l'occurrence Offre Joie, et l'individu, les habitants du quartier, dans ce cas. En un deuxième lieu, le résultat obtenu peut être divisé selon deux axes principaux. Une amélioration au niveau de la forme, qui se manifeste par le biais d'un environnement beaucoup plus agréable. Mais aussi un changement radical au niveau du fond, qui se caractérise par une transformation du comportement social, et ce sur trois échelons : d'abord, dans le cadre d'une reconstitution de la famille :

ensuite, au niveau de l'institution des concepts de l'intérêt public du travail de groupe : enfin, dans l'ouverture opérée envers l'extérieur.

En un troisième lieu, les conséquences de ce chantier se manifestent dans l'indépendance acquise vis-à-vis des députés locaux, qui font figure dans le contexte libanais de chefs féodaux octroyant (ou non) à la population des privilèges et des droits en vue de se voir réélus. En lisant ces quelques lignes, certains pourraient croire que le Liban est aux portes d'une révolution sociale. Quoi qu'il en soit, cette expérience sur le terrain prouve qu'il est possible d'effectuer des changements considérables par la seule initiative de quelques personnes et avec la participation de tous.

شارع وحكاية

قصة حي من لبنان خرج من الموت ليحيا اسمه "بعل الدراويش"

هلا ناصر

درس حقيقي من "بعل الدراويش" الى كل لبنان، انه درس من شباب جمعية "فرح العطاء" واهل "الدراويش" الى كل اللبنانيين. فأمام ما فعلته هذه منطقة "باب التبانة" في طرابلس لم يعد بوسع احد ان يتساءل "ماذا يمكنني ان افعل؟" لانه وحسب قول الجمعية عنها "بيطلع بايدنا" وقد برهنت عن ذلك فعليًا وليس فقط في الخطب والشعارات.

فمن حي تملأه النفايات والجرذان تحول "بعل الدراويش" الى مكان تغطي الرسومات جدرانه ويضم ملعبين للرياضة. والاهم من كل ذلك تحول "بعل الدراويش" من حي كان يسكنه اناس قوتهم اليومي المشاكل والخصومات الى حي تسود المحبة والتعاون علاقات اهله الذين يبدو جليًا تغير نمط حياتهم وسلوكهم. وللتعبير عن عمق التبدل لا يسعنا الا ترداد ما قالوه بأنفسهم "لقد انقلبت حياتنا رأسًا على عقب" "كنا امواتًا. واصبحنا احياء"، وعلى حد قول رئيس جمعية "فرح العطاء" المحامي ملحم خلف "الحي صار حيًا".

***

من هي جمعية "فرح العطاء" وكيف نشأت؟ ما هي مشاريعها؟ كيف وصلت الى حي "بعل الدراويش" وما الذي فعلته فيه؟ وما كانت ادوات ورشتها التي جمعت الحجر والبشر؟ في ما يأتي قصة شباب عرفوا ان يعطوا ويقدموا الفرحة والمحبة، وقصة حي شاهد على العزيمة عند الشباب.

في العام 1985 اي بعد مضي عشر سنوات على بدء الحرب اللبنانية المشؤومة كان الشباب اللبناني يتخبط مع نفسه. فهو لا يريد الحرب. وقد عاش طفولة مغتصبة ويشعر ان عمره

يسرق منه. ومن اجل الا تغتصب طفولة اي كان او يسرق شبابه تنادت مجموعة لتقول "لا للحرب" فولدت فكرة تنظيم مخيمات صيفية لاطفال لبنانيين بدون اي تمييز طائفي او مناطقي واصبحت مشروعاً، ومع الوقت كبر المشروع ليصبح جمعية "فرح العطاء".

من بين هذه المجموعة كان الشاب العشريني حينئذ ملحم خلف. وهو حالياً محام ورئيس الجمعية. عن تلك المرحلة والانطلاق يقول "في تلك الاعوام كان هناك ما يسمى بـ"سوق الشفقة" وبالتالي كان ينعى اللبنانيون بالمعتزين ويقال عنهم "يا حرام". وهذا ما انتقضنا ضده فنحن لا نريد شفقة احد، ومن اجل كرامة الطفل اولاً قررنا جمع اولاد من كل بيروت. في العام 1985 كان هذا المشروع لا ينسجم اطلاقاً مع الواقع القائم. في بيروت مجزأة وللانتقال من جهة الى اخرى لا بد من المرور بعدة حواجز، لذلك كان هذا المشروع جوابنا على الحرب. من الجامعة والصليب الاحمر والكشافة التقينا جميعاً وشكلنا قوة لاننا كنا ايضاً مختلطين، وانطلقنا بالمشروع فأما مستلزمات المخيم من خيم وادوات ومعدات من الجمعيات التي كنا نلتزم فيها ولكن بقي الاصعب".

الاصعب لم يكن خوف الناس في ارسال اولادهم الى المخيم بل تأمين الطعام لكثر من مئة ولد اتوا الى المخيم الاول، وحسب خلف "ان المجتمع اللبناني كان بحاجة الى مثل هذا المخيم وهو كان يريد. ففي ثاني مخيم نظمناه اصبح عدد المشاركين 250 ويات الكبار يطالبون بمخيمات لهم. ولكن الصعوبة كانت في تأمين الطعام فأكبر شاب منا كان يبلغ 21 من عمره وبالتالي لم نكن نتقاضى المال، وقفنا عاجزين بداية وكاد المشروع ان يلغى وغادر الشبان الى منازلهم، ولكن يومئذ بقيت وصديقي نقاوم ولم نقبل بالغاء المشروع واخذنا نفكر بحل".

وكان الحل ان يسأل كل واحد امه اذا كانت تقبل بإعداد طعام لحوالي مئة ولد، ويتذكر خلف: "اقترحنا الفكرة وذهب واحد الى جونية والآخر الى الروشة وعندها كانت الاتصالات صعبة ولكن في ذلك اليوم كان الاتصال سهلاً وسريعاً وكان الجواب من الجهتين "ليس امي فقط بل ايضاً جدتي وخالتي وجاراتنا". وهكذا في خلال يومين تأمين الطعام ل 117 ولداً و 35 مسؤولاً لمدة خمسة عشر يوماً، من هنا كان اول مخيم في بلدة "طاميش" قرب مدرسة الشانفيل كالحلم او الاعجوبة اذ كان يقصدنا الكثير من الناس الذين لا نعرفهم، لكي

ينقلوا لنا الطعام، ومن ذلك اليوم نعيش بهذه الطريقة. فنحن لا نطلب المال بل ما نحتاجه، وحاليًا هناك 72 شركة تقدم لنا المساعدات العينية".

ولكن هذه المساعدات توقفت في العام 1986 حين عرف لبنان مشكلة تدني العملة فلم يعد باستطاعة العائلات التي تساعد ان تكفي ذاتها، وتوقفت المخيمات، وعامئذ سافر ملحم خلف الى فرنسا لاكمال دراسته، حيث عرفت "فرح العطاء" الولادة الفعلية، وعن ذلك يقول:

كانت صورة اللبناني في الخارج مزعجة بدءًا من المطار حيث كل يفتش منفردًا وصولاً الى داخل البلاد حيث كانت صورته اكثر انزعاجًا. فالسؤال الذي يتبع سؤال اللبناني عن جنسيته كان عن دينه، لان اللبناني كان يعتبر سفيرًا لطائفته او لحزبه وليس لوطنه، ضمن كل هذه الاجراء قررت الكلام عن تجربة المخيم الذي جمعنا فيه اولًا من كافة الطوائف وتعرفت حينها الى الاب "جان روكيت" الذي وحسب ما قال لديه دين سعادة وفرح للبنان الذي مر فيه عام 1962. واصبح يساعدي ويدخلني الى اماكن لا تكلم عن هذه التجربة، وبهذه الصورة الجميلة تمكنا ولو قليلاً من تغطية صورة الحرب. نتيجة لذلك بدأ يصلني تبرعات مالية، هكذا بت ملزماً بصرفها على مشاريع، واقترح علي الاب "روكيت" خلق جمعية الهدف منها جمع شمل العائلة اللبنانية، وللوصول الى هذا الخيار لا بد من ان يقترن بخطوط انطلاق والتي هي مبادئنا الثلاثة.

***

ثلاث كلمات اتخذتها جمعية "فرح العطاء" منذ بداية الطريق هدفاً وغاية وسبل عيش: تسامح، محبة، واحترام. عن هذه المبادئ الثلاثة يتكلم ملحم خلف بحماسة واندفاع لا يعبر عنهما الورق والكلمات المكتوبة: "بعيش هذه الكلمات الثلاث يمكن الوصول الى قلب الانسان وهذا المهم، ولا بد من ان نصلو اولاً الى التسامح الذي يجب ان يكون سلوكية يومية من اعماق الذات فنبداً من المنزل الى المدرسة وصولاً الى الشارع والمجتمع ككل. وثانيًا علينا ان نحب الآخر وبالتالي علينا قبلاً التعرف اليه بدون اتخاذ اراء مسبقة عنه، كما انه ليس مطلوباً من المسيحي ان يكون اقل ايماناً بدينه ليستطيع التكلم والعيش مع المسلم والعكس ايضاً، انما على كل واحد ان يؤكد على ذاتيته وشخصيته ويكتشف الآخر كما هو، لذلك علينا خلق واحات تلاق لشبيبتنا واولادنا ليتعرفوا ويعتادوا على بعضهم البعض، اما المبدأ الثالث وهو العامود الفقري لتفكيرنا فهو الاحترام بما معناه احترام اختلاف وليس الخلاف، وهذا هو السر لقيام مجتمع صحيح. ومبدأ

الاحترام يتجلى في جمعية "فرح العطاء". على سبيل المثال على مستوى الطعام لا نأكل جميعاً لحم الخنزير احتراماً لمبادئ في الدين الاسلامي وايضاً الكل لا يأكلوا اللحم يوم الجمعة تماشياً مع الدين المسيحي، وكذلك على مستوى اللباس الجميع يحترمون بعضهم ضمن الاختلاف. كما اننا نؤمن في الجمعية باصاً كل يوم جمعة لمن يرغب في الذهاب الى الجامع للصلاة وكذلك يوم الاحد للذهاب الى الكنيسة، ومساء كل يوم يؤدي كل واحد صلواته الخاصة".

ويكمل خلف قصة مسيرة العطاء:

من خلال المبادئ الثلاثة: التسامح المحبة والاحترام حاولنا العيش منذ العام 1985 حتى اليوم، ونحن نسعى من وراء نشاطاتنا ان نحقق الحلم بلبنان الواحد والمتنوع والحر والعاقل. انطلاقاً من ذلك نشاطاتنا هي غير سياسية وغير طائفية انما هي وطنية وهي عبارة عن مخيمات صيفية مجانية تجمع اولاداً من كل لبنان، ومن ضمن هذه المخيمات دخلنا القرى الحدودية التي كانت تحت الاحتلال الاسرائيلي مع الف ولد، كما جلنا في كل لبنان بين عام 1990 و 1991 خلال الحرب الضروس مع 670 ولداً وشاباً وصبية. الى اليوم لا نزال ننظم مخيمات صيفية، ولكن هناك قسم من الذين بدأوا مع الجمعية كبروا وباتوا يطالبون بنشاطات اخرى، فنظمنا ورش عمل وكنا اول من بدأ بوضع لوحات بأسماء القرى النائية ترسم عليها من الورا الارزة، وقد وضعنا اكثر من 500 لوحة في مناطق نائية. ومن خلال متابعتنا اليومية للصحف لرؤية ما يمكن المساعدة فيه، رأينا صورة في صحيفة "النهار" لتلاميذ مدرسة في طرابلس يفتشون الارض لمتابعة الدرس، لم يكن ذلك مقبولاً فباشرنا سلسلة اتصالات ببعضنا البعض في الجمعية ويات كل واحد منا يحاول تأمين طاولات وكراس للمدرسة فجمعنا اكثر من 300 قطعة، وبعد يومين على صدور الصورة كان هناك اكثر من اربعين شاباً وصبية في مركز الجمعية في كفيفان (قضاء البترون) عملوا على هذه الطاولات والكراسي فأعدوها جيداً وأمنا شاحنة نقلتها الى المدرسة، فتجاجأوا بنا.

"رب الثلاثين" عند الحدود

المفاجأة الاخرى كانت في مدرسة "رب الثلاثين" في المنطقة الحدودية في الجنوب بحيث كانت مهددة بالإقفال ولكن "فرح العطاء" اعادت لها الحياة. النقطة المفصلية في حياة جمعية "فرح العطاء" كانت عام 1993 عندما حول شبابها "خربة" (كانت في الاصل مدرسة "سيدة النصر" ثم تحولت الى مركز عسكري وقد هجر ودمر) في قرية "كفيفان" في قضاء البترون الى اجمل مركز لاستقبالهم كما اصبح لديهم مؤخرًا مركز اخر في قرية "معاد" (قضاء جبيل). ولم تكتف "فرح العطاء" بتنظيم نشاطات لاولادها وشبيبتها الذين تهدف ان يهتموا بالآخر ويخدموه، من هنا كان اهتمامها بالاحداث المنحرفين فنظمت مخيمات لهم بالتعاون مع "جمعية اتحاد حماية الاحداث"، وكذلك زيارات شهرية، فقامت علاقات مع الاحداث وياتت الجمعية تتابع امورهم وتقصد منازلهم بعد خروجهم من السجن ومن بين هؤلاء الاحداث من كان يعيش في طرابلس التي عادت ونفذت فيها "فرح العطاء" المشروع الابرز الى الان بالنسبة لها.

شارع "بعل الدراويش" حياة بعد موت

كيف تم اختيار شارع "بعل الدراويش" لاعادة الحياة اليه؟ يقول خلف: "لدينا سنويًا نشاطات على مستوى اوروبا لا يصال افكارنا، والسنة الفائتة كان هناك مؤتمر في "بلفاست" حول تجربتنا وتجارب اخرى من العالم حول كيفية مواجهة الحرب، وفي "بلفاست" عاينت المشكلة الكبرى الواقعة بين الكاثوليك والبروتستانت وقد رأيت امرًا فظيماً، ففي احدى الحقائق العامة التي هي من الاجمل في العالم حائط في الوسط يقسمها الى شطرين: واحد للبروتستانت وآخر للكاثوليك. وانا اجلس في هذه الحديقة فجأة بدأ الاولاد يضربون بعضهم من جهة الى اخرى بالحجارة، فسألته احد الاولاد الذين لا يتعدى عمر اكبرهم الاحدى عشرة سنة عن السبب فكان جوابه "اكرههم" مع انه لا يعرفهم. عندها قررت ان انظم مخيمًا لاولاد "بلفاست" في لبنان مع اولاد "فرح العطاء"، وهكذا نطلق لبننة العالم على طريقتنا وليس كما ترد في المعجم. وبدأنا العمل على المشروع خلال اربعة اشهر ولكنه تأجل بسبب وقوع احدى المرشدات في "بلفاست" في غيبوبة دائمة (Coma). حزن الشباب اللبنانيون الذين كانوا يعدون للمخيم فخططنا ان نعد بدلاً

منه شيئاً لطرابلس لاننا كنا على علم بمدى فقر بعض شوارعها، قصدنا طرابلس وبحثنا عن الذين كنا نعرفهم من احداث فلم نجدهم. وعند مغادرة منطقة "باب التبانة" توقفنا عند محل لبيع خبزوات البرادات وكان هناك في المحل شاب لم نعرفه ولكن بعدما خرجنا لحق بنا وسألنا اذا كنا جمعية "فرح العطاء" وقال لي: انت ملحم؟"

هذا الشاب كان حموده الذي شارك في احدى مخيمات "فرح العطاء" للاحداث المنحرفين" وهو يعمل حالياً في جمع الحديد ويتقاضى اسبوعياً بين 13 و16 الف ليرة لبنانية. ويتابع خلف: "دعانا حموده الى منزله وعندما وصلنا وجدنا حياً تسير فيه المياه المبتذلة وتغطي طريقه النفايات، وبنائاته مليئة بآثار الرصاص وبعضها محروق اما الجرذان فأعدادها لا تحصى...، كان شيئاً مخيفاً للغاية، هذا ما كان عليه شارع "بعل الدراويش" واعتبرناه مشروعنا وبدأت الورشة، وقد عملنا على خطة تقضي بمكافحة يومية للجرذان والحشرات، وتحويل مكب النفايات الى ملعب للرياضة، واعادة تنظيم مجاري المياه المبتذلة وتركيب قساطل لمياه الشتاء".

ويضيف: ولكن الهم من كل ذلك ومن التجميل الخارجي ان نراضي المواطن مع نفسه ومع محيطه ووطنه. فأهالي الحي كانوا يعيشون يومياً وسط المشاكل والخصومات كما ان السكاكين كانت رفيقتهم الدائمة. ولكن بعدما انتت "فرح العطاء" الى الحي تصالح الجميع وباتوا يعملون لمصلحة شارعهم. فقد نهض الانسان وشعر ان هناك من يهتم به وبشارعه بدون غاية بل فقط لانه يحبه ويؤمن به وبقدرته على التغيير، وقد باتوا جميعاً في الحي ينهرون كل من يرمي ورقة على الارض، والفتيات ينزلن الى الشارع بعدما كن لا يستطعن ذلك بسبب المشاكل وطريقة التخاطب التي كانت سائدة. وعندما رفعنا العلم اللبناني افتخر الاهالي وشعروا انهم لبنانيون، وكل ذلك لنقول كما يشير عنوان المشروع "بيطلع بايدنا" ولن يتمكن احد من احباطنا. على مدى خمسة عشر يوماً خيم 72 شاباً وصبية في مدرسة "مار الياس الارثوذكسية" في منطقة الميناء وكانوا يقصدون يومياً "بعل الدراويش" للعمل مع اهله ومع عمال بلدية طرابلس ايضاً. عن هذا التعاون يقول خلف:

ان المشروع نجح بتضافر ثلاثة عناصر: الناس الذين كانوا بحاجة فنهضوا معنا، وايضاً بهمة بلدية طرابلس التي تحمست كثيراً للمشروع وقدمت جهداً كبيراً، وثالثاً بهمة شبيبة

لبنان الرائعة. والمهم حاليًا ان المشروع لم يعد لنا بل اصبح لاهل الحي وقد تشكلت لجنة منهم مع مشاركة شاب من الجمعية لمتابعة كل الامور وتحديد الحاجيات باستمرار، كما اننا سنعمل على مشروع محو الامية في الحي.

عملية انقاذ بخمسة الاف دولار

كلفة مشروع "بعل الدراويش" لم تتعد الخمسة الاف دولار اميركي وكانت كلها عبارة عن مساعدات عينية. وبالأجمال جمعية "فرح العطاء" لا تتلقى اي دعم او تمويل من جهة رسمية والمساعدات المالية الابرز لـ "فرح العطاء" هي من فرعها في فرنسا بإدارة الاب "جان روكيت"، علمًا وانه اضافة الى فرع فرنسا هناك فرع آخر تأسس مؤخرًا في السويد عن طريق شخص زار لبنان وتعرف الى "فرح العطاء" التي تخطت بذلك حدود لبنان واصبحت على مستوى العالم الذي تسعى الى لبننته بمفهوم التعايش والاحترام.

وشدد رئيس جمعية فرح العطاء ومؤسسها اكثر من مرة في حديثه على التعبير الذي حصل في سلوكية سكان الحي: "لقد تفاجأ عمال البلدية. فهم عندما كانوا يأتون الى الحي كانوا يرشقونهم بالحجارة، اما حاليًا فهم يساعدونهم، هناك تغيير مسلكي وسلوكي، المواطن تصالح مع نفسه ومع مجتمعه وبلده ولم يعد مذلولًا ويطلب من احد وعرف انه بإمكانه النهوض بمفرده، والدليل على ذلك ان اهالي الحي نزعوا كافة صور السياسيين والمرشحين التي كانت تغطي الجدران. وهذا التغيير المسلكي يعود الى اننا قدرناهم كإناس واعطيناهم الثقة".

وهذه الرسالة من "بعل الدراويش" موجهة الى ثلاث فئات: أولاً للشباب الذي يجب ان لا ييأس ويعلم ان بقدرته صنع العجائب، وثانيًا لكل الفقراء في لبنان، اياهم والتفكير ان فقرهم يجعلهم مذلولين، فباستطاعتهم الوقوف بدون اموال بل كراماتهم قادرة على ذلك، وثالثًا هي رسالة لكل الطبقة السياسية لنقول لهم اننا نرفض الصورة السلبية عن لبنان التي تنتج عن تصرفاتهم وسنغيرها، وانهم لن يؤثروا على مستقبلنا بل نحن سنؤثر عليهم. وليفهموا جيدًا ان العالم كله يتحول بفعل المجتمع المدني وليس بفعل السياسة. ونحن كمجتمع مدني سنغير لبنان ليس من خلال قرعة كلامهم، بل من خلال صوت شببنتنا وايديهم وارجلهم وعرقهم.

ويختم خلف حديثه "اعيدت الحياة الى حي "بعل الدراويش" ويمكن القول الحي اصبح حياً".

هكذا عادت اليه... الحياة!

عودة الحياة تبدو جلية عند دخول حي "بعل الدراويش" احد فروع منطقة "باب التبانة". فمن الخارج يمكنك معاينة التغييرات لاسيما بالمقارنة السريعة مع سواه من احياء "باب التبانة" التي لا يمكن وصف مدى فقرها. ويتكون لديك انطباع اول بان التغيير طال الحجر، ومن الداخل تعابن اللسة الجمالية والنظيفة التي اضيفت حتى تلمس حقيقة التغيير الذي حصل في الحي لناحية المظهر كونهم عايشوه سابقاً مع روائحه ونفاياته وحشراتة، والاهم كان تغيير نفسية السكان الذين يقرون بذلك، وهكذا يكون الانطباع الاخير عند المغادرة بان التبدل الحقيقي والفعلي لم يطل الحجر بقدر ما طال البشر.

اولاد يلعبون سوياً، شبان ورجال وعمال بلدية يعملون يداً واحدة في ترميم احد الادراج الحجرية، واناس على الشرفات والنوافذ... هكذا كان المشهد عند وصول "الافكار" الى المكان، بين من يعملون ويخططون الياس الحاج الشاب المتطوع في جمعية "فرح العطاء" والذي كان مسؤولاً عن الورشة، وهو حالياً يهتم ويتابع المشروع مع اهل الحي الذين يعتبرونه كابنهم، وقد توجهنا بداية بالحديث الى الياس وهو طالب هندسة سنة ثانية في جامعة القديس يوسف ولا يزال يستغل آخر ايام اجازته الصيفية لتمضيته في "بعل الدراويش"، ويقول الياس عن الورشة:

لقد تمكنا في خلال اسبوعين من تغيير المنطقة خارجياً، ولكننا لم نغير الحجر فقط بل ايضاً اخلاق الناس الذين استطعنا ايصال افكار ومبادئ الجمعية لهم، فأصبح هناك عاطفة قوية بينهم وبيننا. والمهم ان وليد الذي يبلغ من العمر خمس سنوات اصبح يصرخ بوجه كل من يرمي النفايات على الارض. ويمكن القول ان اسم المشروع "بيطلع بايدنا" تحول الى حقيقة وطلع بايدنا ليس فقط على الصعيد الجمالي المادي بل على مستوى الانسان الذي تمكنا من اعطائه الامل والايمان بذاته، وحالياً العديد من الاهالي يحاولون تسوية منازلهم فهناك من بنى درجاً وبعضهم

بنى مشاتل للزهور... المرحلة الثانية ستكون في طلاء كافة البنائات، كما سنقيم حديقة عامة...
بدأنا بتنفيذ ذلك.

طلال الاحمد يسكن في "بعل الدراويش" منذ اكثر من ثلاثين سنة، يصف الحي بالقول:
"كانت المنطقة جيدة وفيها الكثير من الابنية ولكن عندما وقعت الاحداث باتت بالمنطقة المهجورة تتجمع فيها النفايات والجرذان والافاعي التي كانت وسيلة لعب للاولاد فيلحقونها من مكان الى آخر. قصدنا العديد من النواب والشخصيات بدون اي جدوى وقد بقينا مدة 18 سنة في المنطقة على هذه الحالة الى ان اتت جمعية "فرح العطاء" فتعاونت مع البلدية واهالي الحي وحسنته. وقد اصبح الوالد بدل التعامل مع الافاعي والنفايات يتعامل بالمحبة والعلم والرياضة والاخلاق العليا، ويمكن القول اننا كنا نعيش في جحيم واصبحنا في جنة".
لماذا وكيف استطاعت "فرح العطاء" تغييرهم؟

يجيب الاحمد:

لقد اهتمت بنا كشعب محروم في هذه المنطقة التي لم تكن تعتبر من لبنان، واجمل ما فعلته انها رفعت العلم اللبناني وسط الحي وكانت اول مرة نشعر بالفعل ان "بعل الدراويش" ارض من لبنان، فقد كنت عندما اخرج من منطقتي كأني اسافر الى بلد آخر. انها اول مرة يرفع فيها العلم اللبناني في "بعل الدراويش" حيث كانت صور سياسيين كنا نفتخر بهم فاكتشفنا انه علينا الافتخار فقط بوطننا لبنان.

عن استمرار المشروع ومتابعة اهل الحي الاهتمام به يؤكد طلال الاحمد الذي هو عضو في لجنة الحي المؤلفة حديثاً "لقد عاهدنا انفسنا باكمال ما بدأته "فرح العطاء" التي نود تقديم كل ما باستطاعتنا لها حتى اولادنا، فهي قدمت لنا ما لم نكن نأمل به ابداً، ونحن نعتبرهم جزءاً منا ونحن جزء منهم واعضاء في الجمعية. وبالطبع سيكون هناك استمرارية لما بدأوه. فاللجنة تجتمع مع المحامي ملحم خلف كل اسبوع تقريباً لنعمل سوياً على خلق المحبة والاخلاق الجيدة بين الاهالي وللاهتمام بالطفل وهذا هو المهم".

ملعب للاولاد

الاولاد من جهتهم يلعبون وقد اصبح لديهم ملعب مخصص لكرة القدم وآخر لكرة السلة بعدما كانوا يلعبون وسط النفايات. وليد الحموي طفل الخمس سنوات لمس التغيير هو ايضاً وقد قال لنا "ان الملعب اصبح اجمل وكذلك الحي". وايضاً سارة الشامة ووفاء الاحمد اللتان عبرتا عن فرحتهما بـ "فرح العطاء" وما فعلته، فهما لم تكنا تلعبان في الحي بسبب النفايات بل تبقيان في المنزل. اما هبة فؤاد احمد التي لم تفارقنا طوال جولتنا في الحي وكانت بمثابة مرشد لنا هي وعبدالله الحمود. تحيي "فرح العطاء" وتشكرها وتقول "قبلاً لم تكن امي تسمح لي باللعب في الحي بسبب كثرة الحشرات"، وبراءة طفولية تقول لي هبة "لن ارمي بعد الان النفايات في الشارع".

ام احمد الحموي التي قصدناها في منزلها وكانت منشغلة بدفتر سلمها اياه مندوب "فرح العطاء" في الحي الياس الحاج من رئيس الجمعية ملحم خلف كونها عضوة في لجنة الحي، تلخص الوضع بالآتي: "كان حيننا منكوباً وكنا نعيش في حالة يأس وخلافات دائمة بسبب وضع الحي، ففي حال لعب الاولاد سويًا ووقع احدهم كان يتعرض للاذى فيكسر او يجرح يده او رجله. وكل ذلك نتيجة القدرات الموجودة فتقع المشاكل بين الاهل. اما النساء فكن يتخانقن دائماً بسبب تنظيف الشرفات والادراج بحيث كانت تنزل المياه الى شرفة المنزل الاخر او على من هو في الشارع لعدم وجود قساطل للمياه. ولكن دخلت "فرح العطاء" وقلبت حياتنا غيرت الشعب. وقد حل الاستاذ خلف كل الخلافات بين اهالي الحي وجمعهم، وانا كنت قبلاً على خلاف مع احدى جاراتي عندما انت "فرح العطاء" تصالحنا وعملت وايها من اجل تحسين حيننا.

من جهتها حياة نصر الدين احمد، والدة هبة، كانت تتمنى دائماً لو تتمكن من مغادرة الحي: "الوضع كان مأساوياً لاسيما الروائح الكريهة التي كانت تفوح في الشارع وتلوث المياه مما يعرض اولادنا الى الكثير من الامراض وقد توفي ثلاثة من اولاد الحي نتيجة الوباء من النفايات، كما كانت تصل الافاعي الى المنازل من جراء تسرب مياه الصرف الصحي، اما حالياً فلا نصدق ما الذي حصل وقد اصبح بإمكاننا الجلوس على الشرفة فالروائح زالت".

صاحب محل السمانة في الحي سعد الدين رشيد حمود يقول: "كان الحي ميتاً وانت جمعية "فرح العطاء" واحيته من جديد، بالفعل انه امر لم نر مثله في حياتنا".

امل صخري وابنة عمها عليا هما من سوريا وقد قدما الى طرابلس مع عائلتيهما منذ 12 سنة وتحديداً الى حي "بعل الدراويش" الذي وجداه اجمل بحلته الجديدة النظيفة.

ام زياد السيد غيرت رأيها كلياً بعدما كانت تفكر جدياً بمغادرة الحي الذي وبعدما عادت اليه منذ حوالي سنة وجدته مختلفاً جداً عما اعتادته قبل الاحداث، ونقول "لقد عشت هنا منذ حوالي الخمسين سنة، وقد كان الحي نظيفاً وله ارصفة ولكن خلال الاحداث دمر منزلنا وتهجرنا وبقيت فترة طويلة خارج الحي الى ان عدت اليه قبل سنة بسبب الظروف المادية الصعبة، وتضايقت كثيراً. فقد تحول الحي الى مكان لتصليح السيارات ومكب للنفايات مما سبب رائحة كانت تزعج ابنتي ميراي لانها تعاني من حساسية الربو، وكنت احاول افهامهم ولكن بدون جدوى. كما انه لم يكن بإمكاننا اطلاقاً الجلوس على الشرفة واولادي كانوا يمشون بصعوبة في الشارع للذهاب الى عملهم او مدرستهم بسبب حطام السيارات وتسرب المياه ووجود الاوحال، لذلك فرحنا جداً بما فعلته "فرح العطاء" وقد لمس كل الناس الذين يأتون من الخارج هذا التغير في الحي".
والدليل على ذلك كانت والدتها عائشة التي عبرت هنا من ذهولها لما حصل من تغيرات.

حفار المفروشات علي محمد سلوم يعمل في الحي منذ العام 1974 وازضافة الى ما حققته "فرح العطاء" للمنطقة ولاهلهما، استفاد سلوم ايضاً تجارياً "لقد بات يظهر محلي بوضوح من اول الشارع واصبح باستطاعة اي زبون ان يأتي ويركن سيارته في الحي الذي زالت منه الروائح التي كانت تبعد الناس".

عبدالله الحمود الذي ولد في حي "بعل الدراويش" ولكنه غادره الى منطقة القبة لانها انظف عاد اليه ليساهم في العمل واعادة احياء الحي الذي لم يكن يتوقع على حد قوله "ان يصبح جنة".

باختصار لسان حال اهل "بعل الدراويش" واحد، يعبرون عنه في يافطة رفعت عند مدخل الحي باسمهم يشكرون فيها جمعية "فرح العطاء" التي حفر اسمها في قلوبهم وعقولهم حتى ان بعضهم ممن رزق ببنات في خلال هذه الفترة اطلق عليهم اسماء "فرح" او "عطاء" كما قيل لنا. وهذا سيكون ايضاً بدون ادنى شك لسان حال زائري "بعل الدراويش" والذي من بينهم سياح حسب قول احد اهالي الحي "بات يقصدنا السياح للتعرف الى كيفية تمكن الفقير من النهوض من

خلال ارادته القوية وليس فقط بواسطة المال والانتصياح لمن يملكه". وهكذا تكون جمعية "فرح العطاء" قلبت المعادلة بالفعل وبرهنت بالعمل انه ما من شيء مستحيل.

الافكار، 2002

تصوير: يونس سلوم

391 لجان الاحياء في طرابلس

photos

393 لجان الاحياء في طرابلس

photos

395 لجان الاحياء في طرابلس

photos

هل ينقذ "فرح العطاء" باب التبانة الطرابلسية من البؤس والعنف؟

محمد ابي سمرا

تنقل هذه الاسطر ملامح من تجربة في التنمية البيئية والاجتماعية، قامت بها جمعية "فرح العطاء" الشبابية اللبنانية، في منطقة باب التبانة الطرابلسية، التي تعتبر اشد المناطق المدنية فقرًا وكثافة سكانية في لبنان.

في نيسان 2002، كان الشاب الياس الحاج (من منصورية المتن)، العامل في جمعية "فرح العطاء" الشبابية اللبنانية الناشطة في اقامة مخيمات تنشئة وتنمية اجتماعيتين للاطفال والشباب، يسعى في طرابلس الى بيع بعض المقتنيات التالفة (براد، غسالة، فرن غاز)، بعدما استخدمتها الجمعية في مخيمات كفيفان- البترون، فوصل الى محلة باب التبانة التي تكثر فيها ورش الكسر على انواعها. وذكر الياس انه ورفاقه في الجمعية كانوا يخافون الدخول الى بعض الاحياء الطرابلسية المماثلة لباب التبانة، والتي كانت الصورة الشائعة لديهم عنها انها مسرح للجرام والمجرمين.

اليوم، اي بعد مضي اكثر من سبعة اشهر على دخول الياس الى باب التبانة، لم ينزع شبان "فرح العطاء" وشاباتهما - وهم من باقي المناطق والطوائف والجامعات، بشهادتهم- هذه الصورة من وعيهم ومخيلاتهم، فحسب، بل ان مجموعات كبيرة منهم جعلت من حي بعل الدراويش المعدم في باب التبانة مسرحًا دائمًا لفرحها بالعطاء. فطوال الاشهر السبعة الماضية نظمت مجموعات من شبان الجمعية وشاباتهما - وبينهم طلاب طب وهندسة مدنية ومعمارية وفنون - بالتعاون مع اهالي الحي، ورش عمل يومية لاصلاح تمديدات الصرف الصحي ومياه الشفة، وطلاء البنايات، ورفع النفايات، وانشاء ملعب صغير للاطفال والفتيان وحديقة صغيرة في وسط الحي. وفي عملها هذا اطلقت الجمعية مبادرة غير مسبوقة، فأنشأت من اعضائها ومن

المتعاونين معهم من سكان الحي، نواة ادارة مدنية تنفيذية حسنت الشروط البيئية والحياتية والصحية للسكان المعدمين في حي لم تكن تتوافر فيه، كباقي احياء باب التبانة، اي من الشروط الدنيا للحياة البشرية: الجرذان والحشرات تسرح في البنايات وفي اكوام النفايات والمخلفات المتراكمة في كل مكان من الحي منذ زمن بعيد، من غير ان يكف الاهالي عن رمي نفاياتهم اليومية من شرفات بيوتهم الى الشارع والزوايب والممرات بين الابنية المتآكلة والمهترئة الجدران المتروكة بلا طلاء، والتي تفيض في طبقاتها الارضية مياه المجارى، فتجري كسواق صغيرة في الشارع والممرات، مختلطة بالنفايات ومياه الشطف والغسيل التي تندفع من مزاريب البيوت، بينما الاطفال والفتيان يسرحون ويمرحون في هذه الازقة باعداد كبيرة، والنساء يتشاجرن صارخات متشائمات من على شرفاتهم، مما يستدعي مشاركة الشبان والرجال العاطلين عن العمل في معظمهم، من هذه الشجارات التي تصل احياناً الى التطاعن بالسكاكين والوصول الى السجن، فيندر المتعلمون بين اهالي الحي الذين هيهات ان يتسنى لهم ارسال اطفالهم الى المدارس واخراجهم من هذه البيئة التي تصح فيها تسمية بابل البؤس والفوضى والعنف والانحراف، من غير ان تكون هذه التسمية كناية او استعارة لغوية، بل حقيقة مادية ماثلة للعيان، حتى من خلف التحسينات التي اجتهد الاهالي وشبان "فرح العطاء" في ادخالها الى حي بعل الدراويش طوال ما يزيد على سبعة اشهر من العمل.

***

بعد وقت قصير من وصولنا، زوجتي وانا برفقة السيدة وفاء شعراني، المدرسة في الجامعة اللبنانية وزوجة رئيس بلدية طرابلس العميد سمير شعراني، الى حي بعل الدراويش، صبيحة نهار احد - وكان اعضاء من شبان "فرح العطاء" وشاباتنا، قد سبقونا الى الحي، لتنظيم نقل ساكنيه بالبوسطات الى احد مطاعم طرابلس، حيث دعتهم الجمعية الى تناول طعام الغداء على نفقتها الخاصة - تخيلت اننا، نحن الغرباء عن الحي، نشبه في وقوفنا بين جمهرة من نسائه ورجاله واطفاله، بعثة من الصحفيين واعضاء الجمعيات الانسانية ونجوم السينما والناشطين في مجال الاغاثة وحقوق الانسان. وهي البعثة التي كان الروائي التشيكي - الفرنسي، ميلان كونديرا، قد وصفها وصفاً تهكمياً لاذعاً في احدى رواياته، بينما كانت تقوم بأعمال الاغاثة في احد البلدان المنكوبة بالفقر والحروب. فكونديرا، ناقد الاندفاع

"الغنائية الكبرى" وكارها حتى الغنيان، في الشعر والثورة والعطاء والاعاثة الانسانية في النصف الثاني من القرن العشرين، صور اعضاء بعثته في حال من التنافس المقذع على الظهور امام عدسات مصوري الصحف والتلفزيون ووكالات الانباء العالمية، ما ان نزلوا من الطائرة التي نقلتهم الى البلد المنكوب. لكن اعضاء جمعية "فرح العطاء" لم يدعوا احداً الى ان يشهد ما باشروه منذ سبعة اشهر في حي بعل الدراويش، حتى انهم لم يطلبوا العون من بلدية طرابلس، بشهادة رئيسها، الا بعدما ارسلت البلدية تستطلع ما شرعوا في تنفيذه في الحي، فأزمنت على مساعدتهم من غير ان تتدخل في افعالهم، وقدمت لهم مواد عينية ضرورية لمشروعهم، ثم دعنا، اخيراً، الى طرابلس كي نستطلع احوال باب التبانة، وما فعلته "فرح العطاء" في حي بعل الدراويش.

على ان "الغنائية" وحميمتها كانتا تتدافعان في نفس ملح خلف وعلى لسانه وتظهران في سلوكه، فيما هو يحدثنا عن الجمعية والمشروع الذي نفذته في الحي. خلف، هو رئيس الجمعية واحد اعضائها المؤسسين عام 1982، في بيروت، ويعمل اليوم مدرساً في كلية الحقوق في جامعة القديس يوسف. وما ظهر عليه من حمية واندفاع - فيما هو يشرف على تدبير نقل الاهالي من ساحة الحي الى المطعم الطرابلسي، وينشغل في متابعة امور اخرى وتدبيرها متنقلاً في نواحي الحي بين بعض الاهالي، ويرد على اسئلتنا - ابداه في هيئة الذي يؤدي دوراً يجيده. ثم ان كلامه كان لصيقاً بدوره هذا، ولا يقل عنه حمية واندفاعاً: لم نستأذن احداً في الدخول الى بعل الدراويش، حين قررنا البدء بتنفيذ مشروعنا الذي كان الاول من نوعه في جمعيتنا التي ارادت ان تخرج خبرات اعضائها من مخيمات التنمية البيئية والاجتماعية الى حقل اجتماعي اكثر عمومية ورحابة، فاخترنا العمل مع الاهالي لتغيير ظروف حياتهم الغارقة في الفقر والبؤس والاهمال والعنف والبطالة والامية والانحراف. والمصادفة التي قادت زميلنا في الجمعية، الياس الحاج، الى باب التبانة، حيث اذهله البؤس المادي والمعنوي للبشر، فنقل صورته الينا، هي التي حملتنا على اختيار هذا الحي لاطلاق مشروعنا التنموي الجديد الذي نرى انه تطوير لما بدأناه عام 1982، حين رحنا نجمع من مناطق مختلفة في بيروت شباناً وفتيات على خطوط التماس احتجاجاً على الحرب، ودعوة لابقافها.

ربما كان من البديهي ان تسري في حي بعل الدراويش وجواره من احياء باب التبانة، الشائعة التي نسبت العاملين في جمعية "فرح العطاء" الى جماعة شهود يهوه او الى الحركة الماسونية، حين بدأوا بتنفيذ مشروعهم في الحي. فبين اعضاء الجمعية كثير من المسيحيين، وهم "غرياء" عن طرابلس وجوارها، في معظمهم. واسم "فرح العطاء" ليس جديدًا عليهم فحسب، بل غريب في دلالاته ومعناه عما تعودوه والفوه من اسماء الجمعيات والمنظمات الكثيرة التي عرفوها ويعرفونها، وتتاسلت بالعشرات في احيائهم ومجتمعهم المحلي، وانخرط كثيرون منهم في انشطتها المسلحة وغير المسلحة، طوال العقود الثلاثة المنصرمة. ولا بد ان يكون قد ظهر لاهالي حي بعل الدراويش وجواره ان جمعية "فرح العطاء" تختلف اختلافاً واضحاً عن الجمعيات والمنظمات الاهلية الاسلامية التي يعرفونها اليوم في احيائهم، ليس لان العاملين والعاملات فيها مسيحيون في معظمهم فحسب، بل لان علاقتهم بهم واسلوب عملهم، وما جاؤوا يدعونهم اليه ويساعدونهم فيه، يختلف عن اساليب الجمعيات والمنظمات الاخرى، وما تدعوهم اليه. ذلك ان اياً من فيها لم يدعهم الى تنظيف حيهم من النفايات والى الكف عن رميها، ولا الى اصلاح البنية التحتية للخدمات فيه. وربما الاله من ذلك ان "فرح العطاء" لم تدعهم الى مهرجان خطابي احتجاجي يحضهم على "المقاومة" و"الجهاد" ضد "الكفرة" والتظلم ضد "الاستكبار" والدولة "الجائرة"، بل دعتمهم، على خلاف هذا كله، الى المبادرة الذاتية لتدبير شؤون حياتهم بانفسهم، وساعدتهم في تنظيم هذه المبادرة، ووضعت خبراتها في خدمتهم، وصرفت في سبيل ذلك نحو 13 الف دولار من اموالها، فما كان من البلدية الا ان بادرت الى تسهيل هذا العمل وساهمت فيه بتقديم المواد العينية اللازمة. وقد تعاونت الجمعية والبلدية على تأمين تكاليف تسجيل بعض اطفال الحي في المدارس، وقام شبان "فرح العطاء" وشاباتهما بتدريب ابناء الاهالي وبناتهم على احياء نشاطات ترفيهية في الحي، فأقاموا سهرات وحفلات رقص في الحديقة الصغيرة. حدث ذلك كله من غير ان يشعر الاهالي ان لدى الجمعية هدفاً خفياً او مضمراً لتأطيرهم في سلك دعوي عام لصالح قضية صغرى او كبرى، ولتحويلهم كتلة بشرية متراصة ومرصودة لفعل بطولي خرافي او خارق، ولا هي استهضت فيهم الثأر لهوية اهلية جريحة والذود عنها واستعادتها. واعضاء "فرح العطاء" لم يسعوا الى الذوبان او الالتحام العضوي في حياة اهل بعل الدراويش واجتماعهم، بل ظلوا على ما هم عليه، "غرياء" يأتون الى الحي ويعملون مع الاهالي في ورش اصلاحه وتأهيله، كأنهم

يقومون بدورات تدريبية، فنية ومهنية في التنظيم المدني، تدفعهم الى ذلك رغبة شبه "سياحية" واستكشافية في عالم غريب عنهم وعن ثقافتهم وعن البيئات الاجتماعية التي يعيشون فيها، ومن غير ان تكون غايتهم من هذه الدورات والرحلات الاستكشافية تغيير "هوياتهم" الطبقية والثقافية والاجتماعية، على غرار ما كانت تسعى اليه في الستينات والسبعينات من القرن المنصرم، جماعات ايديولوجية يسارية ثورية تدعو الى اقامة "سلطة شعبية" مسلحة او غير مسلحة، وعلى غرار ما تسعى اليه اليوم جماعات الاسلام الرسالي والاصولي التي تحاول تجييش الاهالي لاقامة "مجتمع نقيض" ضد "المجتمع المنحرف" او "الكافر".

وقد يكون ما يحرك رغبات شابات "فرح العطاء" وشبانها، ويدفعهم الى الدور الذي يقومون به في بعل الدراويش، هو حاجتهم الفردية والشخصية الى التعارف والتعاون لتوسيع افق حياتهم وخبراتهم الانسانية والمهنية، عبر انخراطهم في تجربة جديدة تمنحهم، الى الاستكشاف والتدريب الميداني، "الفرح بالعطاء" النابع من دافع اخلاقي قد لا تخفى صلته بأصداء بعيدة من الطبى المسيحية.

***

لم ينف ملحم خلف هذه الصلة التي لا تشكل اكثر من عنصر بعيد في التكوين الانثربولوجي الثقافي والاخلاقي في عمل "فرح العطاء". وهو عنصر ذو طابع انساني عام يحفز العاملين والعاملات في الجمعية على بذل ما لديهم من خبرات وطاقات في ميادين العمل الاجتماعي التنموي العام والمحدث لرفع مستوى حياة الناس المعدمين والبائيسين، لادراجها، قدر المستطاع، في اشكال "سوية" من الحياة الحديثة. هذا من غير ان يجري استخدام هذا العنصر الاخلاقي المتصل بالطوبى المسيحية لانشاء لحمة جمعية او عصبية او هوية اجتماعية - سياسية. فالعطاء في عبارات ملحم خلف وغيره من رفاقه في الجمعية لا يميز بين الناس بناء على هوياتهم وعصبياتهم وانتماءاتهم، بل ان غايته المضمرة او غير المعلنة وغير المباشرة، هي اخراج الناس من الهويات والعصبيات والاستقطابات المحلية، عبر محاولة تغيير بيئتهم السكنية وعلاقاتهم الاجتماعية اليومية، وصورتهم عن انفسهم وحياتهم، بغية ادراجهم في انتماء وطني لبناني، عام ومفترض. وفي هذا المجال تظهر "غنائية" كلام خلف وحميته اللتان تبدوان اليوم

اشبهه بأصغاث احلام لمراقب يستهول استدخال تغيير ارادي في بنى اجتماع الجماعات المحلية وثقافتها.

لكن هذا الاستهوال اليأس، المحزن والأليم، ليس من حقه ان يدعو ملحم خلف ورفاقه الى نبذ احلامهم "الغنائية" واليأس منها، ما دامت قد حملت اهالي بعل الدراويش على رفض ان تستميلهم وتسترضيهم وتستتبعهم جهة محلية، عبر قيامها بطبع شعاراتها على قمصان رياضية رغبت في توزيعها على اطفالهم الذين يلعبون كرة القدم في الملعب الرملي الصغير الذي ساعدتهم "فرح العطاء" في انشائه، كما ساعدتهم ايضاً في وضع اكشاك في نواحي الحي لبيع السندويشات والحلوى، وذلك بهدف الترتيب والنظافة. وقد يكون الاهم من هذا كله ان المراقب يلمح لدى اهالي الحي طيفاً من المسؤولية الفردية والجماعية للحفاظ على ما جرى انجازه في حيهم من تحسينات بمساعدة "فرح العطاء" التي يلبس انفسهم شيء من الاحترام والامتنان لاعضائها، ويرغبون في ان يكونوا على حسن ظن الجمعية بهم، وان يبدووا على الصورة التي اردتهم ان يكونوا عليها، فلا يسترخصون التحسينات التي ساعدتهم في انجازها ويتركونها تتلف وتتخرب، فيعود الحي الى ما كان عليه من خراب واهمال وانتشار نفايات ومياه مبتذلة وحشرات. والحق ان التحسينات التي تبدو ملامحها في بعل الدراويش، لا تخفي الحال المزرية التي يعيشها اهله، اذ يستحيل على مبادرات احدى جمعيات المجتمع المدني الشبابية ونشاطاتها وجهودها ان تتشل حياة جماعة اهلية من حضيض اجتماع البؤس والحطام اللذين راكمتها عقود من النزوح والتهجير والامية والبطالة والاهمال والحروب.

لكن ما يعول عليه ملحم خلف في "غنائيته" هو ان يؤدي تحسين ظاهر الحياة المادية في بعل الدراويش، الى تغيير العلاقات الاجتماعية بين ساكنيه. فلا تتصايح النسوة ويتشاجرن لشدة تداخل حياة السكان وازدحامها في الحي، ولا يترك الاطفال ينشأون نشأة فتية الشوارع، ولا تهيمن الحياة الذكورية في قسوتها على الحي جراء تبادل الفتيان والشبان والرجال العاطلين عن العمل عنفاً يومياً، يؤدي احياناً الى السجن الذي يكثُر نزلؤه من ابناء بعل الدراويش. انه طموح كبير، ودونه الخروج من عالم اجتماعي الى آخر، هيهات ان تقوم بتبعاته عوامل خارجية يجري استدخالها الى بيئة وعالم جرى تشكلهما في غمرة تحولات اجتماعية عصفت بلبنان طوال النصف الثاني من القرن العشرين.

***

يرغب ملحم خلف ورفاقه ان يستدخلوا الى حياة اهل بعل الدراويش صورة اخرى جديدة عن العيش، تختلف عن حياتهم، من ذلك دعوة "فرح العطاء" اهل الحي الى غداء في مطعم في المدينة. ومن ذلك ايضاً انهماك خلف وبعض رفاقه في مناداة الذين يعرفونهم من السكان وسؤالهم عن احوالهم والمستجدات في امور وانشغالات في حياتهم اليومية التي يعرفون بعض وجوهها. وما مناداة خلف اطفالاً من الحي باسمائهم، والقاءه عليهم تحية الصباح باللغة الاجنبية وقيامه بطبع قبلات على وجوههم، الا مظهر احتقالي من مظاهر الدور شبه المسرحي الذي يقوم به. وها هو ذا ينادي فوزي وام محمد، ويسألها عن احوالها واحوال اولادها وعن مستجدات في شؤون الحي وشجونه.

فوزي وزوجته اصاب حياتهما مع وفادة "فرح العطاء" الى الحي شيء من "الوجاهة" و"الحظوة" جراء تعاونهما مع الجمعية ومشاركتها مشاركة فاعلة في مشروعها. وهذا ما ادى الى ان يصير فوزي، العاطل عن العمل، في دور ناظر في الحي، يهتم بالحفاظ على ما أنشئ فيه من تحسينات، ويشرف على تنظيم شؤون بعض خدماته، ويحرص على ان يكون صلة وصل بين الاهالي والجمعية التي حظي بثقتها، فأخذت تقدم له مساعدة مالية شبه منتظمة تؤمن له مورداً لمعيشته واسرته. وهذا ما انعكس ايضاً على زوجته، ام محمد، التي اكتسب حضورها شيئاً من "المكانة" بين نسوة الحي، فأخذت تكثر من طلاء وجهها بالمساحيق، على ما بدت عليه صبيحة نهار الاحد، حين خرجت من بيتها مرتدية عباءة، قبيل ذهابها مع اهالي الحي الى المطعم الطرابلسي الذي دعته اليه الجمعية.

في حديثنا العابر مع فوزي تبين انه من آل ناصر الدين، ومن مواليد باب التبانة سنة 1962. فوالده مرشد ناصر الدين نزح من الهرمل في شبابه البعيد اثر خلافه مع اهله وعشيرته هناك، فساقته اقداره الى باب التبانة، حيث تزوج فتاة من اصول هرملية وانجب، وعمل حارساً في شركة قاديشا للطاقة الكهربائية، قبل ان يقضي صعقا بالتيار الكهربائي عشية الحرب، ليخلفه ابنه البكر في عمله في الشركة نفسها وفي الموت صعقا بالتيار الكهربائي، قبل عشر سنين. اما فوزي فقد تردد على المدرسة سنتين اثنتين، وتركها ليعمل في ورش اصلاح السيارات، وفي ورش كسر النافذة منها، وهي كثيرة في احياء باب التبانة ومحيطها القريب. وعام 1982 تزوج فوزي

من فتاة طرابلسية في باب التبانة، فأنجبا اربعة اولاد، بكرهم جندي في الجيش اللبناني، وابنته تزوجت قبل سنة وانجبت طفلاً. وقال فوزي انه توقف وزوجته ارادياً عن الانجاب، لئلا "يصير بولادنا مثل ما صار فينا"، بحسب عبارته.

باب التبانة بالارقام

من دراسة قدمتها اخيراً بلدية طرابلس لرئيس مجلس الوزراء رفيق الحريري، في عنوان "مشروع اغاثة عاجلة لمنطقة باب التبانة" نقتطف المعيطات الآتية:

- تعتبر باب التبانة المنطقة الاشد كثافة سكانية في لبنان: 55 الف نسمة في 8800 وحدة سكنية، بمعدل 7 اشخاص في المسكن الواحد. المساكن مكتظة، معظمها متصل بعضها ببعض الاخر، ومصابة بتصدعات. وهي معدومة التمديدات الصحية، فتخلط المياه المبتذلة والامنة المستنقعة في المستودعات السفلى، بمياه الشرب التي لا تصل الى الطبقات العليا.
- صنفت منظمة الامم المتحدة المنطقة منكوبة بيئياً وعمرانياً واجتماعياً، ويعيش سكانها تحت خط الفقر الشديد، حيث تنتشر الامية والبطالة والزواج المبكر (14-17 سنة) والانجاب المرتفع (6-12 ولداً في الاسرة). نصف سكانها من اصول طرابلسية، ونصفهم الاخر وافدون من عكار والهرميل وسوريا.
- في دراسة وضعتها طالبة جامعية في طرابلس، ورد ان عدد الجوامع في باب التبانة عشرة، تديرها جمعيات اسلامية سنوية مختلفة، وواحد منها يسيطر عليه "حزب الله".

النهار، 2003/1/26

شباب جمعية "فرح العطاء" أهلوا حي بعل الدراويش في طرابلس:
 "بيطلع بايدنا" ان نغير وجه لبنان والعالم
 رلى مخايل

بمبادرة من شباب جمعية "فرح العطاء"، تبدلت حياة سكان حي بعل الدراويش في طرابلس. فمن افقر حي في لبنان، اراد هؤلاء الشباب توجيه رسالة مفادها انه بالمبادرة والتعاون والعمل يمكن تغيير وجه العالم.

***

الحياة اليومية لسكان حي بعل الدراويش الواقع في اول مدخل باب التبانة، المنطقة الشمالية من طرابلس، اقل ما يمكن القول فيها انها "العيشة من قلة الموت"، على ما يقول سكان الحي. ابنية شبه متصدعة، وواجهات منازل منكوبة عليها بصمات الحروب و"الاقتتال الاخوي" الذي عرفته احياء طرابلس ابان الحرب... ومن كثرة الاهمال، ولد "قلة احوال" السكان، ظل هذا الحي لاكثر من ثلاثين عامًا ضحية فقر مدقع وبيئة صحية غير سليمة. فليس من السهل تحديد معالم ازقة الحي التي لم تعرف التأهيل منذ زمن وألفتها مياه المجارير المتدفقة عليها منذ اعوام طويلة. وساحة الحي كانت عبارة عن مكب نفايات، يتقاسم اللعب بقربه اولاد الحي الى جانب الجردان والحيات.

وسط هذا "الكادر" البائس، كان يعيش ثلاثة آلاف شخص، يشكلون 150 عائلة يتوزعون على الـ 12 مسكنًا التي تشكل الحي. معظم هؤلاء السكان يعتاشون من صيد السمك وبيع الخرضوات وسط عمالة اطفال مرتفعة تصل معها نسبة الامية بين الاولاد الى 40%، اضافة الى ارتفاع نسبة الوفيات بين الاطفال بسبب الكوليرا والتلوث الجرثومي، حسب ما يقول الاهالي.

صدفة خير من ميعاد

لم يخطر ببال هؤلاء السكان يوماً ان يتكاتفوا لتحسين ظروف حياتهم التي اعتادوا عليها، فاصبحت نمط حياة. يتعايشون مع اكوام الزبالة، لا بل يساهمون في تغذيتها فيرمون فيها ما يريدون التخلص منه. يتآلفون مع روائح المجارير، ويلعب اولادهم مع الجرذان التي يحاولون الامساك بها في شكل طبيعي.

ولم يخطر ايضاً ببال المرشحين الدائمين الى المقاعد النيابية، الذين كانوا يزورون الحي في المواسم الانتخابية، ان يبادروا الى مساعدة سكانه... كانوا يكتفون فقط بتوزيع صورهم لالصاقها على حيطان الابنية المشوهة اصلاً.

هكذا مرت الاعوام، والجميع راضون بأحوالهم، الى ان وصل الى الحي 40 شاباً وشابة من لبنان، اضافة الى شباب من اسبانيا وايطاليا، يشكلون فريق عمل تطوعوا في جمعية "فرح العطاء"، وهنا تبدأ القصة وتقلب رأساً على عقب حياة سكان الحي... فماذا في التفاصيل؟

اضافة الى مخيمها السنوي للاحداث الذي تقيمه في كفيان، تبادر جمعية "فرح العطاء" كعادتها كل عام، الى تنظيم مشروع تنموي في احد المناطق يقوم في اساسه على التطوع والتعاون. هذه السنة، ارادت الجمعية ان تعمل في حي فقير، ويقول مؤسسها المحامي ملحم خلف: "كنا نبحث عن حي فقير نعمل على تأهيله مع سكانه... والصدفة هي التي قادتنا الى حي بعل الدراويش. ففي احد الايام، كان خلف برفقة شباب من الجمعية في احد محال طرابلس فسألوا عن حي فقير يمكن ان يعملوا فيه. وصادف وجود الشاب حمودي (19 عاماً) في المحل، وكان يستمع الى الحديث... وكان ايضاً يتقرس في وجوه هؤلاء الشباب الذين اكتشف انه يعرفهم جيداً... اذ كيف ينسى من ادخل البهجة الى قلبه يوم شارك معهم، من اربعة اعوام، في مخيم الاحداث في كفيان؟ فحمودي كان قد حكم عليه للسرقة... فبادر الى مخاطبة الشباب: "انا حمودي، ماعرفتوني، كنت معكم في كفيان، انا باخذكم على حي فقير...". ترافق الشباب وحمودي، الذي قادهم الى حيه وكانت المفاجأة والدهشة: "هل يعقل ان يكون هناك اماكن في لبنان بهذا الوضع المذري؟ وبدأ العمل على تأهيل الحي.

بداية حياة مختلفة

اتخذ الشباب المتطوعون مكان اقامة لهم في مدرسة مار الياص القريبة من الحي. كانوا يعملون يوميًا مع الاهالي على ترميم الحيطان وازالة الزباله وتصليح المجاريير... لكن عمل الشباب التطوعي لم يرتكز فقط على ازالة التشوهات البيئية والصحية، بل ارتكز ايضًا على تفعيل سكان الحي، الذين سرعان ما اصبحوا شركاء فاعلين للتغيير في حيهم، وعندما تصل الى ذلك الحي في "عز الورشة" تشعر ان حياة جديدة بدأت تدب في الحجر وفي الناس. تقول فاطمة الحموي: "لقد احيا هؤلاء الشباب نفوسنا قبل ان يحيا الحجر في حيننا. الآن بدأنا نشعر بانتمائنا الى منطقة وبلد، الآن بدأنا نشعر اننا جزء من الوطن... والمشروع الذي نفذه الشباب واهل الحي اتى متكامل الرؤية، ويشرح خلف: "لقد باشرنا اولاً اصلاح قساطل المجاريير البالغ عددها 13 قسطاً اضافة الى مجرور رئيسي يرشح من 18 عامًا ولم يقدم احد على اصلاحه". وبعدما تأكد من معالجة اماكن النش وتسرب المياه المبتذلة، وقد ساعدتهم بلدية طرابلس في ذلك عبر وضعها في تصرفهم المعدات والآلات اللازمة للتنفيذ، باشرؤا مرحلة اخرى من العمل هي ازالة اكوام النفايات من ساحة الحي لتحويلها الى ملعب للاولاد ومكافحة الجراذير. ثم انتقلوا الى ترميم الابنية وتجميل واجهاتها... كل هذه الاعمال كانت تتم بمشاركة الجميع كبارًا وصغارًا، حتى ان العمل التنموي المحلي كان اساس فكرة المشروع كما يشرحها خلف: "كنا نهدف الى تحفيز الناس على تحسين ظروف حياتهم، نحن من البداية بدأنا تنفيذ المشروع على ان يتطوع الشباب للعمل عشرة ايام مع الاهالي الذين عليهم ان يكملوا العمل وينهوه"... هكذا تألفت لجنة الحي من السكان لمتابعة تنفيذ المشروع، خصوصًا ان الاهالي اخذوا يشعرون بأهمية التغيير الذي طرأ على نوعية حياتهم. فأضافة الى تحسين الظروف الصحية والبيئية، بدأ ينمو جو مختلف من التآلف بينهم. وأخذت تتراجع المشادات الكلامية التي كانت تشهدا ازقة الحي ليلاً - والتي كانت تتطور الى حد سحب الخناجر - لمصلحة جلسات السهر في الساحة.

"بيطلع بايدنا"

تجربة شباب "فرح العطاء" تستحق التأمل، لأنها صالحت عددًا من ابناء الوطن المنكوبين مع وطنهم، واعادتهم الى مواطنيتهم عبر اشراكهم في التنمية والتغيير. وصالحتهم ايضًا كأعضاء مجتمع اهلي مع السلطات الرسمية المتمثلة في البلدية التي شاركت بجدية في المشروع. لقد عادوا يشعرون بالانتماء، واصبح سكان حي الدراويش يشعرون انهم "اولاد حي"، على ما يقولون.

من افقر منطقة في لبنان، شكل عمل هؤلاء الشباب رسالة متعددة الابعاد. لقد حاولوا ان يقولوا "ان لبنان لا يموت عند وجود الارادة"، وان الشبيبة عليها ان لا تستمد الامل من المسؤولين لان الصورة تبدو قاتمة جدًا، انما من التزام قضايا الوطن، على ما يقول خلف. وحاولوا ايضًا ان يقولوا لجميع اهالي الاحياء الفقيرة والمهملة انهم اذا تجمعوا وتكاتفوا يمكنهم ان يبذلوا حياتهم. هكذا زها لبنان المحبة والتسامح والاحترام الذي حاول جوليان، الياس، مروان، رنا، رودي... وكل اعضاء فريق الشباب المتطوعين ان يجسدوه عبر عملهم وعبر الرسوم التي زينوا بها واجهات المباني.

وهكذا برزت صور للعلم اللبناني الذي كان يرفع للمرة الاولى في الحي منذ 30 عامًا، الى صور التآلف والتآخي والمحبة... كل هذه الامور شكلت تجربة تستحق العناء وتبدل الكثير... ويترك الزائر المكان ويظل يتردد في اذنيه صوت ملحم خلف العامر بالعزم والحماسة: "ايه بيطلع بايدنا، كما يقول عنوان المشروع، بيطلع بايد الشباب ان يغيروا وجه لبنان والعالم".

النهار، 2002/11/3

رلی مخایل 410

Photos

411 لجان الاحياء في طرابلس

رلی مخایل 412

Photos

نجاح تأهيل حي في طرابلس

اطلعت السيدة اندريه لحود من وفد جمعية فرح العطاء برئاسة رئيس الجمعية محمد حمادة زارها في القصر الجمهوري امس على النشاطات الحديثة للجمعية التي كان ابرزها في المرحلة الراهنة ورشة تأهيل حي بعل الدراويش في طرابلس، الذي كان يعتبر من الاحياء الفقيرة واصابه الاهمال بسبب الحرب فتراكمت فيه النفايات، والذي تحول بعد التأهيل الى حي فيه ملاعب للاطفال وقد عادت اليه الوان الحياة وصورة الوطن، فارتفع العلم اللبناني فيه بعد نحو ربع قرن من الغياب بسبب الحرب، كما تحول الى مكان نموذجي تطيب فيه الاقامة.

ضم الوفد الى حمادة وليد ارناؤوط ونديم سعيد ونسيب شديد وجيزيل هاشم زرد وكريستين ابي اللمع والدكتور ملحم خلف الذي تحدث باسم الوفد موضحاً ان هذه الورشة لم تتجح الا بهمة كل المناطق اللبنانية وبمشاركة شباب من فرنسا واسبانيا ومصر وبمساعدة بلدية طرابلس وقاطني الحي"، مشيراً الى ان العمل استمر شهرين.

وتمنى على السيدة لحود حضور حفل خاص سيقام احتفالاً بفرحة استعادة صورة الوطن والانسان في هذا الحي وذلك "تقديرًا لجهود ابناء الحي والشبيبة والبلدية الذين نجحوا في هذا العمل الوطني والانساني وتأكيّدًا ان لبنان لا يبنيه الا ابناءؤه، وتتويجًا لجهودهم التي تميزت بالتضامن والتضحية والاخاء.

وتم خلال اللقاء تقديم عرض مصور لواقع الحي قبل ورشة التأهيل وبعدها، حمل عنوان "بيطلع بايدنا".

وابدت اعجابها بالعمل والارادة الصلبة على انجازه، وحيث "روح المواطنة التي تخطت الحواجز الطبقية والمناطقية والطائفية بهدف اعادة نشر القيم اللبنانية الاصلية وتجسيدها في عمل كبير"، ووعدت بتلبية الدعوة في اقرب وقت، متمنية على جمعية فرح العطاء مضاعفة

نشاطاتها في هذا الاتجاه على الاراضي اللبنانية "خدمة للجيل الشاب وتوعية على اهمية الانتماء الى هذا الوطن".

النهار، 2002/10/1

خاتمة

خلاصة برنامج "الحكمية المحلية" في سنته الثانية

انطوان مسرّه وطوني عطاالله

1

ترشيح: الصمود المعنوي واستعادة الثقة والمبادرة

تحت عنوان "سبل تطوير المجتمع الأهلي ومواكبة العودة إلى ترشيح" تابعت المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم تنفيذ برنامجها الذي أطلقته منذ العام 2000 حول "الحكمية المحلية: مبادرة ومشاركة ومواطنة في المجال المحلي"، وعقدت السبت 21 ايلول 2002 بالتعاون مع جمعية مار شليطا الخيرية الاجتماعية ندوة في دير الآباء اليسوعيين في ترشيح، بمشاركة حشد من اهالي البلدة، لتفعيل القدرات الذاتية المحلية من خلال تعريف المواطنين على اوضاعهم العامة في البلدة، وتنمية النقاش المحلي حول سبل تحسين نوعية الحياة مادياً ومعنوياً والعمل على تنفيذ مشروع - مبادرة يصب في المصلحة العامة.

انطلقت ندوة ترشيح من مبدأ "فكر شمولياً وإعمل محلياً"، ومن هدف محدد عبّر عنه منسق الابحاث في المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم الدكتور انطوان مسرّه، المشرف على مشروع الحكمية المحلية، الذي قال انها ترمي إلى "نفض الغبار عن ترشيح التي دمرتها الحرب ولكنها لم تدمر إرادة ابنائها. وفي كل البلدات تقاليد في احياء المهرجانات والاجتماعات الخطابية، ولكن لا أحد في بلدة ما جمع الناس للبحث في نقاش عام حول قضايا يومية من تشجير وتحريج وبيئة وسكن وحاجات يومية... وجدنا للأسف في معظم القرى ان كل القضايا ميسّسة وبشكل سطحي". واعتبرت المنسقة المحلية للندوة مايا كنعان سعد ان الندوة تشكّل أحد أطر "التحاور بين ابناء البلدة". وتحدث رئيس جمعية مار شليطا جوزف الحايك عن "وثبة نحو مواطنة جديدة، وكل مواطن حيث هو موجود قادر على ان يُغيّر نوعية حياته وبيئته". ولفت إلى "غياب البنى التحتية عن البلدة من مدرسة ومكتبة عامة وعمران ونادي وحديقة وكلها ضرورات لتواجد سكاني".

***

تمحورت أعمال الندوة والمناقشات حول ثلاثة محاور هي نموذجية ترشيح وأوضاعها العامة، أشكال المبادرة أو المشاركة، والاقتراحات العملية.

1. **نموذجية ترشيح:** ركز المجتمعون على نموذجية حالة ترشيح في المعاناة ودور المجتمع الأهلي في النهوض. واعتُبر "تشيد دير الالباء اليسوعيين في ترشيح هو رمز لعدم الاستقالة والثبات والتصميم". ويقول جوزف شعيا "ان ترشيح تتشأ من تحت الركاب وهي نموذج للعيش المشترك والتمسك بالتراث والعنفوان والكرامة والتجدر". وقال مسرّه بأنها "نموذج للسمود المعنوي بعد التدمير". وقال هنري شيبان ان "ترشيح أول من يستقبل الشمس وآخر من يودع القمر"، وهي أيضاً نموذجية في قضايا العودة. وشدد الدكتور ناصر طقطق ان "العودة تتم فعلاً عندما نصبح كأوتار العود في تكامل وتضامن وليس في البحث عن التناقضات".

2. **اوضاع ترشيح العامة:** درس المشاركون في الندوة الوضع العام في ترشيح استناداً إلى عرضٍ موثق قدمه رئيس البلدية جوزف شعيا تناول فيه مساعي المصالحة منذ 1989 بفضل جهود "لجنة من ابناء البلدة تمثل الطائفتين والعائلات"، التي أثمرت "ترميم المعابد الدينية واستئناف ممارسة شعائر العبادة، واستصلاح الاراضي والبساتين، فاكتملت العودة بالرجوع الديني والزراعي وتلاقي الأهالي على ارض البلدة واستعادة العيش المشترك". وشرح المراحل التي قطعها ملف ترشيح منذ فتحت وزارة المهجرين والصندوق المركزي هذا الملف وقال: "شُيِّدت حتى اليوم 220 وحدة سكنية ولا تزال 180 مستحقة الدفع تنتظر الإفراج عن المال". ولاحظ الأب بشار حنا اليسوعي وجود علاقة صدامية للبنانيين عموماً مع المكان، وقال: "يأتينا منتزهون لتمضية العطلة تحت صفصافة الضيعة ونبع المياه، لكنهم يخلفون وراءهم مختلف اشكال النفايات والاساخ". وعن الوضع البيئي ذكر يوسف سعيان: "بعد محنة التهجير نحن امام استحقاقات بيئية في بلدة مميزة في طبيعتها وتراثها".

وعرضت المهندسة الزراعية لوسي حنا لتطورات الزراعة في البلدة وتحدثت عن "مناخ ترشيح الذي يعطي مذاقاً مميزاً للانتاج الزراعي وفاكهة الجرد التي يكثر عليها الطلب في المدن". وعن الطب العام في البلدة وما يستوجب للعودة اعتبر الدكتور ناصر طقطق ان الأولوية

هي لمراقبة مصادر المياه وإجراء فحوص دورية لها بإشراف الحكومة والبلدية. واقترح يوسف سعيفان وضع خطة صحية من جانب الاخصائيين تساهم في العودة.

وعن اشكال المبادرة تحدث احد المشاركين الشباب عن تراجع المبادرات في المجال العام وذكر: "قبل الانتخابات البلدية 1998 استطعنا تنظيم مهرجانين في الضيعة بفضل عمل الجمعية. اما اليوم فلا ننظم أي شيء ولا يوجد شاب واحد في البلدة تحت عمر 30 سنة. واعاد الخوري يوسف صدقة التذكير بنظام العونة قبل الحرب وقال: "لا أحد كان يصب باطون ويستأجر عامل واحد".

حول التراث في ترشيح ذكر جان صدقة انه "اصبح مجرد ذكرى في البال لأن الحرب قضت على الشخصية القروية المميزة وعلى البيت القروي التراثي، فلا علية أو خيمة أو عززال أو سطيحة عليها تنك مزين بالحبق والقرنفل". وقال: "نفتقد اليوم معاصر الكروم والديس ومونة الشتاء ودق الجرس وساحة الضعية والزجل والعدييات والقصائد والعرس القروي والزلاغيظ". وذكر مباريات الزجل قبل الحرب بين البير شعيا ومخايل جبرايل. وقال "أخشى عودة بورجوازية فوقية وأدعو إلى عودة عصرية إلى الضيعة". رأى ان "الإنخراط في دوامة الحضارة يقضي على التراث المحلي".

3. **المقترحات العملية:** بشأن المقترحات العملية يستخلص أبرزها من مداولات

المشاركين بالآتي:

1. جمع الاخصائيين وطلاب الجامعات من ترشيح في مختلف مجالات الاختصاص لوضع خطة تنمية وبخاصة المهندسين وطلاب الهندسة لوضع تصور لمخطط توجيهي لا يكون مفروضاً أو ذات اهداف مضاربة عقارية (جوزف شعيا).
2. تفعيل دور تعاونية المزارعين في التوعية الزراعية والارشاد (بشير جبرايل).
3. تنظيم برامج لربط الجيل الجديد بالبلدة واستعادة ثقة الشباب والتزامهم.
4. المباشرة في تشييد حديقة عامة وتنظيم المحميات وابرزها القلاع الصخرية والحفاظ على الاشجار المعمرة بهدف تحويل ترشيح إلى مركز للسياحة البيئية.
5. العمل على احياء التراث في كل جوانبه و"أن ننسى ولكن لنتذكر".

ومن المقترحات ايضاً: اعادة اعمار وترميم احد المنازل التراثية في ترشيش وتخصيصه كسرايا او مركز بلدية (الياس صدقه)، تنظيم ندوات اجتماعية وزراعية (بطرس صدقه)، انشاء مركز رياضي وتنظيم مهرجانات صيفية ومخيمات للتعارف (شريل حنا جبريل، كمال صدقه...)، دراسة تصاميم البناء والعمل على تصنيف البلدة وإنشاء مركز للتزلج وتكليف فرق مساحة لكل المنطقة ووضع خرائط نهائية لحفظ حقوق الجميع (كرم ميشال صدقه)، الطلب من وزارة المهجرين إقبال ملف ترشيش واقامة نصب لشهداء البلدة جميعاً (بيار مخايل صدقه).
لأول مرة يحدث نشاط ثقافي هادف وتطبيقي في البلدة. وكانت دعوة إلى الإكثار من هذه اللقاءات التي تعزز روح التعاون وتؤسس لمفهوم ديموقراطية القربى ولجان البلدات والأحياء.

2

الجومه: تحويل عكار منطقة زراعة صحية ومنتجع سياحي طبيعي ومرصد بيئي واجتماعي

لئلا يبقى "الشمال هو عالم ثالث لبنان، وان تبقى عكار عالم ثالث الشمال"؟، بحسب هذا القول لاحد المشاركين، نظمت "المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم" بالتعاون مع اتحاد بلديات الجومة الذي يضم تسع بلدات من منطقة الجومة، ندوة حول موضوع: "الحكمية المحلية: مبادرة ومشاركة ومواطنة في المجال المحلي في منطقة جومة"، التي عقدت في قاعة عصام فارس الثقافية في بلدة رحبة (عكار) السبت 12 تشرين الاول 2002.

والندوة هي في إطار متابعة تنفيذ برنامج "الحكمية المحلية" الذي تنفذه "المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم" بهدف تعريف المواطنين على أوضاع بلداتهم، التأسيس لنقاش محلي، وتنفيذ مشروع مبادرة.

حضر الندوة أكثر من ثمانين مشاركاً جاؤوا من مختلف قرى وبلدات الجومة، وكان بين المشاركين الدكتور كميل حبيب ممثلاً نائب رئيس مجلس الوزراء عصام فارس، والمطران بولس بندلي راعي أبرشية عكار وتوابعها للروم الارثوذكس، والشيخ محمد السحمراني إمام بلدة الدورة العكارية، إلى رئيس اتحاد بلديات الجومة رئيس بلدية رحبة السيد سجيح عطيه ورؤساء بلديات،

وشخصيات نقابية من أصحاب المهن الحرة، وموظفين رسميين وجامعيين وعاملين اجتماعيين وميدانيين. وتولت تنظيم ندوة محور الجومة المنسقة المحلية في عكار السيدة رلى مخايل. في تقديمه للندوة تحدث الدكتور انطوان مسرة منسق الابحاث في "المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم" وقال: "ان مصطلح الحكمة المحلية يعني حسن الاداء. أكثر الاحيان نرکز على القوانين والتشريعات والسياسات العامة، فإذا لم ننجح نؤلف لجان ونعيد النظر في القوانين. في حين ان المشكلة لا تكمن غالباً في القوانين بل في تطبيقها الذي يتطلب ثقافة ومراقبة. اللبنانيون يتمتعون بميزات عديدة منها الإبداع والقدرة على التكيف وغيرها. لكن هناك قضايا على المستوى المحلي لم يجر أحد نقاش محلي حولها. وأكثر القضايا المحلية مسيئة بشكل سطحي حيث تستشري الخلافات والحزازات العائلية والسياسية. وفي كل بلدة انقسامات حول قضايا محلية حياتية، بينما هذه تتطلب نقاشاً عاماً وإبعادها عن الصراعات السياسية. ويغيب الإدراك المشترك في بلد العيش المشترك. وظيفة البلديات المنتخبة اساساً الاستماع إلى الناس وتلبية حاجاتهم ومتطلباتهم. وعندما نتحدث عن اللامركزية، فإنها ليست فقط إطاراً قانونياً لكنها عملياً تختزن كل مشاكل السلطة المركزية التي هي موجودة على المستوى المحلي. وهذا يعبر عن ثقافة سياسية تبعية".

تطرق التعريف بالندوة إلى موضوعي التأسيس للنقاش المحلي وعلاقة المؤسسات بالناس. وقال الدكتور كميل حبيب: "المركزية الإدارية تعني كيفية تنظيم الخدمة العامة. اللامركزية حاجة وضرورة". اما سجيح عطية فقال: "لا نحسن أوضاعنا إلا إذا تحاورنا. في عكار ثروات محلية لو استثمرت لقصت على الجوع. ان محور الجومة يشمل حوالي 60 بلدة وقرية". واعتبر الدكتور حسن شديد ان "في الجومة فاعليات قادرة ان تنظم شكلاً أفضل"، وعرض "تمودجاً في العمل البلدي يقوم على تفاعل مع الناس"، طارحاً "منهجية لشبكة". تمحورت المناقشات حول اربعة مواضع رئيسية هي: اوضاع منطقة الجومة وحاجاتها واولوياتها، وأنماط الممارسة المواظنية، ومشروع المبادرة في رحبة، والاقتراحات العملية المستقبلية.

أهم خزان للمياه الجوفية

توزعت أوضاع منطقة الجومة وحاجاتها على قضايا الصحة والبيئة والزراعة. وأكد حسن شديد ان "الجومة لها موقع صحي جيد وهي مصحح لولا امتداد التلوث". وقال: "ليس لدينا معامل قادرة على نشر التلوث، فالمياه عالية وصالحة للشرب، ولكن نحتاج إلى تنظيم الصرف الصحي. نعاني مشكلة عدم وجود اسعاف أولي، ولا قدرة على تلبية الحاجات الطارئة". وعن تجربة العلاج في المراكز الصحية، ذكر الدكتور عبدالله الخوري ان "الادوية تصل إلى المستوصفات بالطائرة، وبعض المستوصفات نشأ لأسباب سياسية". وعن المستوصفات النقالة قال: "الطبيب الذي يقبل ان يقف في داخل بوسطة على قارية الطريق ليعاين مريضاً فهو لا يحترم مهنة الطب ويحقر نفسه ويحقر المريض ايضاً. هذا المريض الذي يرى نفسه مجبراً ان ينتظر دوره واقفاً على الرصيف...". وذكر الخوري لتعبير شائع بين الاهالي مفاده: "يقولون ان المستوصفات تنافس الصيدليات".

تحدث الدكتور محمود خضر عن "غياب الرقابة على المستوصفات الرسمية التي يمكنها ان تنشط الطب الوقائي وتخفيف الفاتورة الصحية وهي الأعلى في لبنان". ولاحظ "غياب الترشيح الجغرافي لتوزيع الاطباء في المناطق". وأحصى الخوري "حساسيات بسبب استعمال الصابون، وأمراض جديدة لم يكن لها ذكر في طفولتنا، ومواد كيميائية تؤثر على التوازن البيئية، فضلاً عن أنشطة تسعى إلى إرضاء ناخبها بدلاً من الحفاظ على صحتهم". وقال: "توجد أكثر من ألف حالة تضخم الغدة بسبب تلوث المياه، والسلطة تغض النظر عن حفر الآبار الارتوازية، إضافة إلى ان الدجاج يصبح 3 كيلو في أقل من شهر! بينما الطبيعة نظمت النضج". اما الدكتور احمد مصطفى فقال: "ليس لدينا احصاءات عن الامراض المزمنة وليس المهم ان نفتح مستوصفات بل كيف تعمل المستوصفات؟".

ورأى فايز فارس ان "عكار كلها مشروع زراعي ومجتمع زراعي حافظنا عليه، وملف الزراعة هو ينقذ عكار". اما الدكتور منذر حمزه فاعتبر ان "الشمال هو عالم ثالث لبنان، وعكار هي عالم ثالث الشمال". وتحدث عن "خزانات طبيعية للمياه في عكار" وقال: "مازال كثيرون ينقلون المياه على الحمير ولا يعرفون ماذا يشربون". وذكر "ان 70-75 في المئة من مصادر المياه أصبحت ملوثة جرثومياً، وان نسبة إصابة الاطفال بالاسهال مرتفع، و33 في المئة لديهم إصابات بالطفيليات". وإذ تحدث محمد عرابي عن "أهم خزان جوفي للمياه في الجومة ويغذي ما

لا يقل عن مئة بلدة خارج المنطقة"، قال ان "لا عين ماء إلا قريبا جورة صحية". في حين ان عطية أوضح ان "القموعة خزان بيئي كبير يجب حمايته".

لا مبالاة رسمية ومواظنية

في ما يتعلق بالممارسة المواظنية تعاني عكار من إشكالية "لامبالاة رسمية ومواظنية". تحدث مشاركون عن "عكار محرومة من نواب قريبيين من حاجات الناس". وذكرت "خدمات مؤسسة عصام فارس الانمائية وبخاصة في مستوصف ميشال عصام فارس في بينو". ولفت رياض نادر إلى "عمل تطوعي من خلال مستوصف ميشال فارس". وقال: ان "النواب الصالحين يطالبون بحقوقنا". اما الاب ايوب ابراهيم فأشار إلى "مراقبة صحية على 2400 طفل أظهرت وجود مشاكل في القلب". وقال: "يتعين العمل على الحجر أكثر من العمل على البشر". ودد محمد عرابي لبعض أنماط السلوك القائمة ومنها: "يصطفلوا"، و"ما دخلني"، و"بعيدة عني بسيطة"، و"كرمال خاطر زعيم"، ووجد فيها عرابي "هدراً للمستقبل". وتحدث المحامي ابراهيم رزق عن مفهوم عمل البلديات بـ"الاعتماد على القمع وليس الاداء وعلى الوصاية بدل الوعي"، وقال: "آفاق العمل البلدي أوسع من أي تحديد قانوني". ورأى "ان بلورة الوعي الجماعي لأي مشروع عام يتعدى الحماس وهذا على عاتق الهيئات الاجتماعية". واقترح "انشاء كيانات مبادرة تتغذى من الممارسة". وقدم رشيد يوسف نماذج في الإعلام الإداري في علاقة الادارات الرسمية مع الناس، وذكر "ان الموظف الجيد هو القانون".

اقتراحات وتخطيط

برزت وفرة اقتراحات عملية من الندوة يمكن تعدادها بالآتي:

1. عقد مؤتمر صحي يجمع الاطباء والعاملين في قطاع الصحة بما فيهم الممرضات والمسؤولين عن التمريض المستوصفات (حاتم العلي).
2. تنظيم الاسعاف الاولي (حسن شديد).

3. الرعاية الصحية الاولية وترشيد التوزيع الجغرافي والعودة إلى الطبابة المدرسية والتركيز على التثقيف الصحي (محمود خضر).
4. تحول مستوصف ميشال عصام فارس في بينو إلى مركز اسعافات أولية (رياض نادر).
5. تأهيل كادرات للعمل الاجتماعي المحلي (الاب ايوب ابراهيم).
6. ملف الزراعة ينفذ عكار، وتطوير قطاع الزراعة والتأسيس للقطاع السياحي الحديث والبيئي (فايز فارس).
7. جمع الاخصائيين من مختلف الاختصاصات للعمل في سبيل التنمية المنطقية والتطوع جزئياً في هذا السبيل (سجيع عطيه).
8. حماية القموعة من التعديات وتنظيم متابعة وتحويلها محمية طبيعية فعلاً (محمد عرابي).
9. العمل على حماية مصادر المياه المهددة فعلياً في عكار والتي تغذي كل عكار، واستكمال المناطق غير الممسوحة (غازي الكسار).
10. تطوير مشتل محلي (كمال خزعل).

مشروع-مبادرة

في ختام الندوة زار المشاركون موقع المشروع المبادرة للحفاظ على موقع طبيعي في رحبة هو عبارة عن غابة صغيرة من شجر السنديان التي لا يقل عمرها عن 150-200 سنة وتطوير الموقع كمكان للتلاقي في ظل الطبيعة.

يضم مجلس اتحاد بلديات الجومة رؤساء تسع بلديات في المحور هي: رحبة، عكار العتيقة، البرج، بزينا، بيت ملات، جبرايل، عيات، بينو-قبولا وتكريت.

ندوة رحبة، هي السابعة في برنامج "الحكمية المحلية" الذي تنفذه "المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم" في مختلف المحافظات اللبنانية، وتشكل هذه الندوة مدخلاً إلى ورشات متعددة ومتخصصة. وسبق ان صدر للمؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم كتابين بعنوان: "تنمية المجتمع المدني في لبنان (منظومة قيم ومبادرة وتواصل وتدريب)"، بيروت، المكتبة الشرقية،

2000، 752 ص، و"الحكمية المحلية: مبادرة ومشاركة ومواطنة في المجال المحلي"، الجزء 1، المكتبة الشرقية، 2002، 576 ص.

3

القبليات: لجنة متابعة نحو مخطط توجيهي للبلدة

أطلقت المؤسسة اللبنانية للسلام الاهلي الدائم برنامج أعمالها عن "الحكمية المحلية" في سنته الثانية بورشة عمل خصصت لدراسة المقترحات العملية "من اجل وضع مخطط توجيهي عام للقبليات"، وذلك في قاعة الآباء الكرمليين بمشاركة مهندسين من مختلف الاختصاصات يتقدمهم نقيب المهندسين في المشال فؤاد ضاهر، وطلاب من مختلف كليات الهندسة، الى مشاركين من مؤسسات وجمعيات اهلية.

يشكل المشروع حلقة اولى من خطة خمس ورشات عمل مناطقية في مختلف المحافظات تحت شعار "فكر شموليًا واعمل محليًا"، سعيًا الى ثلاثة اهداف اوضحها منسق الأبحاث في المؤسسة اللبنانية للسلام الاهلي الدائم الدكتور انطوان مسرّه، المشرف على المشروع، وهي: تعريف المواطنين بأوضاع بلداتهم والألويات، الاصغاء الى الناس، وتنفيذ مشروع مبادرة بمشاركة المواطنين.

سبق الندوة حفل تكريمي أقيم على شرف النقيب ضاهر بدعوة من مهندسي القبليات وعندقت وجمعيات اهلية في البلديتين. وجاء في كلمته: "ان الهندسة ليست مجرد بناء وأرقام بل علم اجتماع وبيئة وصحة. وهذا يتطلب من المهندسين تفكيرًا أبعد من "القرشين" او المردود المالي. ان المهندس يفكر ايضًا بمستقبل الناس ويتمتع برؤية مستقبلية، والمشاريع التي نسعى اليها يجب ان تكون انمائية وليست سياسية تنافسية تضع المسؤول النقابي في خانة ضيقة. المسؤولية في الشأن العام تكليف وليست تشريعًا".

***

تمحورت ابحاث ومناقشات الندوة حول قضيتين: القاعدة السكانية للمخططات التوجيهية، وآلية العمل لوضع تصور تمهيدي لبلدة القبليات.

جاء في تقديم الندوة: "ان المخططات التوجيهية، أكانت تفصيلية ام جزئية، تبنى مع الاهلين وبمشاركتهم في سبيل بناء علاقة سلمية مع المكان. وهذه العلاقة تحمل المواطن على الشعور بالالتزام والمسؤولية حفاظاً على هذا المكان ولحمائته وتطويره. ان مشاركة الناس في التعبير عن الحاجات والتطلعات والأولويات يحمي البلدات والقرى من مخططات توجيهية استثمارية الطابع او خاضعة لعلاقة نفوذ او لمضاربات عقارية".

عرضت في المداخلات حاجات القبيات وما تمتلكه من غنى في المساحة الخضراء. وتم التركيز على "الوظائف المكانية" وعلى اهمية "ساحات التفاعل" والبعد التراثي والعاطفي، وعلى تصنيف الاراضي. اما حول النواحي الهندسية، فليست قوانين الهندسة العائق من الناحية الجمالية، اذ يمكن بناء قبو بشكل جميل وتشييد ابنية بالباطون ولكنها جميلة المظهر كما نراها في بعض البلدان الغربية". وعرضت الاخصائية في التنظيم المدني، بياريت جمعه، دراسة اولية ميدانية حول اوضاع القبيات السكانية والاقتصادية.

ولملاحقة تنفيذ المشروع خصص القسم الثاني من الندوة للبحث في آلية المتابعة من اجل جمع المعلومات المتوفرة احصائياً وسكانياً وهندسياً ومائياً وجيولوجياً وفي مجالات اخرى حول بلدة القبيات بحيث تشكل قاعدة لبناء مخطط توجيهي للبلدة. وتقرر وضع تصور اولي يقتضي في ما بعد دراسته بشمولية وعمق السعي لتأمين الوسائل القانونية والمادية والفنية للتنفيذ. وكخطوة عملية تم تشكيل لجنة متابعة برئاسة النقيب فؤاد ضاهر وعضوية المهندسين: جاكين جعلوك، بياريت جمعه، راوول الزريبي، روجيه مخول، جورج ضاهر، طوني سعد، ميشال شدياق، جان حنا، جان قسطون، وسلفي فارس، اضافة الى اعضاء "شبكة الحكمة المحلية" في القبيات التي سبق تشكيلها من المنسقة المحلية للندوة رلى مخايل، وجوزيف زيتوني عن "جمعية التعاونية الزراعية"، برناديت اسكندر عن "دليلات لبنان"، جورج جبور عن "كشافة لبنان" والمهندس الفونس جورج عن "مجلس البيئة والتراث في القبيات".

***

انطلقت مبادرة "شبكة الحكمة المحلية" على أثر تشكيلها في القبيات وبعد ثلاث ورشات عمل عقدت في البلدة ونظمت يوم الاحد 24 تشرين الثاني 2002، في قاعة محاضرات مدرسة سيدة السلام لراهبات المحبة (القبيات) ورشة عمل لفاعليات البلدة تحت عنوان "تحو

مخطط توجيهي عام في القبيات"، خُصص لعرض مسودة عمل مشروع المخطط التوجيهي ولوضع تصور أولي للبلدة على قاعدة تأمين معلومات المشروع ومستلزماته ومراحله.

شارك في ورشة العمل نقيب المهندسين في الشمال النقيب فؤاد ضاهر، ومدير عام التنظيم المدني في لبنان جوزف عبد الاحد ومدير عام وزارة البيئة برج هاتاجيان، ومدير المخطط التوجيهي الشامل على الاراضي اللبنانية فؤاد عواضة، والمشرف على برنامج "الحكمية المحلية" في المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم" الدكتور انطوان مسرة، والمنسقة المحلية في الشمال رلى مخايل، إلى اعضاء "شبكة الحكمية المحلية" وفاعليات بلدة القبيات ومهندسين واساتذة جامعيين.

أثمرت الورشة والاجتماعات التي عقدت في وضع الأسس والمبادئ العامة في مسودة عمل أولية للمخطط التوجيهي العام في القبيات، انسجاماً مع أهداف برنامج "الحكمية المحلية". ندوة القبيات، هي الثامنة في برنامج "الحكمية المحلية" في مختلف المحافظات اللبنانية، وتشكل الندوة مدخلاً إلى ورشات متعددة ومتخصصة.

استهلت ورشة العمل بكلمة للدكتور انطوان مسرة ركز فيها على الملاحظات التي أمكن استخلاصها من مشروع الحكمية المحلية في العديد من المناطق وبينها مزيارة وراشيا وحمانا وترشيش وقال: "وجدنا في كل البلدات ان الشؤون المحلية مسيسة وبطريقة سطحية واكتشفنا بأن لا وجود لشيء مشترك في الإدراك النفسي. أين هو المشترك في وطن العيش المشترك؟ ففي كل بلدة أو حي هناك الشارع والرصيف وأمور حياتية ويومية إذا تسيست تؤدي إلى ضرر كبير للناس. ان وضع قاعدة لمخطط توجيهي عام لبلدة القبيات، بمشاركة الناس، هو موضوع اساسي وبالغ الاهمية. إذ يمكن للمخططات التوجيهية ان تكون نابعة من شركات ومؤسسات تبغي الربح، او تهدف إلى المضاربة العقارية. أهمية المخطط التوجيهي في القبيات ان يكون نابعاً من الناس وان يكونوا داعمين له لأنه يغيّر علاقتهم بالمكان.

"سلوكيات اللبنانيين وتعاملهم مع المكان تعاني من علاقة نزاعية هجومية وتدميرية، والسبب اننا لم نخلق علاقة سلمية فاعلة مع المكان، والناس لم يشاركوا في تنظيم المكان. عندما يشارك الناس تزول العلاقة العدوانية. خلال الحرب ظهرت المتاريس كأحد اشكال العلاقة العدائية مع المكان. والمهجرون الذين اضطروا تحت الإكراه إلى الانتقال إلى مناطق بعيدة عن

مناطقهم الاصلية تعاملوا بعنف مع الأمكنة الجديدة التي نزحوا إليها لأنها في يقينهم ليست لهم. وكل ما طرح من مشاريع حول الفدرالية والكانتونات واللامركزية والاندماج القسري يندرج في هذا السياق. ان الجغرافيا ليست جماد، بل مكان حي مليء بالحياة، نتعامل معه بعنف، بينما المطلوب إيجاد شق تربوي، وآخر في الممارسة المواطنة ولجان أحياء تهتم بقضايا الحي دون مخالفة القوانين. من هنا إذا شارك الناس يتغيّر سلوكهم ويصبحون مدافعين عن المكان. متى يكون الشارع شارعي، والحي حيي، والرصيف رصيفي؟ عندما نبني علاقة شخصية مع المكان تتغير السلوكيات البيئية والعلاقة مع الجغرافيا". واستشهد بقول للرئيس حسين الحسيني يقول فيه: "الوطن ليس مجرد أرض بل علاقات بين اللبنانيين وبينهم وبين هذه الارض"، مستخلصاً ان "المهم هو بناء علاقة سليمة مع التاريخ ومع الجغرافيا".

***

كانت كلمة باسم الشبكة المحلية في القبيات للسيد جوزف زيتوني تكلم فيها عن "الحكمية المحلية كإطار تتم من خلاله تنمية اهتمام المواطن في الشأن العام، وتقوم على تعزيز الحوار الديمقراطي، وتحسين حياة مجتمعنا. وكلنا مسؤول سواء كنا في مركز القرار أم لا". وعّدّد الخدمات التي تتميز بها القبيات، وركز على ان "حماية الثروة الحرجية والتخلص من مياه الصرف الصحي والنفايات، كلها شؤون مشتركة بيننا وبين الجوار ولا تمكن معالجتها إلا بالتفاهم مع الحكيميات المحلية في الجوار".

عرض النقيب ضاهر استراتيجية المخطط التوجيهي للقبيات من خلال معايير تقرض نفسها على تنظيم المجال العام وأهمها: "السيطرة على تكوين النكتل العمراني نتيجة الفوضى المنتشرة، وإنماء المناطق والتكامل فيما بينها، والحفاظ على التراث المعماري والبيئي". ورسم النقيب ضاهر الحلول الممكنة "بتشكيل هيئة مكونة من اعضاء المجلس البلدي ومؤسسات المجتمع المدني والفاعليات القبياتية، والعمل لإصدار مراسيم وتفعيل اجهزة الرقابة لحسن تنفيذ المراسيم". وانتقد المداخلات في عمل الهيئات المولجة دراسة مخططات التنظيم المدني لأنها "تقحم نفسها في أصغر الامور وأشدّها تهاهةً، تؤدي إلى تغييب دور المهندسين، وانكفاء قواعد السلامة العامة". وقال: "ان معظم المجالس البلدية في لبنان اليوم هي سياسية بامتياز، ما خلا حالات استثنائية. يطالبون المهندسين بمراعاة مواصفات السلامة العامة، بينما إذا مارسنا الرقابة

على تنفيذ الأعمال يحاولون منعنا. وفي النهاية نحن كمهندسين نتحمل مسؤولية السلامة العامة، ولكن هناك قوى لا تريد تنفيذ المستلزمات المفروضة على صعيد سلامة المواطنين".

***

وقال مدير عام التنظيم المدني في لبنان جوزف عبد الاحد: "نعتبر أنفسنا أجهزة فنية للبلديات". واثني على عمل القبايات لافتاً أنه "في القبايات سوف يضعون قاعدة بحث لمخطط توجيهي بمشاركة فاعليات المجتمع". وأشار: "ليس شغلنا كمكتب عقاري. نحن نهتم بالمصلحة العامة". وتحدث عن "ضرورة التخلي عن الانانيات الخاصة في التخطيط المدني والترفع لخدمة المصلحة العامة. ان وضع مخطط توجيهي شامل للاراضي اللبنانية لا يعفينا كمديرية وكمواطنين في مختلف المناطق من مهماتنا لأنه يتعين علينا وضع أنظمة تفصيلية ومخططات تنظيمية وقطاعية. المخطط التوجيهي الشامل يعطي توجهات معينة وشاملة في حقول المواصلات والبناء والترابط مع المحيط والتنسيق التجاري مع البيئتين العربية والمتوسطية. نعدّ الدراسات بحسب أولويات تعطى للمناطق التي تعاني هجوم تجار البناء الذين يدمرون طابع المدينة العمراني والتراثي والجغرافي، وينشرون في كل مكان فوضى الأبنية العشوائية. لا لتسوية المخالفات لأن تسوية المخالفات تعني ان الذي لم يخالف هو غشيم".

عرض فؤاد عواضة خرائط اوردها في مشروع المخطط التوجيهي الشامل للاراضي اللبنانية، وتظهر العديد من المعلومات التي تم جمعها عن مجمل المناطق في لبنان، مبيناً الأمكنة المعرضة للاخطار الطبيعية، ولانهيار التربة وللزلازل والفيضانات، والتلوث، وشبكات ربط المياه، والطرق والصرف الصحي والمجارير والكهرباء وغيرها. وقال: "ان مشروع المخطط التوجيهي الشامل للاراضي اللبنانية يشكل الإطار العام الذي يطبق عبره قانون التنظيم المدني. وجاءت انطلاقة المشروع من خلال البيان الوزاري، وبسبب الانتقادات التي يواجهها انتشار البناء العشوائي". وقال "ان العمل بدأ في آذار 2002 لإنجاز مرحلة اولى هدفها وضع مسودة لهذا المخطط تعرض على مجلس الوزراء صيف 2003، وفي مرحلة لاحقة توضع التعديلات على المشروع التي تعرض على المجلس لإقرارها سنة 2004". ولفت ان مساحات البناء المتزايدة "تأكل سنوياً حوالي 10 كيلومترات مربعة من الاراضي الزراعية". وطمأن عواضة انه "لن يكون هناك تدخل في المخطط التوجيهي الشامل في الأمور التي تلحظها السلطات المحلية". وتحدث

عن بعض المعايير وقال ان "التضاريس واقع لا يمكن تجاهله في تنظيم المجال، وكذلك الاستغلال العقلاني للاراضي بصورة اقتصادية أقل كلفة".

***

انطلق مدير عام البيئة برج هاتاجيان في مداخلته مما ورد في خطاب القسم لرئيس الجمهورية اميل لحود الذي تحدث عن "الإجرام البيئي" وضرورة وضع حد نهائي له، وقال هاتاجيان: "لا حلول إلا بالشراكة". وتحدث عن "تفاعل الانسان مع الجغرافيا الذي هو مسألة اساسية في التعاطي مع البيئة حيث ان حسن استعمال الاراضي هو أداة لسلامة الانسان والبيئة معاً". وذكر "ان الانسان هو أكثر الكائنات تدميراً للبيئة الطبيعية، بينما الاديان السماوية تدعو إلى الانخراط في البيئة وتحسين نوعية الحياة. ولا اقتصاد من دون بيئة سليمة ومجمل الاقتصاد العالمي ينطلق من الموارد الطبيعية وحسن إدارتها. ان لبنان له مياه وبيئة وميزتنا الاساسية تركز بينتنا ضمن 10452 كلم مربع، يمكن ان نشاهد فيها كل التنوع. التنوع البيئي يؤدي إلى تنوع ثقافي، لأن ابن الجبل يختلف في طريقة تفكيره عن ابن السهل وابن الساحل. والبيئة تؤثر بشكل جذري على حياة الانسان".

وقال احد المشاركين: "احراج في القبيات أحرقت عمداً ثم تحولت إلى بساتين زيتون للاستغلال الخاص".

***

وعرض رشيد شمعون لأفكار عملية بهدف "الحد من تشظي المدن والتلوث الناجم عن الصناعة والمواصلات بمختلف انواعها". وعرض لمشروع يقوم على فكرة مختبرة بفاعليتها وتتلخص بـ "تطوع طلاب الهندسة في الجامعات في لبنان للمساعدة على مشاريع هندسية عن التنظيم المدني وعلى هندسة المجال العام". وطرح الفونس جورج انطلاقاً من تجميع صور ووقائع عرضها عن القبيات، سؤالاً محورياً تطرق فيه إلى "كيف ستصير القبيات بعد 20 أو 30 سنة". وسأل طوني عطاالله: "من يحمي المواطن من تسلط سلطات محلية تخالف القانون وتشجع عدداً كبيراً من المواطنين على مخالفة القوانين لشرعنة مخالفتها بالبناء، عن طريق تحريكهم ودفعهم إلى مطالبة السلطات المركزية بتعديل أو إلغاء تخطيطات قديمة؟ ان المواطن يشكو اليوم ضعف الشفافية في العمل البلدي. وبعد تجربة لبنانية غنية في السنوات العشر

الآخيرة بين مجالس بلدية معينة في بعض المدن وأخرى منتخبة يمكن استخلاص ما يلي: ليست كل تجارب المجالس المعنية سلبية، ولا كل تجارب المجالس المنتخبة هي حتماً إيجابية. المجالس المعنية لأنها تقتصر إلى الشرعية الانتخابية تحرص على الحوار مع الجميع وتشعرهم بوجودها، تعويضاً عن وضعها، وهي تالياً أكثر شعبية وديموقراطية في عملها. أما المجالس المنتخبة، خاصة التي تعتمد على دعم سياسي، فلا تهتم بتلبية خدمات الناس أكثر من اهتمامها بإرضاء السياسي الذي أوصلها، وهي تالياً أشد طغياناً من السلطة المركزية. وكل مشاكل السلطات المركزية تنتقل عملياً إلى السلطات المحلية في نظام لامركزي دون ضوابط. بعد أكثر من 35 عاماً على تعطيل الانتخابات البلدية وإجرائها عام 1998، يحتاج اللبنانيون عامةً إلى مزيد من الوقت للتمرس باللعبة الانتخابية المحلية وإيصال الأصلح للمصلحة العامة".

4

حبوش: برامج وانشطة في البلديات لصالح الشأن العام

ان الوصف الذي تقدم به سميح حلال رئيس بلدية حبوش هو وصف للواقع اليومي في كل البلديات. لدينا تقدم في الفكر والابداع والتجارة...، ولكننا في قضايا الشأن العام نبدأ تقريباً من الصفر! لم نخصص لها برامج وانشطة مرتكزة على فكر عملي. لا يكفي الاقناع في هذا المجال ولا الارشاد ولا المواعظ. الامر يحتاج الى برامج وانشطة مكثفة في البلدات والمدارس ومن خلال الجمعيات الاهلية.

لذلك سنتابع برنامج "الحكمية المحلية". ان البلديات مسيسة وفيها زبائنية وخلافات واتكالية ونكايات وحزازات. يلزمنا لذلك جهد بطولي. ان التعاطي بالشأن العام هو اشبه بنوع من العذاب. هناك جو خارج المنطق. للجان الاحياء دور ايجابي ويمكن ان تعمل من خلال جمعيات.

لا شك ان في حبوش جمعية شبابية او ناد او تجمع او نواة. قد لا يتحرك كل اهالي حبوش، ولكن هناك نواة قادرة ان تتحرك وان تتحلى بالاصرار والثبات وتقوم بنشاط او بعدة انشطة وتستمر. وكلما زادت العراقيل زاد تصميمها.

كما نحتاج الى انشطة محددة في المدارس، مثلاً مسألة لجان مندوبي الصف ليس فيها متابعة. شكل العديد من المدارس لجان مندوبي الصف تماشياً ربما مع الموضة، ولكن هذه اللجان كما لمسنا تتحول الى وسيلة لاعادة انتاج علاقات نفوذ، بينما يكمن دورها في متابعة شؤون الصف ومساهمة التلامذة بمشروع مشترك.

امر آخر يلزمنا هو تدريب التلاميذ على النقاش العام، وهو يشكل كل العمل داخل البلدة. فمتى تعلم الاولاد النقاش العام تعلموا كل شيء في العمل البلدي. تكمن الصعوبة في ادارة النقاش.

خلال الندوة التي عقدت في 2003/2/8 قالت مديرة مدرسة:

"اصطدمت بالعديد من الطلاب المشاغبين. عمدت الى تكليف التلاميذ المشاغبين بمسؤوليات يقومون بها في الملعب وفي الصف بحيث يتحول هذا التلميذ المشاغب الى تلميذ مسؤول. لا اكلف بمهمة عريف للصف الا تلميذ قام بمشاغبة في السابق، فتحول بذلك المشاغب الى انسان منتج.

"اقترح على البلديات ان تقدم جوائز للحي الاكثر نظافة او لانظف مدخل منزل او شارع او رصيف... كما يمكن تطبيق ذلك على المدارس فتمنح الادارة جائزة لصاحب الطاولة الانظف. وهناك مدارس تكلف تلاميذها كل بدوره وعلى مدى اسبوع او اكثر بالعناية بنظافة الصف او الملعب".

وقالت مديرة مدرسة اخرى:

"طلبنا من التلاميذ في مدرستنا القيام بمشروع محدد ضمن شروط، ومن بين القيم التي اعتمدها في المشروع، المحافظة على البيئة وعلى الشأن العام. بالنسبة للصغار مثلاً قدمنا حوالي سبعين شجرة وزعت على التلاميذ وطلبنا منهم زراعتها والعناية بها، وان يسمي كل تلميذ شجرته باسمه، فتصبح بذلك لهم. وكانت المفاجأة ان الاولاد اجبروا اهاليهم على شراء برميل خاص بالشتول لزراعة الشجرة فيه، علماً ان المساحات الزراعية متوفرة حول المنازل. فعلوا ذلك لانهم احبوا المحافظة عليها قدر الامكان فهي تحمل اسمهم ويفرحون بها متى كبروا. لا زالت هذه الشجيرات موجودة الى اليوم ويعتنون بها.

"البيئة مهمة كما المحافظة على الشأن العام كقيمة حضارية. كلنا نعاني في هذا المجال ولكن يجب ان نكون مواطنين واجابيين. متى كسر التلاميذ طاولاتهم في الصف علينا جمعهم للتأويل معهم. لا يجوز ان نعاقب دون ان نشرح للتلميذ بان عمله غير سليم، فيأتي العقاب من خلال نقاش بدفع التلميذ لان يفرض هو نفسه عقاباً على ذاته ولا يعيد الكرة.

"يعيش التلميذ خصاماً. التعامل مع الشارع هو غير التعامل في البيت وغيره في المدرسة وغير ما هو عليه في الدولة. على اي اساس نسير؟ ما يضيع اولادنا هو انه ليس من

شيء مشترك يستطيع الشباب الاستناد اليه. المسؤولية هي مسؤوليتنا مجتمعين: البيت والمدرسة والبلدية والحكومة. علينا كلنا التعاون لتوفير قاسم مشترك بين كل هذه القضايا".

***

اقترح احد المشاركين ما يلي:

"المشكلة في حبوش هي اكبر من التلاميذ واكبر من البلدية، انها مسألة تنفيس احقاد سياسية بواسطة التلاميذ، تجاه البلدية، وتخريب ما تقوم به البلدية. ليس من تفسير آخر للواقع المعروف، حتى وان كانت البلدة المعنية في الصين!
"معالجة هذه الازمة، بامكان المجلس البلدي اعتبار نفسه منتخباً حديثاً. عادة عندما ينتخب مسؤول في الشأن العام، اكان بشكل اكثري او من قلة، يعتبر الممثل العام لكل الناس في منطقته، تماماً كما ينتخب النائب في منطقة معينة بـ 50 زائد واحد ويعتبر ممثل الامة اللبنانية جمعاء.

"ليقم رئيس البلدية بزيارات مع المجلس البلدي الى من يراه مناسباً من الاهالي ويعلمهم ان التخريب الذي يقوم به الاولاد يكلف المبلغ الفلاني (بعد تقدير كلفة ترميم ما قد تم تخريبه) ويعلمهم ان التكاليف ستدفع من موازنة البلدية، علماً انه لو وفرناه كلنا تمكنا من القيام بمشروع آخر وبنفس الكلفة. متى تواضع رئيس البلدية وزار الناس لن يصده احد منهم او يعتبر ان لا لزوم لهذه الزيارة، حتى اعداؤه. ولا بد من تنظيم لقاء آخر مع معلمي المدارس الرسمية والخاصة فيعرض عليهم الوضع والخسائر والكلفة، ويعلمهم بان البلدية تجمع اموالها من الناس فتصبح كلفة كل عمل مضاعفة، بينما في حال تم توفير هذا المال يمكن القيام بمشاريع اخرى عديدة.
"ولا بد من ان يداوم في كل مدرسة مرشد نفسي تربيوي، ومن المفترض ان يكون اهم معلم في المدرسة ليتمكن من استيعاب الاوضاع الموجودة في القرية. ومتى حصل اجتماع بين الاهالي وهيئة المدرسة تتغير عندها سياسة المدرسة وتبدأ البلدية بتنفيذ المشاريع. ولا بد من مراعاة الشباب والاولاد ومحاورتهم فالعقاب لا يفيد. انبت زوجتي ابنا الصغير وقالت له: عندما كان اخوك في مثل سنك لم يفعل ذلك (وهو يكبره بأربع سنوات) فأجابها: تودين اعادتي الى العصر الحجري! فهذا الفارق (4 سنوات) بنظره بمثابة العصر الحجري بالمقارنة مع عمره.

يستطيع اليوم ابن عشر سنوات الدخول الى كل بلدان العالم عبر الانترنت، بينما تلزمتنا ساعتان لنقتنع بأي امر. علينا محاوره التلاميذ ومعاملتهم كل بحسب سنه وبحسب تكوين ذهنيته".

5

طرابلس: لجان الاحياء وبناء ثقافة بلدية

في اطار سنته الرابعة، نظم برنامج "مرصد الديمقراطية في لبنان" في مؤسسة جوزف ولور مغيزل والرابطة الثقافية في طرابلس، بالتعاون مع الاتحاد الاوروبي، الندوة السابعة عشرة للبرنامج حول موضوع: "ديمقراطية القرى: تجربة لجان الاحياء في طرابلس"، في قاعة محاضرات الرابطة الثقافية في طرابلس.

شارك في تنظيم الندوة اتحاد بلديات الفيحاء، واتحاد الجمعيات الشمالية للتنمية والبيئة والتراث، وبرنامج "الحكمية المحلية" في المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم، وبرنامج "بيطلع بايدنا" في جمعية "فرح العطاء"، والاعضاء المبادرون في لجان الاحياء في طرابلس.

شارك في الندوة اكثر من مئة من رؤساء واعضاء مجالس بلدية وجمعيات اهلية ومبادرين في أنشطة محلية. وتمحور النقاش، استنادًا لشبكة اسئلة عرضها منسق البرنامج انطوان مسره، حول التعرف الى تفاصيل تجربة لجان الاحياء في طرابلس وتحديد صعوباتها وامكاناتها ومجالات متابعتها وتعميمها.

تركزت المداخلات الافتتاحية لرشيد جمالي رئيس الرابطة الثقافية في طرابلس، ومحمد المصري منسق الندوة، والعميد سمير شعراني رئيس اتحاد بلديات الفيحاء، وملحم خلف من جمعية "فرح العطاء" وبرنامج "بيطلع بايدنا"، ومازن عبود رئيس اتحاد الجمعيات الشمالية للتنمية والبيئة والتراث، على "التجربة الحضارية المتقدمة" لبعض لجان الاحياء في طرابلس بالتعاون مع المجالس البلدية. للمرة الاولى، حسب احد المشاركين، "يعمل على جمع اصحاب مبادرات فردية وجماعية تصب في الشأن العام ويدعى الى ندوة اشخاص فاعلون اجتماعيًا ولكنهم مغيبون في مؤتمرات تطرح تحليلات وتوصيات بعيدة غالبًا عن المجتمع الحي".

بناء ثقافة بلدية

عرضت في هذا الاطار خبرات ميدانية في تأهيل حديقة في قبر الزيني (عبدالله شيخ نجارين) وبناء ارسفة وحيطان دعم في عقبه سهيم (رضوان القاري) وتأهيل بركة في القبة (حسين النعني) وتأهيل ملعب لكرة القدم (خالد الحصني)... تتدرج كل هذه الاعمال، حسب مداخلة عبدالله خالد، "في اطار ردم الهوة بين البلدية والمواطنين الذين يشعرون ان البلدية تمثل السلطة المركزية لا البشر". ووصف سامي منقاره، رئيس بلدية طرابلس سابقًا، اشكاليات تحرير المواطن البلدي من التبعية الزبائنية خاصة في قضاياها الحياتية اليومية والمشاركة.

جاء في مداخلة رئيس الرابطة الثقافية رشيد الجمالي: "يحمل هذا اللقاء اهمية خاصة لانه يتعلق بتوسيع اطر المشاركة التي هي احدى ركائز العمل الديمقراطي وعبر لجان الاحياء". وقال العميد سمير شعراني: "لا تملى المشاريع من فوق! اننا نفتقر الى ثقافة بلدية". وقال مازن عبود: "خوفي على التنظيمات الاجتماعية ان تصبح مادة استهلاكية في الانتخابات، بينما القضايا الحياتية اليومية لا زعامة لها". وتساءل ملحم خلف: "المساحة المشتركة العامة هل تفرق بيننا ام تجمعنا؟ متى يصبح بيتي امتدادًا؟ في بعل الدراويش حيث نفذ برنامج **بيطلع بايدنا** كانت المساحة المشتركة تبعد الناس عن بعضها فاعدنا بناء الصلة الاجتماعية. لجان الاحياء ليست لجان سلطة بل خدمة. اهالي بعل الدراويش هم الذين علمونا. المشاكل العميقة في المجتمع لا يحلها الامن المسلح. كلما انزلتم قوى امنية لمعالجة قضايا انسانية واجتماعية كبرى يصبح الناس اشرس". وقال رضوان القاري: "صرنا وكأننا موظفون لدى البلدية نخبرها اين توجد حفرة واين تحصل مخالفات". ووصفت وفاء شعراني بعض الخبرات بانها "تجارب حياتية رائعة ذات قيمة كبيرة في موازة حاجات اجتماعية ضخمة". وذكر فايز فارس "خبرات الجمعيات الكشفية التي تجمع المبادر والمحتاج".

اقتراحات للمتابعة

تمحورت اعمال الندوة حول اربع قضايا: اهداف لجان الاحياء، والخبرات المعاشة، والصعوبات وشروط المتابعة. واوجز في الختام انطوان مسرّه المقترحات العملية التالية:

1. القاعدة: ضرورة الانطلاق من القاعدة في مختلف الخطط والمشاريع بسبب الحاجة الى اعادة بناء النسيج الاجتماعي في لبنان واستنهاض مواطنين متقاعسين او يائسين او غارقين في هموم معيشية يومية.

2. مواكبة المبادرات: يمكن تصنيف المبادرات الى ثلاث: "فردية ولكن دون متابعة، وجماعية ديمقراطية ولكن دون انتشار، وجماعية ديمقراطية ولكن دون استمرارية" (ملحم خلف). يمكن تأمين استمرارية المبادرات من خلال التمويل ولكن دون زبائنية، وبخاصة الحرص على روح التضحية والمجانية وخلقية الممارسة.

3. التكوين والتعريف: ان تدوين الاعمال الميدانية التي تبدو متواضعة ولكنها رائدة في الثقافة الديمقراطية المعيشية اصبح ضرورة قصوى في سبيل تراكم المعرفة والخبرات والتعريف بها وتعميمها واجراء تغيير في الخطاب السياسي اللبناني الراجح المرتكز على التحريف والزبائنية.

4. استراتيجية الشبكة: غالبًا ما تثير اقتراحات في التنسيق والتعاون والتوحيد مخاوف في الهيمنة او الاستيعاب، بينما استراتيجية الشبكة او "التشبيك" تسمح لكل فريق بالحفاظ على خصوصيته في اطار مشروع يصب في الشأن العام. يتبلور الشأن العام من خلال سياق في الاصغاء والتحاور والعمل المشترك.

اما مفهوم ديمقراطية القرى فانه يعني العمل الديمقراطي في تفاعل مع المواطنين على المستويات الصغرى والتحتية كالحى والشارع والمدرسة والجامعة والجمعية والنقابة والبلدية والمعاملات الادارية اليومية والعلاقة التواصلية عامة مع الناس بصفتهم مواطنين معنيين ومشاركين ومسؤولين. وهذا النوع من العمل له مردود تربوي وتثقيفي وتنموي وينعكس على المستويات العليا في ادارة الشأن العام ويعمق مفهوم الشرعية الاجتماعية المرتكزة على الثقة والتواصل والقبول.

انطوان مسرّه (اشراف)، **الحكمية المحلية** (مبادرة ومشاركة ومواطنة في المجال المحلي في لبنان)، بيروت، المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم، المكتبة الشرقية، الجزء الاول، 2002، 576 ص.

هل أدى الانتقال من المجالس البلدية المعينة الى المجالس البلدية المنتخبة في لبنان الى مزيد من التواصل مع الناس ومشاركتهم ومساهماتهم في الشأن العام المحلي؟ يسعى برنامج المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم (2001 - 2004)، بالتعاون مع المؤسسة الوطنية للديمقراطية، الى سد ثغرة ضخمة في الدراسات حول البلديات واللامركزية التي اقتصرت غالبًا على الوصف والتحليل والاقتراح دون الغوص في عمق علاقات النفوذ المحلية التي تشكل العائق الاكبر تجاه لامركزية يومية معيوشة من خلال التفاعل والتواصل بين المواطنين وممثليهم المحليين.

يجمع الكتاب الصادر عن المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم باشراف الدكتور انطوان مسرّه (**الحكمية المحلية: مبادرة ومشاركة ومواطنة في المجال المحلي في لبنان**)، بيروت، المكتبة الشرقية، 2002، 576 ص). وقائع اربع ورشات عمل عقدت مختلف المحافظات (مزياره، حمانا، راشيا الوادي، القبيات...) في سبيل تفعيل النقاش المحلي حول الشؤون الحياتية اليومية وتحت شعار: "فكر شموليًا واعمل محليًا".

يتضمن البرنامج ثلاثة عناصر:

- **تعريف** المواطنين باوضاع بلداتهم من النواحي السكانية والسكنية والجغرافية والصحية والتربوية...

- **الاصغاء** الى الناس في البلدة للتعبير عن حاجاتهم وتصورتاهم وتطلعاتهم.

- تنفيذ مشروع مبادرة لكي لا يقتصر المشروع على "ينبغيات" (ينبغي ويقتضي

ويجب...).

جاء في مقدمة الكتاب بقلم الدكتور انطوان مسرّه: "كل اشكاليات السلطة المركزية في لبنان هي ذاتها في السلطة المحلية التي هي غالبًا غارقة في التبعية المركزية أو الزبائنية او الحزازات الحزبية والعائلية. يتطلب تاليًا التغيير في سبيل تفعيل الديمقراطية المحلية في لبنان منهجية وسياقًا لا يقتصر على المجالس البلدية التي قد تنحو الى مركزية محلية سلطوية او

زبانية. ان الندوات التي عقدت هي تاليًا الاولى في موضوعها ومنهجيتها في لبنان وتشكل انطلاقة ووثبة نحو مسار جديد قد يغير بالعمق مفهوم المواطنة في ممارستها اليومية والمحلية".

مفهوم الحكمية وتطبيقها محليًا

تستعمل عبارة الحكمية *gouvernance/ governance* في ادبيات الامم المتحدة بعد خبرة تاريخية طويلة في العالم، وبخاصة في البلدان النامية. في العالم اليوم قناعة راسخة ان التنمية لا تقتصر على قوانين وانظمة ومؤسسات مهما كانت متطورة وعصرية. تعني الحكمية التطبيق و الاداء. لهذا الاداء جانبان: الجانب الاول هو المراقبة والمحاسبة كي يكون الاداء الحكومي هادفًا لتحقيق المصلحة العامة لا مصلحة ارباب الحكم واصحاب النفوذ. والجانب الثاني هو مبادرة المواطنين ومشاركتهم ومساهماتهم وثقتهم بقدرتهم على تحسين اوضاعهم وان كان ذلك في حدود ضيقة.

وماذا تعني الحكمية المحلية؟ لا تقتصر على المجالس البلدية لان هذه المجالس قد تكون صورة مصغرة عن السلطة المركزية اذا لم تعتمد الاصغاء والمشاركة والتمكين. تعني الحكمية المحلية اداء الشأن العام على مستوى البلدة من خلال كل فاعلياتها من مجلس بلدي ووزراء ونواب وجمعيات اهلية ومدراء مدارس ومستشفيات ومستوصفات ومكتبات عامة وادارات رسمية محلية.

جاء في الكتاب: "كل مواطن في منزله، في الحي، على الطريق العام، في الحديقة العامة اذا وجدت، هو قادر ان يفعل شيئًا واشياء عديدة تغتير في نوعية حياته ونوعية الحياة في بيئته. وعلى المستوى المحلي ما يفعله كل مواطن هو ظاهر للعيان ولموس ومعيوش وعلى المدى القصير، بينما الخطط الوطنية الكبرى فلا تظهر مباشرة للعيان ولا تؤثر تاليًا وبشكل مباشر على سلوك الناس. عندما يقال ان ميزانية الدولة هي كذا بليون ليرة لبنانية فلا يدرك احد ماذا يعني هذا الرقم، لان لا احد منا صاحب بلايين. لكن على مستوى البلدة اعرف وادرك ماذا يكلف مشروع ري واشاهد تنفيذه وحصيلته واستطيع تاليا ان اراقب واحاسب واشارك. لا ديمقراطية دون قربي، مع الناس وللناس، لا على سبيل التعبئة الشعبية، بل لممارسة عمق المواطنة والديمقراطية.

" في بلد صغير كـلبنان الذي يمكن التجول بالسيارة في كل ارجائه بأقل من يومين ان التغييرات على المستوى المحلي، اذا تميزت بالتراكم والاستمرارية والانتشار، فهي تنعكس ايجاباً على كل الوطن وعلى الممارسة السياسية في قمة السلطة. اذا قررت عشرون بلدة في مختلف المحافظات ان تبدع وتبادر وتتكلم على نفسها وتستغل قدراتها المادية والبشرية من خلال استنهاض مواطنيها، فهذا يغيّر وجه لبنان في ما يشكو منه من تلوث وفساد وخضوع لارادات غيره وتخلف وتنمية متعثرة. اذا بادرت بلدة في عمل نموذجي، وان كان متواضعاً، فالبلدات المجاورة ستصاب بالعدوى الايجابية في التماثل والاقتداء."

يتضمن الكتاب وقائع اربع ورشات عمل عقدت بالتعاون مع نادي شبيبة مزياره، والنادي السياحي في حمانا، وجمعية انماء البيئة في راشيا الوادي، والجمعية التعاونية الزراعية في القبيات. تولى تنسيق الورشات المحلية رانيا خوري ومايا كنعان سعد وشادي سعد وطوني عطالله ورلى مخايل.

يتضمن الكتاب فصلاً بعنوان: "عوائق ومبادرات في التنمية المحلية"، مع وصف ست مبادرات محلية. وفصلاً آخر بعنوان: "دليل المواطن الى المعاملات البلدية" من اعداد افلين مسرّه، فيه رصد وتوصيف 35 معاملة بلدية. وفي خاتمة الكتاب خلاصات عامة بالعربية والفرنسية والانكليزية.